جامعة النَّجاح الوطنيَّة
كليَّة الدِّراسات العليا

تأثير حماس على التَّنمية السِّياسيَّة في قطاع غزَّة من خلال جمعها بين السُّلطة والمقاومة (2005-2014)

إعداد
مراد وحيد حجازي عرفة

إشراف
أ. د. عبد الستار قاسم

قدِّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلَّبات الحصول على درجة الماجستير في التَّخطيط والتَّنمية السِّياسيَّة بكليَّة الدِّراسات العليا في جامعة النَّجاح الوطنيَّة في نابلس، فلسطين.
2015م

تأثير حماس على التَّنمية السِّياسيَّة في قطاع غزَّة من خلال جمعها بين السُّلطة والمقاومة (2005-2014)

إعداد

مراد وحيد حجازي عرفة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2015/12/10م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. أ. د. عبد الستار قاسم / مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. أيمن طلال/ ممتحناً خارجياً	.....
3. د. مسعود اغبارية / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

للأحرار...

للشُّرفاء...

للمخلصين...

للضَّمائر الحَيَّة...

في هذا العالم...

كما أهدي هذا العمل...للمربي الفاضل والدي الحبيب السيد "وحيد عرفة" ولوالدتي الحبيبة المربية الفاضلة السيدة "رابعة الجعبري" ... إهدائي لكما لا يكافؤ قطرة من أفضالكما علي... ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا... وأخص بالإهداء جدتي الطيبة "أمينة النوري" وجدي العظيم "حجازي عرفة"

وزوجتي الوفيَّة "أسماء" الحبيبة التي تسمو بهمَّتي دوما...ووالديها الكريمان الشيخ الفاضل تيسير التميمي والخالة الكريمة هيفاء اقنيبي

ولإخواني الأحباب "محمد وبيان ومنال" ولعماتي الغاليات "حياة وعدلة"

ولوَلداي مهجة الفؤاد "وحيد وأيهم" اللذان جعلهما الله لي مصدراً للحب والإلهام والعطاء المتدفق... وللمعلم الملهم "Wayn Dayer"...

كما أخصُّ بهذا الإهداء كلَّ إنسانٍ صادقٍ ومخلصٍ يحملُ رسالة حبٍّ وسلامٍ للعالم أجمع...

الشكر والتقدير

الحمد لله من قبل ومن بعد على فضله العظيم، ثمَّ أتوجَّه بالشُّكر الجزيل للأستاذ الدُّكتور عبد السَّتَّار قاسم على ما قدَّم بحبٍّ وإخلاص من : إشراف، ومتابعة. كما أتوجه بخالص الشكر للدكتور مسعود اغبارية والدكتور أيمن طلال للإفادة التي قدماها لي والملاحظات القيمة التي أضافاها للرسالة. وأشكر مؤسسة (مواطن – المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية) على ما قدمته وتقدمه لخدمة الدراسات العلمية، كما أن الشكر موصول للرائعين جميع أسرة برنامج التَّخطيط والتَّنمية السِّياسيَّة في جامعة النَّجاح، كما أشكرالأستاذ إياد السويطي والسَّيِّد رامي الوزير على جهودهم المباركة والمخلصة في مساعدة الطلاب في إنجاز مشاريع البحث العلمي.

أشكركم جميعا من أعماق قلبي ودمتم ذخرًا وسندًا

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

تأثير حماس على التَّنمية السِّياسيَّة في قطاع غزَّة من خلال جمعها بين السُّلطة والمقاومة (2005-2014)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجـــة أو لقـــب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: اسم الطالب: مراد وحيد حجازي عرفه

Signature: التوقيع: مراد عرفه

Date: التاريخ: ٢٠١٥/١٢/١٠

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
	الإهداء	ج
	الشكر والتقدير	د
	الإقرار	هـ
	فهرس المحتويات	و
	الملخص	ط
	الفصل الأوَّل: مقدمة الدراسة ومنهجيتها	**1**
1.1	مقدِّمة الدراسة	2
2.1	مشكلة الدِّراسة	4
3.1	أهميَّة الدِّراسة	4
4.1	أهداف الدِّراسة	4
5.1	فرضيَّات الدِّراسة	5
6.1	أسئلة الدِّراسة	6
7.1	منهجيَّة الدِّراسة	7
8.1	نطاق الدِّراسة	7
9.1	الدِّراسات السَّابقة	7
10.1	المفاهيم والمصطلحات	9
11.1	أقسام الدِّراسة	13
	الفصل الثاني: مقدِّمة تمهيديَّة حول المفاهيم والمصطلحات	**16**
1.2	مراحل التَّطوُّر التَّاريخيِّ للتَّنمية السِّياسيَّة	18
2.2	معنى التَّنمية	20
3.2	تعريف التَّنمية	20
4.2	فلسفة التَّنمية	23
5.2	صياغة جديدة لمفهوم التَّنمية السِّياسيَّة	24
6.2	خصائص التَّنمية السِّياسيَّة	26
7.2	نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة	28
1.7.2	النَّظريَّة الماركسيَّة والتَّنمية السِّياسيَّة	30

الرقم	الموضوع	الصفحة
2.7.2	نظريَّة التَّبعيَّة (الماركسيَّة الجديدة)	32
3.7.2	نظريَّة التَّحديث	34
	الفصل الثالث: المسار السِّياسيّ والعسكري لحركة حماس 2005-2014	**41**
1.3	نشأة حماس ومنطلقاتها الفكريَّة	42
2.3	موقف حماس من المشاركة في انتخابات عام 2006	43
3.3	موقف حماس من التَّسوية السِّياسيَّة والتَّفاوض والوضع الفلسطينيّ الدَّاخليّ	44
4.3	موقف حماس من تطوُّرات الأحداث الدَّاخليَّة الفلسطينيَّة 2005-2008	47
5.3	براغماتية حماس ... تشدد في العقيدة ومرونة في السياسة	48
6.3	عجلة المصالحة تعطِّلها عصيّ المصالح	50
7.3	تجربة حماس بين الحكم والمقاومة	54
8.3	حماس وإدارة المواجهة مع إسرائيل	58
1.8.3	سياسيًّا	58
2.8.3	عسكريًّا	60
3.8.3	شعبيًّا	60
9.3	فلسفة القوَّة في تصوُّر حماس، وكيفيَّة توظيفها في الصِّراع	63
10.3	رؤية حماس لواقع منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة ومستقبلها	66
1.10.3	حماس والمنظَّمة بين المدِّ والجزر	67
11.3	رصد تطوُّرات السِّياسة الخارجيَّة لحركة حماس ما بين 2005-2014	70
1.11.3	أسس العلاقات الخارجية الَّتي اعتمدتها حماس	71
2.11.3	السِّياسة الخارجيَّة تجاه الدول العربية	73
3.11.3	استراتيجيَّة التَّوفيق: حسابات السِّياسة، ورفض التَّبعيَّة	74
4.11.3	علاقات حماس الدَّوليَّة خارج الدَّائرة العربيَّة	77
12.3	الإعداد وبناء القوَّة وانعكاساتها على القضيَّة الفلسطينيَّة	80
1.12.3	مرتكزات القوَّة لدى حماس	81
2.12.3	انجاز التمكين وصناعة التَّوازن في معادلة الصِّراع	84

الرقم	الموضوع	الصفحة
3.12.3	انتقال حماس من التكتيك إلى الإستراتيجيَّة	86
4.12.3	توظيف التِّقنيَّات الحديثة في تعزيز القوَّة	87
5.12.3	حصاد كتائب القسَّام بلغة الأرقام	88
6.12.3	تجربة حماس في "صراع الأدمغة وتوازن الرُّعب"	90
1.6.12.3	من أدوات حماس ووسائلها في إدارة الصِّراع	91
2.6.12.3	الوهم المتبدِّد تفوَّق في إدارة الصِّراع	92
3.6.12.3	من بقعة الزَّيت إلى حجارة السِّجِّيل	92
4.6.12.3	القدرات الصَّاروخيَّة في حجارة السِّجِّيل	95
7.12.3	المقاومة تتحدَّى تكنولوجيا العدوّ	98
13.3	تطوُّر إعلام حماس، وفاعليَّته في إدارة الصِّراع	100
14.3	فرص حماس في ظلّ تغير موازين القوى	102
	الفصل الرابع: مؤشِّرات التَّنمية السِّياسيَّة في ظلِّ حكم حماس	**104**
1.4	الشَّراكة السِّياسيَّة	105
2.4	التَّعدُّديَّة السِّياسيَّة	109
3.4	قضية الحرِّيَّات وحقوق الإنسان في تجربة حماس 2006–2014	111
1.3.4	الحرِّيَّات وحقوق الإنسان في أدبيَّات حماس	111
2.3.4	الحرِّيَّات وحقوق الإنسان في ظل حكم حماس	114
3.3.4	الدِّيمقراطيَّة والحرِّيَّات العامَّة	118
4.4	الخطاب السِّياسيّ لحماس وانعكاساته على مظاهر التَّنمية السِّياسيَّة	123
1.4.4	مصادر الخطاب ومحدِّداته	123
2.4.4	خطاب حماس: تطوُّره، وسماته	125
3.4.4	خطاب يمتاز بالتَّعدُّديَّة	129
4.4.4	خطاب حماس للفصائل	130
5.4.4	خطاب المقاومة	133
	الخاتمة	**138**
	النَّتائج والتَّوصيات	**139**
	قائمة المصادر والمراجع	**144**
	Abstract	**b**

تأثير حماس على التَّنمية السِّياسيَّة في قطاع غزَّة من خلال جمعها بين السُّلطة والمقاومة (2005-2014)

إعداد

مراد وحيد حجازي عرفة

إشراف

أ. د. عبد الستار قاسم

الملخَّص

هذه الدراسة تناقش موضوع "تأثير حركة حماس (حركة المقاومة الإسلامية) على التَّنمية السِّياسيَّة في قطاع غزَّة من خلال جمعها بين السُّلطة والمقاومة"؛ والموضوع مهم لأن حماس تعتبر تجربة فلسطينيَّة حديثة المسيرة في الحكم، قامت على الجمع بين السُّلطة والمقاومة المسلَّحة، مع وجود حصار شامل يفرضه الاحتلال الإسرائيليُّ وحلفاؤه على قطاع غزَّة، وهذا يدفع للبحث في عوامل صُمود واستمرار هذه التَّجربة الوليدة، وهي تجربة عسيرة في الحكم، اضطرَّت حماس إلى إيجاد وسائل وطرائق مبتكرة.

تهدف هذه الدراسة لمعرفة مدى التَّوافق والانسجام بين السُّلطة والمقاومة، وتأثير هذا على التَّنمية السِّياسيَّة، من خلال دراسة أداء حماس على الصَّعيد السِّياسيِّ والعسكريِّ والخطاب الإعلاميِّ.

اعتمدت الدِّراسة على المنهج الوصفي التَّحليلي، واستخدمت مؤشِّرات إحصائيَّة، ومقابلات؛ لفحص فرضيَّات الدراسة، من خلال أسئلة البحث الرَّئيسة الَّتي من بينها كيف أدارت حماس الحكم في قطاع غزة وكيف أدارت في نفس الوقت المواجهة مع إسرائيل.

تفترض الدراسة أنَّ التَّجربة الَّتي خاضتها حركة حماس في الحكم والكفاح المسلح في نفس الوقت؛ ساهمت في تعزيز بعض جوانب عمليَّة التَّنمية السِّياسيَّة الفلسطينيَّة، وهيَّأت لحماس المناخ المناسب للحفاظ على المقاومة وتطوير أدواتها؛ وأصبحت أكثر براغماتيَّة في الموازنة بين المصالح والمبادئ، وهذا أدَّى إلى إنضاج تجربتها السِّياسيَّة وتنميتهما.

تتكوَّن الدِّراسة من أربعة فصول: احتوى الفصل الأوَّل على مقدِّمة الدِّراسة، وفيها: بيان لمشكلة الدِّراسة، والأسئلة، والفرضيَّات، والمنهجيَّة، والدِّراسات السَّابقة، إضافة إلى ذلك تمَّ الحديث عن مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة، ومجالاتها، والمفاهيم والنَّظريَّات المرتبطة بها، وفي الفصل الثاني تمَّ تقديم مفهوم جديد للتَّنمية السِّياسيَّة مشتقًّا من خصوصيَّة الحالة الفلسطينيَّة. أمَّا الفصل الثالث فقد عرض المسار السِّياسيّ لحركة حماس ما بين عامي2005–2014، مبتدئًا بالخلفيَّة التَّاريخيَّة لحركة حماس، مرورًا بأهمّ المحطَّات الَّتي شكَّلت مفاصل مهمَّة في تاريخ الحركة كالانتخابات التَّشريعية، والمواجهات الَّتي خاضتها حماس والمقاومة الفلسطينيَّة مع الاحتلال الإسرائيليِّ، بالإضافة إلى إبراز علاقة التَّحديث السِّياسيّ بالعمليَّة التَّنمويَّة في جانب تعظيم قدرات المقاومة وتطوير وسائلها. وتناول الفصل الرابع أبرز مؤشِّرات التَّنمية السِّياسيَّة في ظلّ حكم حماس، وعمد الباحث إلى رصد مؤشِّرات التَّعدُّديَّة، ومبدأ الشَّراكة في العمل السِّياسيّ والعسكريّ، والحرِّيَّات، وجولة تحليليَّة في خطاب حماس، ثمَّ خاتمة الدِّراسة.

استنتاجات هذه الدراسة أنَّ التَّقدُّم المقاوِّم لحركة حماس واكبه تطوُّر موازٍ في الأداء السِّياسيّ، وكان لتوظيف التِّكنولوجيا دور مهمٌّ في تحقيق هذا. كما أثبتت حماس قدرتها على التَّوفيق بين ثنائيَّات صعبة كالمقاومة والسُّلطة، مع الحفاظ على شخصيَّتها وهويَّتها في الوقت ذاته. توصي الدِّراسة بضرورة مراجعة دور التَّعليم وإصلاحه وتطويره؛ ليصبح قادرًا على إنتاج أجيال تتسلَّح بالكفاية العلميَّة، والقدرة المهنيَّة على التَّخطيط والإدارة، والاستفادة من التِّقنية التِّكنولوجيَّة في العمليَّة التَّنمويَّة لبناء المجتمع والدَّولة على قواعد وأسس قوية.

الفصل الأوَّل

مقدمة الدراسة ومنهجيتها

الفصل الأوَّل

مقدمة الدراسة ومنهجيتها

1.1 مقدِّمة الدراسة

لقد عانت الشُّعوب المحتلَّة من بطش المحتلِّ وقهره الَّذي مـــارس بالاســـتبداد هيمنتـــه وسطوته فقيَّد الحريَّات، وصادر الثَّروات. وإنَّ التَّحرُّر من الاحتلال وتحقيق الاستقلال الوطنيّ هو طريق الشُّعوب نحو إنجاز مشاريعها التَّنمويَّة، وتحقيق تطلُّعاتها الوطنيَّة وتعزيز مناعتهـــا، وتماسك جبهتها الدَّاخليَّة، والاستمرار قدمًا نحو تحقيق أهداف الشُّعوب وتطلُّعاتها؛ مـــن خـــلال البناء والتَّنمية لقدراتها كي تتفاعل وتتكامل من أجل التَّخلُّص من الاحتلال.

سنلقي الضَّوء في هذه الدِّراسة على التَّجربة التَّنمويَّة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة كنموذج محدَّد ضمن فترة زمنيَّة معيَّنة لتغطيته بالدِّراسة والمنهجيَّة العلميَّة. فالشَّعب الفلسطينيّ عانى في أماكن تواجده جميعها وتحديدًا في فلسطين؛ من بطش الاحتلال الَّذي مارس أشكالًا مختلفة مـــن الاستبداد، والممارسات المقيِّدة للحريَّة الَّتي من شأنها أنْ تحدَّ وتعوق من رقيّ الفـــرد، وتحقيـــق رفاهيَّته بالحدِّ الأدنى.

يعود اختيار قطاع غزَّة – نموذجًا في الحالة الفلسطينيَّة– إلى ما يلي:

1– أنَّ قطاع غزَّة فيه أكبر تعداد سكانيٍّ من الفلسطينيين الَّذين يعيشون في بقعة واحدة متَّصلة جغرافيًّا.

2– تصدُّر قطاع غزة العالميِّ من ناحية ارتفاع الكثافة السُّكانيَّة.

3– التَّحولات الَّتي شهدها قطاع غزَّة منذ انسحاب الاحتلال الإسرائيليِّ عام 2005م، وما تبعه من انتخابات فلسطينيَّة برلمانيَّة عام 2006م، والَّتي انعكست وأثَّرت على مجريات الوضع السِّياسيّ الفلسطينيِّ؛ من خلال مشاركة حماس في تلك الانتخابات، ونجاحهـــا، وتصـــدُّرها للمشهد السِّياسيِّ الفلسطينيِّ.

4- تصاعد وتيرة الصِّراع على صلاحيَّات الحكم بين حركتي فتح وحماس الَّذي انتهى إلى مواجهة حسمت الصِّراع على الأرض؛ من خلال اللُّجوء لاستخدام القوَّة الَّتي كان يمتلكها الطَّرفان، والَّتي انتهت بسيطرة حماس على غزَّة.

5- حالة العزلة والحصار الَّتي فرضها الاحتلال الإسرائيليُّ وحلفاؤه على غزَّة بعد استلام حماس زمام السُّلطة فيها.

6- التَّجربة الفلسطينيَّة الفريدة في الجمع بين الحكم والمقاومة الَّتي مثَّلتها تجربة حماس في غزَّة.

إنَّ دور حركة حماس وتأثيرها في مجال التَّنمية السِّياسيَّة في التَّجربة الفلسطينيَّة وسط خصوصيَّة الحالة الفلسطينيَّة وتعقيدها، أسهم في بلورة مفهوم يتناسب مع خصوصيَّة الحالة الفلسطينيَّة وتعقيداتها؛ كون حركة حماس جزء من الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة، وهي حركة فاعلة ذات تأثير على السَّاحة الفلسطينيَّة. فقد شاركت حماس منذ نشأتها بالعمل الوطنيِّ الفلسطينيِّ المقاوم للاحتلال الإسرائيليِّ؛ حيث شاركت في الانتفاضة الأولى مباشرة بعد تأسيسها وشاركت في انتفاضة الأقصى الَّتي اندلعت شرارتها في أواخر أيلول 2000م، وأخذت الأحداث تتطوَّر شيئًا فشيئًا بشكل تصاعدي إلى أنْ وصلت أحداث الانتفاضة لمراحل صعبة ومتأزِّمة، أدَّت إلى اجتياح الاحتلال الإسرائيليِّ للمناطق الَّتي تسيطر عليها السُّلطة الفلسطينيَّة؛ ما أدَّى إلى حدوث دمار كبير شمل مؤسسات، وبنًى تحتيَّة، واعتقالات، وقتلى وجرحى في صفوف الفلسطينيين؛ وشارفت السُّلطة الفلسطينيَّة على الانهيار.

بعد أنْ هدأت جذوة الانتفاضة الفلسطينيَّة لعام 2000م؛ رأت حماس أنْ تدخل شريكًا في صناعة القرار الفلسطينيِّ من خلال الدُّخول في السلطة. جرت انتخابات تشريعية عام 2006م بمشاركة حماس، وكانت النَّتيجة أنْ فازت الحركة، وصعدت للحكم عن طريق المجلس التَّشريعيِّ، وشكلت الحكومة. ولكنْ لم تلق هذه الحكومة ترحيبًا دوليًّا، وتم فرض عقوبات عليها من قبل إسرائيل وحلفائها. لم يكتب لتجربة حماس النَّجاح في الضِّفة المحتلَّة؛ بسبب الممارسات والإعاقات الَّتي واجهتها ومن أبرزها اعتقال نواب الحركة وكوادرها ورئيس المجلس التشريعي

المنتخب ووزراء حكومة حماس، وملاحقة كل ماله صلة بحماس، ولكنَّها استمرَّت في قطاع غزَّة، ومرَّت بتحدِّيات عديدة خارجية وداخلية.

على الصعيد الداخلي انتهت أبرز تلك التحديات بسيطرة حماس على زمام السُّلطة في غزَّة عام 2007م بعد اشتداد صراع صلاحيات الحكم بين حماس وفتح، ومنذ ذلك الحين أخذت حماس تبني قوَّتها، وتطوِّر قدراتها، وتدير مقاومتها للاحتلال من جهة، وتقوم بإدارة شؤون الحكم في القطاع المحاصر من جهة ثانية.

2.1 مشكلة الدِّراسة

تنحصر مشكلة الدِّراسة في محاولة معرفة تأثير حركة حماس الَّتي تحكم قطاع غزَّة على التَّنمية السِّياسيَّة، في الوقت الَّذي تدير فيه المقاومة المسلَّحة ضد الاحتلال الإسرائيليِّ. وهنا كان لا بدَّ من وضع حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس تحت مجهر البحث والتَّحليل؛ حيث لها وزن وتأثير في مسار القضيَّة الفلسطينيَّة منذ انطلاقتها، وعلى نحو خاصٍّ منذ فوزها في الانتخابات التَّشريعيَّة الفلسطينيَّة الثَّانية عام 2006م، كما أنَّ حماس تشكِّل جزءًا أساسيًّا من النَّسيج الاجتماعيِّ والسِّياسيِّ الفلسطينيِّ.

فمحاولات الإصلاح والبناء الداخلي الَّذي تدعو له حماس يواجه تحديات وصعوبات كبيرة أبرزها: عملية البناء الداخلي من خلال تنمية شاملة على الرَّغم من حالة الانقسام الَّذي يمثل تحدِّيًا داخليًّا جديداً من جهة، وواقع الحصار الَّذي فرض على قطاع غزَّة، والَّذي يمثِّل تحدِّيًا خارجيًّا من جهة ثانية، وإدارة المواجهة والصِّراع مع الاحتلال الإسرائيليّ من جهة ثالثة.

3.1 أهميَّة الدِّراسة

إنَّ دراسة تجربة حماس في الحكم والمقاومة تمثِّل أهميَّة لاعتبارات عدَّة، منها:

أوَّلاً: إنَّ حماس تمثِّل تجربة فلسطينيَّة فريدة وحديثة، قامت على الجمع بين السُّلطة والمقاومة المسلَّحة في آن واحد، بالرَّغم من وجود حصار شامل يفرضه الاحتلال الإسرائيليُّ وحلفاؤه على قطاع غزَّة.

ثانياً: خاضت حماس تجربة عسيرة في الحكم فاضطُّرت إلى إيجاد وسائل وطرائق بديلة غير تقليديَّة، تقدِّم من خلالها خدمات لشعب محاصر باعتبارها حكومة مسؤولة: فحفرت أنفاقًا، وصنعت سلاحًا، وأدارت مواجهات معقَّدة مع الاحتلال الإسرائيليّ بالتَّزامن مع عملها السِّياسيّ وإدارتها لشؤون الحكم في غزَّة.

ثالثاً: تشكِّل الدراسة حلقة تكامليَّة مع الدِّراسات الَّتي تناولت حركة حماس ودورها وتأثيرها وتفاعلها مع الواقع المحلي والمحيط الإقليمي والدولي.

رابعاً: قدمت الدراسة صياغة جديدة لمفهوم التنمية السياسية الفلسطينية وتميزت بشمولية مصادرها. والتغطية الزمنية التي شملتها الدراسة كانت ممتدة بين فترتين مهمتين في تاريخ القضية الفلسطينية (2005 – 2014)، كما أن الدراسة تعتبر حديثة بالنسبة للدراسات التي كتبت في هذا المجال وهذه الأمور مجتمعة تضفي على الدراسة طابعا ميزها عن غيرها من المصادر الأخرى التي كتبت في نفس المجال.

4.1 أهداف الدِّراسة

تسعى الدِّراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

1- دراسة أداء حماس وتحليله في الحكم والمقاومة، ومعرفة مدى انسجام كلا الاتِّجاهين، وكيف أثَّر ذلك على التَّنمية السِّياسيَّة؟

2- دراسة عوامل الضعف لتلافيها وعوامل القوة لتعزيزها في التجربة التنموية الفلسطينية.

3- تقديم نموذج حديث عن التجربة التنموية الفلسطينية لصانع القرار الفلسطيني.

5.1 فرضيَّات الدِّراسة

تفترض الدراسة أنَّ: التَّجربة الَّتي خاضتها حركة حماس في الحكم والكفاح المسلح؛ ساهمت في تعزيز عمليَّة التَّنمية السِّياسيَّة الفلسطينيَّة، وبهذا حافظت حماس على وجودها

وأصبحت أكثر براغماتيَّة، وتأخذ بالأسباب، وتوازن بين العمل السِّياسيِّ والكفاح المسلَّح، ممـــا أدَّى إلى صقل خبرتها وتجربتها السِّياسيَّة وتنميتهما.

6.1 أسئلة الدِّراسة

تنحصر أسئلة الدِّراسة في سؤالين رئيسين، وتندرج تحتهما بعض الأسئلة الفرعيَّة، وهي على النَّحو الآتي:

أوَّلاً: هل ساهمت حماس–من خلال تجربتها في الحكم– في رفع مســتوى التَّنميــة السِّياســيَّة الفلسطينية؟

1– ما موقف حماس من الشَّراكة السِّياسيَّة مع قوى الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة وفصائلها؟

2– هل استطاعت حماس التَّوفيق بين السُّلطة والمقاومة المسلَّحة؟

3– هل تؤمن حماس بالدِّيمقراطيَّة؟ وهل طبَّقت مبادئها في فترة حكمها؟

ثانياً: كيف أدارت حماس مواجهتها مع إسرائيل؟

1– ما موقف حماس من الشَّراكة في المقاومة المسلَّحة مع القوى الوطنيَّة؟ وكيف أدارت هــذا الملف؟

2– كيف تعاملت حماس مع قضية حصار قطاع غزَّة من قبل إسرائيل وأعوانها؟

3– كيف أثَّر الحصار على التَّنمية السِّياسيَّة؟

4– المقاومة لدى حماس، أهي إستراتيجيَّة مرتبطة بوجود الاحتلال، أم تكتيك تحدِّده حماس من خلال موقعها في اللُّعبة السِّياسيَّة؟

5– ما الَّذي حقَّقته حماس من خلال تجربة الجمع بين السُّلطة والمقاومة؟

7.1 منهجيَّة الدِّراسة

تعتمد الدِّراسة على المنهج الوصفيّ التَّحليليّ، بالإضافة إلى استخدام المنهج التَّاريخيِّ، ومنهج دراسة الحالة؛ فاعتماد المنهج الوصفي التَّحليليِّ يساعد في تحليل الظَّاهرة أو الحالة الدِّراسيَّة وتفكيكها. كما أنَّ استخدام المنهج التَّاريخيِّ يساعد في رسم وتأسيس خلفية معرفيَّة واضحة للدِّراسة؛ إذ لا يمكن فهم أيِّ حالة سياسيَّة وإدراكها إلَّا بالعودة إلى جذورها التَّاريخيَّة وتطوُّرها.

وستعتمد الدِّراسة أيضًا على منهج دراسة الحالة الَّذي يضع حركة حماس كأحد نماذج المقاومة الفلسطينيَّة؛ تحت مجهر المراقبة والمتابعة والتَّحليل، ورصد سلوكها بشكل مستفيض باعتبارها حالة دراسيَّة يُراد معرفة تأثيرها على العمليَّة التَّنمويَّة.

8.1 نطاق الدِّراسة

ينحصر هذا البحث في دراسة حركة حماس فاعلًا أساسيًّا ومؤثِّرًا في التَّنمية السِّياسيَّة في فلسطين، وتقتصر الحدود المكانيَّة على قطاع غزَّة، وتمتدُّ الحدود الزَّمانيَّة من عام 2005 إلى عام 2014.

9.1 الدِّراسات السَّابقة

هناك عديد من الدِّراسات الَّتي تناولت حركة حماس، وتجربتها في الحكم، والمقاومة بالدِّراسة والتَّحليل، ومن أهم تلك الدِّراسات:

خالد سليمان محمود (2004)[1]، يقول في دراسته أن:

حماس تقدمت خطوات تجاه المشاركة السياسية على المستوى السياسي وعلى مستوى المقاومة. كما أكد أن ثنائية السلطة والمقاومة لن تقود إلى إنجاز التحرير على المستوى

[1] محمود، خالد سليمان: **تأثير حركة حماس على التَّنمية السِّياسيَّة ما بين عامي (1987-2004)**، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين، 2004م.

الفلسطيني وأنه يجب ترتيب البيت الفلسطيني الداخلي على أساس برنامج يضم جميع الفصائل ويوحد بوصلتها لمواجهة التحديات الخارجية.

غسَّان سعيد يوسف (2009)[1]، خلصت دراسته إلى النَّتائج الآتية:

إنَّ ممارسة السُّلطة –بعد الانقسام الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة– في النِّظام السِّياسيّ الفلسطينيّ وتداولها لا يجري وفقًا للقواعد الدُّستوريَّة والقانونيَّة المنصوص عليها. كما تَعُدُّ الدِّراسة أنَّ قدرات النَّظام السِّياسيّ تراجعت في القيام بوظائفه الاستخراجيَّة، والتَّوزيعيَّة، والاستجابيَّة. يضاف إلى ذلك وجود عجز في مؤسَّسات النِّظام وأجهزته، يَكْمُنُ في عدم القدرة على مواجهة مشاكل وأزمات التَّنمية السِّياسيَّة وحلِّها الَّتي تعزَّزت نتيجة الصَّراع على السُّلطة. كما خلصت إلى عدم توفُّر المساواة بين المواطنين أمام القانون، وفي الاستفادة من الفرص والموارد المتاحة.

يزيد صايغ (2010)[2]:

قدمت دراسته صورة متعدِّدة الزَّوايا والاتِّجاهات للمسارات السِّياسيَّة الَّتي مرَّ بها قطاع غزَّة، خلال حكم حماس في السَّنوات الثَّلاث الأولى، بعد فوزها في الانتخابات وتشكيلها للحكومة. وأظهرت نتائج الدِّراسة أنَّ حركة حماس أثبتت نفسها حزبًا حاكمًا قادرًا على تطوير نفسه، وممارسة الحكم بطريقة فعَّالة وتصاعدية، وأنَّ حماس قادرة على أنْ تكون جزءًا من عمليَّة صناعة القرار الفلسطينيّ.

إبراهيم صالح دحبور (2013)[3] خلصت دراسته إلى:

أنَّ خطابات حماس جرى عليها تعديلات بعد اشتراكها في الانتخابات التَّشريعيَّة الثَّانية، ولكنْ بقيت الفلسفة الَّتي تقوم عليها ثابتة.

---

1 يوسف، غسان سعيد: **أثر ازدواجيَّة السُّلطة على التَّنمية السِّياسيَّة في السُّلطة الوطنيَّة الفلسطينيَّة بعد الانتخابات التَّشريعيَّة الثَّانية**، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين، 2009م.

[2] صايغ، يزيد: **ثلاث سنوات من حكم حماس في غزَّة**، سلسلة ترجمات الزَّيتونة (53)، تقرير صادر عن مركز كراون لدراسات الشَّرق الأوسط في جامعة براندیز، أيَّار 2010.

[3] دحبور، إبراهيم صالح محمد مصلح: **التَّحوُّل الدِّيمقراطيّ الفلسطينيّ وأثره على الخطاب السِّياسيّ لحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس 2006 – 2012**، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين، 2013.

أحمد وهبان (2000)[1]:

خلصت دراسته إلى أنَّه ليس من شأن الدِّيمقراطيَّة الغربيَّة –إذا طُبِّقت في مجتمع ما– أنْ تنهي مظاهر تخلُّفه السِّياسيّ كافَّة. كما عدَّ أنَّ الحداثة السِّياسيَّة ليست بالضَّرورة هي الدِّيمقراطيَّة الغربيَّة.

وائل أحمد سعد (2006)[2]:

خلصت دراسته إلى أن فوز حماس في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني 2006 مثل نقطة تحول في مسار القضية الفلسطينية ولدى الحركة نفسها، وأعطى هذا الفوز رسالة مهمة تفيد بأن نهج المقاومة الذي تقوده حماس لا زال خيارا قويا ومتصاعدا، واستطاعت حماس بهذا الفوز أن تكتسب شرعية سياسية وشعبية وظفتها لحماية المقاومة.

10.1 المفاهيم والمصطلحات

المقاومة: تعني رفض الاحتلال للتخلص منه بمختلف الوسائل المشروعة في القوانين والأعراف السَّماويَّة والإنسانيَّة والدَّوليَّة؛ وهي صنفين متكاملين:

1- المقاومة المدنيَّة: هي مقاومة بلا عنف، وهذا النَّوع من المقاومة؛ يقوم على أساس استخدام وسائل وتقنيَّات تهدف إلى شلِّ قدرة الخصم، ومواجهتة، تنطلق من تأييد الرَّأي العامّ، وتحشيده حول قضيته[3].

2- المقاومة المسلَّحة: يعتمد هذا الصَّنف بشكل كبير على المقاومة المدنيَّة ويتكامل معها؛ حيث يبدأ بمجموعات صغيرة تقوم بعمليَّات محدَّدة خاطفة وسريعة، وينتهي بجيش

---

[1] وهبان، أحمد: **التَّخلُّف السِّياسيّ وغايات التَّنمية السِّياسيَّة**، دار الجامعة الجديدة للنَّشر، الإسكندريَّة، 2000م.

[2] سعد، وائل احمد: **الحصار ومحاولات إسقاط حماس**، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، تشرين الثَّاني، ط1 2006م.

[3] عماد، عبد الغني: ***المقاومة والإرهاب في الإطار الدولي لحق تقرير المصير*، مجلة المستقبل العربي**، بيروت، عدد 275، كانون الثاني 2002، ص35-36.

من المقاومة يتمِّم عمليَّة التَّحرير. وقد تبقى مجموعات صغيرة موزعة تقوم بشن عمليات محدَّدة في المدن والشَّوارع لتهديد أمن المحتلِّ وتحطيم معنوياته[1].

الإرهاب: هو "كلُّ اعتداء على الأرواح، والأموال، والممتلكات العامَّة، أو الخاصَّة، بالمخالفة لأحكام القانون الدَّوليّ بمصادره المختلفة"[2]. وهو: "اصطلاح يستخدم في الأزمنة المعاصرة للإشارة إلى الاستخدام المنظَّم للعنف؛ لتحقيق هدف سياسيّ، وبصفة خاصَّة جميع أعمال العنف الَّتي تقوم منظَّمة سياسيَّة بممارستها على المواطنين، وخلق جوّ من عدم الأمن"[3].

أمَّا تعريف الإرهاب بواسطة عصبة الأمم عام 1937[4]؛ على أنه "جميع الأعمال الإرهابيَّة الموجَّهة ضدّ دولة ما، وتهدف أو يقصد بها خلق حالة رعب في أذهان أشخاص معيَّنين، أو مجموعة من الأشخاص، أو عامَّة الجمهور"[5].

الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة: إنَّ القوى الفلسطينيَّة الَّتي تعمل في ميدان مقاومة الاحتلال؛ تنتمي إلى الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة، وكما جاء في ميثاق الحركة الوطنية الفلسطينية الصادر عن الهيئة العربية العليا لفلسطين عام 1962 أنَّ "...الحركة الفلسطينيَّة هي حركة وطنيَّة سياسيَّة؛ هدفها إنقاذ الوطن المغتصب من أيدي الأعداء، وإعادة الشَّعب العربيّ الفلسطينيّ المشرَّد إلى هذا الوطن، وتحقيق حرِّيَّته، وكرامته، وسيادته في وطنه... والهيئة العربيَّة العليا لفلسطين هي الممثِّلة الشَّرعيَّة لكفاح الشَّعب العربيّ الفلسطينيّ، والمعبِّرة أصدق تعبير عن رغباته، وأهدافه، وإرادته، تتولَّى- بوصفها منظَّمة سياسيَّة شعبيَّة عامَّة للفلسطينيين جميعًا- قيادة هذه الحركة

---

[1] عماد، عبد الغني: **المقاومة والإرهاب في الإطار الدولي لحق تقرير المصير**، مرجع سابق، ص32.

[2] عامر، صلاح الدِّين: ***المقاومة الشَّعبية المسلَّحة في القانون الدَّوليّ العامّ***، **مجلة العلوم السياسية**، دار النَّشر بلا، سنة النَّشر بلا، ص486.

[3] هادي، رياض عزيز: ***حقوق الإنسان والعنف والإرهاب***، **مجلة العلوم السياسية**، عدد 26، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، 2002 ، ص143.

[4] الحديثي، خليل إسماعيل: ***الإرهاب الدَّوليّ، مدان قانونًا أم سياسة***، **مجلَّة العلوم السِّياسيَّة**، عدد 26، جامعة بغداد، 2002، ص151.

[5] شعبان، عبد الحسين: **الإنسان هو الأصل (مدخل القانون الدَّوليّ الإنسانيّ وحقوق الإنسان)**، تقديم محمد السيد سعيد، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ط1، 2002، ص104 -105.

الوطنيَّة، وتعمل على بلوغ هدفها. وهي تتحمَّل هذه الأمانة في هذه المرحلة العصيبة الشَّاقة الَّتي تجتازها قضيتنا الوطنيَّة، وتلتزم بالميثاق الوطنيّ الفلسطينيّ الَّذي تتمثَّل فيه أهداف الشَّعب العربيّ الفلسطينيّ، وتعتبر أنَّ المبرِّر الأوَّل لوجودها، واستمرارها في عملها هو صيانة سلامة قضيَّة فلسطين، والحيلولة دون تصفيتها، وإعادة تنظيم الشَّعب العربيّ الفلسطينيّ على الأسس الوطنيَّة الصَّحيحة؛ ليتمكن من تحقيق أهدافه، وأمانيه"[1].

التَّحديث: هو جلب رموز الحضارة الحديثة، وأدوات الحياة العصريَّة، مثل: التَّجهيزات التِّكنولوجيَّة، والأدوات والمعدَّات الآلية، والسِّلع الاستهلاكيَّة[2]. والتَّحديث يهدف إلى تطوير التَّفكير العلميِّ، وقد ركَّز علماء السِّياسة والاجتماع حول تعريفاتهم للتَّحديث على علاقة الإنسان بالبيئة–أساسًا– فيعرِّف (Black) التَّحديث على أنَّه: عمليَّة تعكس تزايد المعرفة الإنسانيَّة؛ ممَّا يسمح للإنسان بالسَّيطرة على البيئة الَّتي يعيش فيها[3]، بينما يقول أسامة الغزالي نقلا عن (Dankwart) أنَّ التَّحديث هو: عمليَّة تقوم على السَّيطرة والتَّحكُّم في الطَّبيعة من خلال التَّعاون الفعَّال بين النَّاس[4]. إذًا، فالتَّحديث عمليَّة تتمثَّل في الثَّورة التِّكنولوجيَّة الَّتي حملت معها اتِّجاهات مهمَّة في مختلف الاتِّجاهات كالتَّصنيع والاتِّصال والتَّنمية.

التَّحديث السِّياسيّ: التَّنمية السِّياسيَّة ترتبط بالتَّحديث في المجال السِّياسيّ؛ حتَّى أصبح "التَّحديث السِّياسيّ" يتكون من مفهومين: التَّحديث، والتَّنمية السِّياسيَّة. وهذان المفهومان متمايزان تحليليًّا، ولكنَّهما متداخلان فعليًّا، الأمر الَّذي يسمح بالحديث عن وجود علاقة (دياليكتيَّة) بين الظَّاهرتين؛ فالنُّخب السِّياسيَّة في سعيها –جزئيًّا– لتعظيم قوَّتها وسلطتها، قد تسعى إلى تحقيق عمليَّات التَّحديث، والإسراع بها في داخل مجتمعاتها[5].

---

[1] أرض فلسطين للدِّراسات والتَّوثيق، وثائق فلسطينيَّة، ميثاق الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة الصَّادر عن الهيئة العربيَّة العليا برئاسة المفتي الحاج أمين الحسينيّ بتاريخ 1962، http://bit.ly/1Cz4GU0.

[2] عارف، نصر محمد: ***في مفاهيم التَّنمية ومصطلحاتها***، **مجلَّة ديوان العرب**، القاهرة، حزيران 2008، ص8.

[3] Cyril E. Black, The Dynamics of Modernization (New york Harper and Row, 1966),p.7

[4] حرب، أسامة الغزاليّ: **الأحزاب السِّياسيَّة في العالم الثَّالث**، سلسلة عالم المعرفة رقم 117، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب في الكويت، أيلول 1987، ص28.

[5] المرجع السابق، ص28–29.

الحرِّيَّة: "ممارسة الطَّاقات الإنسانيَّة حتَّى منتهاها، مع الحفاظ على التوازن بين هذه الطاقات[1]"، فهو يبين أنَّ الإنسان بالإضافة لمكوناته الماديَّة(العضويَّة) فهو أيضًا طاقات معنويَّة (روحيَّة، ونفسيَّة)، وفي تكاملها تعبِّر عن التَّكامل الإنسانيّ، وتشكِّل الطَّاقات الجسديَّة والمعنويَّة جميعها التَّركيب الإنسانيّ. وهي موجودة لحكمة تقتضي ممارسة دور معيَّن؛ فكلُّ واحدة من هذه الطَّاقات لها وظيفتها في مواجهة ظروف معيَّنة، أو التَّعبير عن أوضاع معيَّنة سواء أكانت داخل الذَّات أم خارجها، فطاقة هضم الطَّعام وامتصاصه موجودة بهدف الحفاظ على الحياة عبر الأكل، أمَّا الطَّاقة الذِّهنيَّة فموجودة لجعل الحركة الإنسانيَّة واعية وهادفة، والعاطفة موجودة للتَّعبير عن خلجات إنسانيَّة[2].

حركة حماس: تُعرِّف نفسها على أنَّها حركة وطنيَّة فلسطينيَّة، وأنَّها حركة مؤسَّسية شاملة، تعمل في مختلف الميادين، تمثِّل مقاومة الاحتلال عمودَها الفقريّ، ومشروعها الاستراتيجيّ، وتعدُّ نفسها جزءًا لا يتجزَّأ من أمَّتها العربيَّة والإسلاميَّة.

إنَّها حركة تحرُّر وطنيّ؛ تؤمن بوحدة شعبها في أماكن وجوده كافَّة في الدَّاخل والخارج، وتؤمن بوحدة مكوِّناته الدِّينيَّة (مسلمين، ومسيحيِّين)، والسِّياسيَّة، والفكريَّة. والملاحظ أنَّ حماس تحصر مقاومتها ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ فقط، وليس لها أيّ معركة مع أيّ طرف في العالم، والمقاومة عند حماس وسيلة لا غاية.

تقول حماس: إنَّها لا تقاتل وتقاوم الإسرائيليِّين لأنَّهم يهود، بل لأنَّهم محتلون. فحماس لا مشكلة لديها مع أحد بسبب دينه، أو عرقه، أو طائفته، أو فكره. وقرار حماس ينبع من قيادتها ومؤسَّساتها القياديَّة، ولا دخل لأحد في قرارها بحسب ما تقول، وليست متداخلة تنظيميًّا مع أيِّ تنظيم، أو حزب، أو دولة.

وتقول عن نفسها أيضًا: أنَّها تؤمن بالدِّيمقراطيَّة، وتمارسها في نفسها، ومع شعبها، وشركائها في الوطن، وتلتزم بخيار الانتخابات، والاحتكام إلى صناديق الاقتراع في بناء النِّظام

---

[1] قاسم، عبد الستَّار: **الحرِّيَّة والتَّحرُّريَّة والالتزام في القرآن**، نابلس: مركز الدِّيمقراطية وتنمية المجتمع، ط1، 2012، ص21.

[2] المرجع السابق، ص21.

السِّياسيّ الفلسطينيّ، وبناء مختلف مؤسَّسات الوطن، وبمشاركة الأطراف جميعها. كما تؤمن بالشَّراكة والتَّعاون مع الآخرين، والتَّعايش مع الآراء المخالفة[1]، وحماس هو الاسم المختصر لـ "حركة المقاومة الإسلاميَّة"[2].

كتلة التَّغيير والإصلاح: هي الكتلة البرلمانيَّة الَّتي مثَّلت حماس في الانتخابات التَّشريعيَّة لعام 2006.[3]

المشاركة السِّياسيَّة: هي حقُّ المواطن في أنْ يؤدِّي دورًا معيَّنًا في عمليَّة صنع القرارات السِّياسيَّة، هذا في أوسع معانيها، وفي أضيق معانيها تعني: حقَّ ذلك المواطن في أنْ يراقب تلك القرارات بالتَّقويم، والضَّبط، عقب صدورها من الحاكم[4].

لا يمكن تحقيق أهداف التَّنمية دون مشاركة فعليَّة وحقيقيَّة من قبل شرائح المجتمع بمختلف انتماءاتهم. وعليه يمكن القول: إنَّ المشاركة السِّياسيَّة تعدُّ المظهر الرَّئيس للدِّيمقراطيَّة؛ حيث إنَّ ازدياد المشاركة السِّياسيَّة من قبل الشَّعب في العمليَّة السِّياسيَّة؛ يمثِّل التَّعبير الحقيقيّ عن الدِّيمقراطيّة[5].

11.1 أقسام الدِّراسة

تتكوَّن الدِّراسة من ثلاثة أقسام رئيسة على النَّحو الآتي:

الفصل الأوَّل: مقدمة الدراسة ومنهجيتها

يحتوي على مقدِّمة الدِّراسة، وفيها: بيان لمشكلة الدِّراسة، والأسئلة، والفرضيَّات، والمنهجيَّة المتَّبعة، والدِّراسات السَّابقة، والإطار الإيتومولوجيّ للمفاهيم والمصطلحات.

---

[1] حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، تعريف بالحركة – من نحن، http://bit.ly/1Hp4yW5.

[2] شهاب، زكي: **حماس من الدَّاخل**، إبداع للأبحاث والدِّراسات والتَّدريب، سلسلة دراسات(2)، غزَّة: معهد فلسطين للدِّراسات الإستراتيجيَّة، 2009، ص17.

[3] كتلة التَّغيير والإصلاح: البرنامج السياسي، http://bit.ly/1DgNJ17.

[4] مزيان، نجيم: ركائز التَّنمية السِّياسيَّة، http://bit.ly/1JcVZf2.

[5] المرجع السابق.

إضافة إلى ذلك تمَّ الحديث عن مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة، ومجالاتها، والمفاهيم والنَّظريَّات المرتبطة بها.

الفصل الثاني: مقدِّمة تمهيديَّة حول المفاهيم والمصطلحات

يحتوي هذا الفصل على مراحل التَّطوُّر التَّاريخيِّ للتَّنمية السِّياسيَّة وتعريف معنى التنمية السياسية وفلسفتها، وصياغة جديدة لفهوم التنمية السياسية وخصائصها ونظرياتها.

الفصل الثالث: المسار السِّياسيّ لحركة حماس2005-2014

يتحدَّث عن الخلفيَّة التَّاريخيَّة لحركة حماس، وأهمّ المحطَّات الَّتي شكَّلت مفاصل مهمَّة في تاريخها ومسيرتها. ثمَّ يتحدَّث عن أبرز التَّحولات في مسار الحركة، وانتقالها من محور المعارضة إلى محور السُّلطة، وصراع الصَّلاحيات بين فتح وحماس، الَّذي أفضى إلى سيطرة حماس على الحكم في قطاع غزَّة حتَّى الآن، كما يرصد تجربة حماس في الحكم وأداءها السِّياسيّ، ومتابعة أبرز مواقفها وعلاقاتها مع محيطها الإقليميّ والدَّوليّ، وكيفية توظيف ملفّ المقاومة وتفعيله على السَّاحة الدَّوليَّة.

ويتناول هذا الفصل أيضًا مستويات المقاومة، وأشكالها أو"إيقاع المقاومة" -إنْ جاز التَّعبير- الَّتي اتَّبعتها حماس على الصَّعيد الدَّاخليّ، والخارجيّ، وتعاطيها مع كسر الحصار، والإستراتيجيَّة الَّتي تتبنَّاها وتدعو إليها.

وتركِّز الدِّراسة في هذا الفصل على ربط التَّحديث السِّياسيّ بالعمليَّة التَّنمويَّة في جانب تعظيم قدرات المقاومة، وإدارة حماس المواجهة مع إسرائيل، وتحليل أبعادها وآثارها.

الفصل الرابع: مؤشرات التَّنمية السِّياسيَّة في ظلّ حكم حماس

يستعرض الباحث هنا بعض مؤشِّرات التَّنمية السِّياسيَّة في الفترة الزَّمنيَّة الَّتي ترصدها الدِّراسة؛ وهي الفترة الَّتي كانت فيها حماس تستلم مقاليد الحكم والسُّلطة في قطاع غزَّة. وعمد الباحث إلى رصد المؤشِّرات الآتية: التَّعدُّديَّة، ومبدأ الشَّراكة في العمل السِّياسيّ والعسكريّ،

والحرِّيَّات، وخطاب حركة حماس بعدما استلمت السُّلطة، وتحليل بعض المصطلحات، وأبعادها، وغاياتها الَّتي عدَّلتها حماس في خطابها.

وفي نهاية الدراسة جاءت خاتمة الدِّراسة، الَّتي تضمَّنت أهمَّ النَّتائج الَّتي توصَّل إليها الباحث، والتَّوصيات المقترحة بناءً على معطيات الدِّراسة ونتائجها الَّتي يمكن أنْ تكون بمثابة تغذية راجعة للنُّخب الأكاديميَّة، والسِّياسيَّة الفلسطينية، وصنَّاع القرار، والباحثين في مجال التَّنمية السِّياسيَّة.

أمَّا في نهاية الدِّراسة فتمَّ توثيق أهمِّ الملاحق والوثائق الَّتي اعتمد عليها الباحث في دراسته، بالإضافة إلى المراجع الَّتي وَثَّقَ بها المعلومات الواردة في الدِّراسة.

الفصل الثاني

مقدِّمة تمهيديَّة حول المفاهيم والمصطلحات

الفصل الثاني

مقدِّمة تمهيديَّة حول المفاهيم والمصطلحات

قبل الدُّخول في صلب الدِّراسة، كان لا بدَّ من التَّعريج على بعض الأسس المهمَّة وتوضيحها؛ ولعلَّ أهمَّها هي تلك المفاهيم والمصطلحات الَّتي تشكِّل نقطة انطلاق في البناء الفكريّ، والمعرفيّ، والحضاريّ، آخذين بالاعتبار أنَّ عمليَّة بناء المفاهيم ليست كتلة صمَّاء للمفاهيم المعرفيَّة جميعها؛ فهناك مفاهيم مستقرَّة وأخرى متغيِّرة[1].

إنَّ المفاهيم تشكِّل عمليَّة جوهريَّة في صميم قضيَّة الهويَّة، وهي تعبير وانعكاس للجوهر الحضاريّ؛ إذ إنَّها ليست سوى منظومة فكريَّة يفترض فيها الانسجام بين العناصر، والوحدات المفاهيميَّة المتعدِّدة والمتنوِّعة الَّتي تتضمَّنها، ولا يمكن رؤيتها إلَّا عناصر متراتبة متراكمة؛ تؤثِّر على موقعها في البنية المعرفيَّة، وقيمتها في السِّياق الفكريّ، وحجِّيَّتها في العمليَّة الحضاريَّة الممتدَّة[2].

تتناول هذه الدِّراسة مفاهيم تنتمي إلى حقل العلوم الإنسانيَّة الَّتي تمتاز عمومًا بأنَّها مفاهيم واسعة ومرنة، ويمكن معالجتها بالتَّعديل، والتَّطوير، والإضافة، ومن ثمَّ إسقاطها لتتلاءم مع البنية المعرفيَّة، والخصوصيَّة الحضاريَّة، والسِّياق التَّاريخيِّ للأمَّة.

وعلى هذا النَّحو فإنَّ تحليل بنية أيِّ حضارة يرتكز غالبًا على ثلاثة عناصر، وهي: المفاهيم، والعلاقات الَّتي تؤلِّف من المفاهيم حقلًا، والعلاقات الَّتي تشكل من الحقول نسقًا. وتأتي المفاهيم من البناء الفكري لأيِّ نسق معرفيّ[3]. ونظرًا لأهميَّة المفاهيم كان لا بدَّ من العناية بها وتوضيحها؛ لتشكِّل النَّواة الأساسيَّة الَّتي تقوم عليها الدِّراسة.

---

[1] غانم، إبراهيم البيوميّ وآخرون: **بناء المفاهيم؛ دراسة معرفيَّة ونماذج تطبيقيَّة**، 1مج، ط1، القاهرة، دار السَّلام، 2008، ص27.

[2] المرجع السابق، ص28.

[3] المرجع السابق، ص31.

هنا لا بدَّ من إيضاح فكرة تأسيسيَّة تنبني عليها هذه الدِّراسة وتنطلق منها، تتجسَّد هذه الفكرة في عبارة شائعة، ومتداولة بين المفكرين، والعلماء، والمثقفين؛ وهي أنَّه "لا مشاحَّة في الألفاظ والمصطلحات"[1]. وهذا يعني أنَّه لا ضير ولا حرج من استخدام المصطلح –أيّ مصطلح– بصرف النَّظر عن البيئة الحضاريَّة، أو الإطار الفكريّ، أو الملابسات العقديَّة والفلسفيَّة الَّتي نشأ فيها، على اعتبار أنَّ الألفاظ ذات الدِّلالة الاصطلاحيَّة؛ هي ميراث للحضارات كلِّها، ولألوان المعرفة جميعها، ولبني الإنسان كلِّهم. وهنا يتَّفق الباحث من النَّاحية المبدئة أنَّه" لا مشاحَّة في الألفاظ والمصطلحات"، مع الاحتفاظ بحقّ ضبط المفهوم، أو المصطلح بالتَّعديل، أو الإضافة، أو التَّطوير؛ ليحسن إسقاطه في سياق الخصوصيَّة الثقافيَّة والحضاريَّة لأمَّة من الأمم.

إنَّ المصطلح وعاء يوضع فيه مضمون من المضامين ويتم توظيفه كأداة تحمل رسالة المعنى، عندها سنجد صلاحية وصلاح الكثير من المصطلحات؛ لأداء دور الأوعية، والأدوات على امتداد الحضارات المختلِّفة[2].

وفي هذا الفصل من الدِّراسة سنلقي الضَّوء على أهمِّ المفاهيم المؤسِّسة للدِّراسة، والمبنيَّة عليها، ونقطة البدء ستكون من تجلية مفهوم التَّنمية، ومراحل تطوُّرها التَّاريخيّ، ومعناها، وفلسفتها، ومن ثمَّ الانتقال للتَّنمية السِّياسيَّة ونظريَّاتها، وأهمِّ المفاهيم المرتبطة بها والمتفرِّعة عنها. وهنا لا بدَّ من الأخذ بعين الاعتبار استثنائيَّة وخصوصيَّة التَّجربة الفلسطينيَّة في العمليَّة التَّنمويَّة، كونها تجربة تمرُّ بظروف اقتصاديَّة وسياسيَّة مرهونة بدرجة كبيرة بسياسة الاحتلال، وممارساته الَّتي أعاقت حدوث التَّنمية في فلسطين لفترات طويلة.

1.2 مراحل التَّطوُّر التَّاريخيِّ للتَّنمية السِّياسيَّة

تاريخيًّا يمكن إرجاع الاهتمام بشأن التَّنمية السِّياسيَّة إلى ستينات القرن المنصرم، رغم أنَّ البوادر الحقيقية ظهرت مع انتهاء الحرب العالميَّة الثَّانية وأوائل الخمسينات؛ أيْ مع ظهور

[1] عمارة، محمد: **معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام**، نهضة مصر، ط2، 2004، ص3.

[2] المرجع السابق، ص3.

"المدرسة السُّلوكيَّة"[1] الَّتي أعطت كثيرًا من اهتمامها لمفهوم الظَّواهر السِّياسيَّة باستعمال مناهج علميَّة، والمزاوجة بين ماهو نظريّ، وبين ما هو ميدانيّ تجريبيّ[2].

لقد تمَّ إنشاء مجلس أبحاث للعلوم الاجتماعيَّة في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة سنة 1923، حيث كانت المبادرات الأولى للأبحاث من طرف مختلف الأجهزة الحكوميَّة الأمريكيَّة الَّتي قامت بعمليَّة البحث وجمع المعلومات، وإقامة الدِّراسات الخاصَّة بالأوضاع السِّياسيَّة، ونظم الحكم، والإدارة في الأقاليم غير الغربيَّة المختلفة من أمريكا اللاتينيَّة وآسيا وإفريقيا؛ أيْ في المنطقة الَّتي أصطلح عليها لاحقًا "بالعالم الثَّالث"[3].

لقد بدأت بوادر مفهوم التَّنمية تتسلَّل إلى حقل السِّياسة في أعقاب الحرب العالميَّة الثَّانية؛ حيث ظهر كحقل منفرد، يهتمُّ بتطوير البلدان غير الأوروبيَّة تجاه الدِّيمقراطيَّة، والمشاركة السِّياسيَّة الواسعة. إنَّ العالم اليوم يعيش عصر التَّنمية، هذا العصر الَّذي افتتحه الرَّئيس الأمريكيّ (Truman) بخطابه الشَّهير في 20 كانون ثاني 1949[4]، والَّذي دعا فيه العالم إلى دخول عصر التَّنمية[5].

ومع دخول الحرب الباردة بدأت تتشكَّل منظومة قيميَّة عالميَّة جديدة في بنية النِّظام الدَّوليّ؛ حيث صعدت اللِّيبراليَّة الغربيَّة بقيادة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، بينما كان السُّقوط والانهيار مصير المنظومة الاشتراكيَّة للاتِّحاد السُّوفياتيّ. وهذا أدَّى إلى تصاعد موجة الدِّيموقراطيَّة في عديد من دول العالم، كما أدَّى إلى تغيُّر في المفاهيم؛ حيث تعدُّ مرحلة ما بعد

---

[1] ظهرت المدرسة السُّلوكيَّة خلال الخمسينات من القرن 20، وهدفت لمعالجة الظَّواهر الدَّوليَّة من خلال سلوك الأفراد والجماعات، معنيَّة بصنَّاع القرار، وقد تبلورت في السِّتينات من القرن الماضي. ينظر: عبد الحكيم سليمان وادي، ملخَّص حول النظريَّات في- العلاقات الدَّوليَّة، مركز راشيل كوري الفلسطينيّ لحقوق الإنسان ومتابعة العدالة الدَّوليَّة، http://bit.ly/1HoLEfN.

[2] سمينة، نعيمة وآخرون: التَّنمية السِّياسيَّة قراءة في الآليات والمداخل والنظريَّات الحديثة، مركز النُّور للدِّراسات، ص3. http://www.alnoor.se//extra/1/61.pdf.

[3] المرجع السابق، ص3.

[4] The president describes the difference between Communism and democracy. /January 20, 1949 http://to.pbs.org/1DEXlxi.

[5] غانم، إبراهيم البيوميّ وآخرون: **بناء المفاهيم؛ دراسة معرفيَّة ونماذج تطبيقيَّة**، مرجع سابق، ص434.

الحرب الباردة ميلادًا لمرحلة جديدة مختلفة في العلاقات الدَّوليَّة والسِّياسة العالميَّة، وذلك بانتقال المفاهيم وتحوُّلها من الاستنزاف إلى التَّنمية، ومن القوَّة الخشنة إلى القوَّة النَّاعمة[1].

2.2 معنى التَّنمية

تطالعنا بعض المصادر اللُّغويَّة بمعاني التَّنمية، والظَّاهر أنَّ لها معاني مختلفة، ومفردات وافرة، ودلالات متعدِّدة وواسعة في لغة الضَّاد. وسنورد هنا المعنى الَّذي يخدم الدِّراسة، ويجلي مقصود التَّنمية فيها من النَّاحية اللُّغويَّة.

التَّنمية من الأصل الثُّلاثيِّ (نمي)، وقد وردت في لسان العرب كلمة النَّماء بمعنى: الزِّيادة، ونَمَى يَنْمِي نَمْيًا ونُمِيًّا ونَماءً: زاد وكثر، وربما قالوا: يَنْمُو نُمُوًّا[2]. وورد في مقاييس اللُّغة أنَّ النُّون والميم والحرف المعتلَّ أصل واحد يدلُّ على ارتفاع وزيادة. ونمَى المالُ ينمِي: زاد. ونَمَى الخِضَابُ يَنْمِي ويَنُمو، إذا زاد حمرةً وسوادًا، وتنمَّى الشَّيء: ارتفعَ من مكان إلى مكان. قال الشَّاعر:

يا حُبَّ ليلى لا تغيَّرْ وازدَدِ وانمِ كما يَنْمِي الخِضَابُ في اليَدِ[3]

3.2 تعريف التَّنمية

تعدَّدت أوجه تعريف التَّنمية بحسب أهدافها وغاياتها، فتعريف التَّنمية لا يقتصر على البعد الاقتصاديّ، دون أخذ الأبعاد الأخرى بعين الاعتبار؛ حيث أضحى مفهوم التَّنمية يتضمَّن أبعادًا أخرى: اجتماعيَّة، وسياسيَّة، وثقافيَّة؛ أيْ إنَّها عمليَّة تغيير شاملة تستهدف القضاء على أنواع التَّخلُّف الاقتصاديّ، والاجتماعيّ جميعها. التَّنمية عمليَّة ذات نظرة شموليَّة لعناصر البنية الاجتماعيَّة كلِّها، وهي تأخذ بالحسبان أنَّ الإنسان هو غاية التَّنمية ووسيلتها.

---

[1] لعجال، ليلى: **واقع التَّنمية وفق مؤشِّرات الحكم الرَّاشد في المغرب العربيّ**، منتوري، جامعة قسنطينة، 2010.

[2] الباحث العربي: لسان العرب، النَّتائج حسب المصدر نمي، http://bit.ly/1HXEN2C.

[3] الباحث العربي: مقاييس اللُّغة، مادَّة (نَمي). http://bit.ly/1M1KWKI .

ومن هنا يمكن القول بأنَّ التَّنمية هي: "عمليَّة تغيير مستمرَّة، ومتصـــاعدة، وموجَّهـــة؛ لتحقيق احتياجات المجتمع الماديَّة وغير الماديَّة"[1].

ويعرِّفها إبراهيم العيسويّ بأنَّها "عمليَّة تحرُّر إنسانيّ، تشمل تحرير الفرد مـــن الفقـــر، والقهر والاستغلال، وتقييد الحريَّة، كما تشمل تحرير المجتمع من ذلِّ الاعتماد علـــى الخـــارج، وتخليصه من قيود التَّبعيَّة بكلِّ ما تحمله من استغلال وتقييد للإرادة الوطنيَّة، وهشاشـــته أمـــام الصَّدمات الخارجيَّة"[2].

يتَّضح من خلال هذا التَّعريف أنَّ محور التَّنمية يدور حول الإنسان؛ فهو محلُّ الاهتمام الأوَّل، وهو الرَّافعة الأساسيَّة للمجتمع، وانتقاله من الجمود والتَّبعيَّة والتَّراجع إلـــى فضـــاءات الحريَّة والتَّقدُّم والازدهار؛ لذلك يجب تحرير الفرد أوَّلًا لتنطلق كوامنه الدَّفينة، وتنطلق إبداعاته، ويعمّ عطاؤه؛ لتتحقَّق بذلك العمليَّة التَّنمويَّة بشكل حقيقيّ، وتُحدث التَّغيير المنشود للمجتمع عبر تحقيق حريَّة الإنسان. ويكفي هنا الإشارة لمعنى الحريَّة كما عبَّر عنها عبد السَّتَّار قاســـم بأنَّهـــا "ممارسة الطَّاقات الإنسانيَّة حتَّى منتهاها، مع الحفاظ على التَّوازن بين هذه الطَّاقات"[3].

وإذا كان الغرب الَّذي صدَّر مفهوم التَّنمية في بداية الأمر لدول العالم الثَّالث، فتلك رؤيته ونظرته المستلهمة من ثقافته ومكوناته الحضارية، بينما إذا أردنا تقـــدُّمًا لمجتمعاتنـــا بـــالمعنى الحقيقيّ للتَّغيير والارتقاء، فالسَّبيل الأقوم يكون عندما نتناول بحذر وانتباه ووعي مفهوم التَّنمية، ونضعه في وعاء يناسبنا ثقافيًّا، وحضاريًّا، وتاريخيًّا، ونحقِّق العمليَّة التَّنمويَّـــة، ونطبِّقهـــا بمـــا يناسبنا من أدوات ووسائل؛ لتؤتي العمليَّة التَّنمويَّة أُكلها، وتحقِّق غرضها، وهي إحياؤنا وتقدُّمنا لمستويات أفضل، وليس إخراجنا من مكوِّناتنا الحضاريَّة، والثَّقافية، وتذويب الهُوِيَّة[4].

---

[1] الشَّمريّ، حميد حسين كاظم: دور التَّنمية السِّياسيَّة في بناء النِّظام السِّياسيّ والتَّطوُّر الدِّيمقراطيّ، مجلَّة الفـــرات، العـــدد السَّادس، http://bit.ly/1TxpkIl.

[2] التَّنميـــة المحليَّـــة: المؤسَّســـات الصَّـــغيرة والمتوسِّـــطة، الفصـــل الأوَّل مـــن الدِّراســـة، الإطـــار النَّظـــريّ، http://bit.ly/1MmaGzE.

[3] قاسم، عبد السَّتَّار: **الحريَّة و التَّحرريَّة والالتزام في القرآن**، مرجع سابق، ص21.

[4] الشَّمريّ، حميد حسين كاظم: **دور التَّنمية السِّياسيَّة في بناء النِّظام السِّياسيّ والتَّطوُّر الدِّيمقراطيّ**، مرجع سابق.

ويكاد يكون هناك اتِّفاق بين الباحثين على أنَّ التَّنمية هي عمليَّة حضاريَّة مدروسة ومخطَّطة؛ تهدف إلى إيجاد تحوُّلات كبيرة في مختلف قطاعات الدَّولة والمجتمع، وبعبارة أخرى إنَّ التَّنمية تهدف إلى نقل المجتمع من حالة التَّخلُّف إلى حالة التَّقدُّم في مجالات الحياة جميعها، وتحقيق العيش السَّعيد للمواطنين، وتطوير الإنسان، وإنقاذه من حالة التَّخلُّف إلى حالة يمكن أنْ يساهم في عمليَّات البناء الشَّامل للمجتمع.

هذا الأمر بحاجة إلى وجود بلد مستقلٍّ، ومُحَقِّق للوحدة الوطنيَّة، ومتمتِّع بقدر كافٍ من الاستقرار السِّياسيّ؛ إذ لا وجود للتَّنمية الشَّاملة في ظلِّ مجتمع تُعاني وحدته الوطنيَّة من المشاكل ولا سيَّما ظاهرة عدم الاستقرار السِّياسيّ، وهذا ما يؤدي إلى تسخير الطَّاقات والجهود كلِّها من أجل تثبيت أركان النِّظام القائم، وتدعيم حالة الاستقرار السِّياسيّ فيها.

إنَّ الأنظمة السِّياسيَّة الَّتي تتمتَّع بنوع كافٍ من الاستقرار السِّياسيّ؛ هي تلك الأنظمة الَّتي تمكَّنت من بناء آليات، ومؤسَّسات تتيح أكبر قدر ممكن من الحراك الاجتماعيّ، وتداول القوَّة الاقتصاديَّة، والسِّياسيَّة، بين أفراد المجتمع. إضافة إلى ذلك فإنَّ الإقرار بمبدأ التَّعدُّديَّة السِّياسيَّة لا يعني وحده بأنَّ الدِّيمقراطيَّة قد تحقَّقت، فالدِّيمقراطيَّة تعني قبل كلِّ شيء منع احتكار السُّلطة والثَّروة من قبل فريق واحد أو طائفة اجتماعيَّة معيَّنة[1].

إذًا، يبدو أنَّ المناخ الملائم والبيئة المناسبة للتَّنمية؛ هو الاستقرار السِّياسيُّ، فالحكومة القويَّة الَّتي يمكنها تحقيق استقرار سياسيّ –سواء أكانت ديمقراطيَّة أم سلطويَّة– يمكنها أنْ تحقِّق التَّنمية إذا أرادت[2]. وهنا يشير عبد القادر عطيَّة إلى أنَّه لا توجد علاقة محدَّدة بين التَّنمية والدِّيمقراطيَّة؛ بمعنى أنَّه لا يمكن القول بأنَّ الدُّول جميعها الَّتي تسلك سُبُل الدِّيمقراطيَّة تحقِّق تنمية، أو أنَّ الدُّول جميعها الَّتي تتخلَّى عن الدِّيمقراطيَّة لا تستطيع أنْ تحقِّق تنمية، وإنَّما ما يمكن قوله هو: إذا كانت الدِّيمقراطيَّة قادرة على تحقيق الاستقرار السِّياسيّ في المجتمع، فإنَّ هناك إمكانيَّة كبيرة لتحقيق التَّنمية[3].

---

[1] الشَّمريّ، حميد حسين كاظم: **دور التَّنمية السِّياسيَّة في بناء النِّظام السِّياسيّ والتَّطوُّر الدِّيمقراطيّ**، مرجع سابق.

[2] عطيَّة، عبد القادر محمد عبد القادر: **اتِّجاهات حديثة في التَّنمية**، الإسكندريَّة، الدَّار الجامعيَّة، ط 1999، ص153.

[3] المرجع السابق، ص226.

بناءً عليه–وكي تحقِّق التَّنمية أهدافها بشكل عامّ وتصل غاياتها– يجب أنْ يتوفَّر الحدّ الأدنى من الاستقرار السِّياسي؛ لتبدأ عجلة التَّنمية بالدَّوران، وكلَّما تحقَّق الاستقرار وارتفعت نسبته، كلَّما تحقَّقت فرص التَّنمية بدرجة أكبر، فالعلاقة هي علاقة طرديَّة.

وهنا نجد تفهُّمًا وإدراكًا مستلهمًا من الدَّولة –ينطلق من منطق الفلسفة السِّياسيَّة– أنْ تبذل الدَّولة أقصى طاقاتها للحفاظ على كينونتها، وتعظيم قدراتها، وحماية جبهتها الدَّاخلية والخارجيَّة من أيِّ قلاقل، أو مخاطر تؤثِّر في استقرارها.

4.2 فلسفة التَّنمية

يرى لفيف من الفلاسفة والمفكرين أنَّ التَّنمية تقوم على فلسفة تختصُّ بالأفكار، والافتراضات الأساسيَّة في عمليَّات التَّنمية الَّتي تتمّ أو خطِّط لها على نطاق الإنسان، والمجتمعات والطبيعة، وغيرها. وهذا يعدُّ مجالًا للنَّماء والكثرة، واستبدال الحال بالحال، والتَّقدُّم درجات في سلم الرَّخاء، وتحسين ظروف الحياة.

لقد تعدَّدت الرُّؤى واختلفت التَّوجُّهات لدى الفلاسفة والمختصِّين في مجالات التَّنمية في المحور الرَّئيس الَّذي تدور حوله عملية التَّنمية؛ فمنهم من رأى أنَّ الإنسان هو محور التَّنمية، ومنهم من قال: إنَّ المجتمع هو محورها، وذهب فريق ثالث إلى أنَّ البيئة والطَّبيعة هي المحور الَّذي تدور حوله التَّنمية، وأنَّ الإنسان استفاد ممَّا يحدث حوله في مجالات الحياة المختلفة وعلومها كالعلوم الطَّبيعيَّة، والاجتماعيَّة.

فلسفة التَّنمية هي إذًا تلك الأفكار، والتَّصوُّرات، والمناهج، والوسائل الَّتي يتَّبعها ويعتقدها –بوعي كامل أو منقوص– مخطِّطو ومنفِّذو التَّنمية الَّتي يستخرجها فلاسفة التَّنمية من ظاهر المعرفة، ومخزونها، عند أولئك النَّفر، مستخدمين في ذلك: التَّأمل، وطرائق التَّفكير، وأساليب الفلسفة في العلم والبحث. كما أنَّ فلسفة التَّنمية تعني ما يمكن استنباطه من أعمال منفِّذي التَّنمية ودراساتهم[1].

[1] عمر، إبراهيم أحمد: **فلسفة التَّنمية رؤية إسلاميَّة**، سلسلة أبحاث علمية(4)، قضايا الفكر الإسلاميّ، الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، فرجينيا، هيرندن، المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، ط2، 1413هـ/ 1992م، ص14– 19.

5.2 صياغة جديدة لمفهوم التَّنمية السِّياسيَّة

يعدُّ مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة من المواضيع متعدِّدة الأوجه، والحديثة نسبيًّا، ورافق تطوُّر هذا المفهوم عديد من المصطلحات السِّياسيَّة في العالم؛ تلتقي في كثير من جوانبها بالتَّنمية السِّياسيَّة، والتَّحديث السِّياسيّ، والتَّحول الدِّيمقراطيّ، والتَّعدديَّة[1].

إنَّ مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة – من وجهة نظر الباحثين الَّذين سنتعرض لآرائهم – محلُّ خلاف ومتعدد الأوجه كما أسلفنا، ولكنْ توجد مؤشِّرات يمكن القياس والبناء عليها، فالتَّنمية السِّياسيَّة كما أوردها أحمد وهبان نقلاً عن السَّيِّد الزَّيَّات أنها: "عملية سسيوتاريخيَّة، متعدِّدة الأبعاد والزَّوايا، تستهدف تطوير أو استحداث نظام سياسيّ عصريّ، يستمدُّ أصوله الفكريَّة من نسق أيديولوجيّ تقدُّميّ ملائم، ينَّسق مع الواقع الاجتماعيّ والثَّقافيّ للمجتمع، ويشكِّل أساسًا مناسبًا لعمليَّة التَّعبئة الاجتماعيَّة، ويتألَّف بناء هذا النِّظام من مجموعة من المؤسَّسات السِّياسيَّة (الرَّسميَّة والطَّوعيَّة)، الَّتي تتمايز عن بعضها بنائيًّا، وتتبادل التَّأثير فيما بينها جدليًّا، وتتكامل بعضها مع بعض وظيفيًّا، وتمثِّل في الوقت نفسه الغالبيَّة العظمى من الجماهير وتعكس مصالحها، وتهيِّئ المناخ الملائم لمشاركتها في الحياة السِّياسيَّة بشكل إيجابيّ وفعَّال؛ يساعد على تعميق وترسيخ حقائق وإمكانات التَّكامل الاجتماعيّ والسِّياسيّ، ويتيح الفرصة لتوفير أوضاع مواتية؛ لتحقيق الاستقرار داخل المجتمع بوجه عامّ"[2].

التَّنمية السِّياسيَّة عند أحمد وهبان تأخذ في الحسبان التَّاريخ السِّياسيّ المرتبط بميراث الأمَّة الحضاريّ، والثَّقافيّ، والنَّسق الأيدولوجيّ المكوِّن لفكرها، وبالتَّالي فإنَّ العمليَّة التَّنمويَّة تتفاعل مع هذه المكوِّنات من خلال مؤسسات المجتمع السِّياسيّ الَّتي تُعبِّر عن مصالح المجتمع، ونرى أنَّ هذا التَّعريف يتقاطع مع طبيعة احتياجات المجتمع الفلسطينيّ ومكوِّناته من أوجه عدَّة، إلَّا أنَّه– كما قلنا– يتقاطع ولا يتطابق مع الحالة الدِّراسيَّة الَّتي سنتناولها في الدِّراسة؛ ولذلك سنأتي إلى تعريفات أخرى لنخلص في النِّهاية إلى تعريف يلائم خصوصيَّة الحالة الفلسطينيَّة.

---

[1] العتوم، أحمد: مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة، المعهد العربي للبحوث والدِّراسات الإستراتيجيَّة، http://bit.ly/1Ghu7o2.

[2] وهبان، أحمد: **التَّخلُّف السِّياسيّ وغايات التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص110.

نجد آخرين يعرِّفون التَّنمية السِّياسيَّة بأنَّها: "تنمية قدرات الجماهير على إدراك مشكلاتهم بوضوح، وقدراتهم على تعبئة كلّ الإمكانات المتاحة لمواجهة هذه المشكلات بشكل عمليّ وواقعيّ، أو تنظيم الحياة السِّياسيَّة، ومتابعة أداء الوظائف السِّياسيَّة في إطار الدَّولة، وتطوير النُّظم السِّياسيَّة، والممارسة السِّياسيَّة لتصبح أكثر ديمقراطيَّة..."[1].

هنا نجد زوايا أخرى تمَّ إبرازها في هذا التَّعريف، فتنمية القدرات، وتعبئة كلّ الإمكانيات المتاحة لمواجهة المشكلات؛ من أهمِّ ركائز التَّنمية للشُّعوب الَّتي تواجه مشاكل مصيريَّة كالاحتلال الَّذي لا يكتفي بالسَّيطرة على مقدَّرات الشعوب ومواردها، بل يسعى لإعادة تشكيل عقول الشُّعوب المقهورة ثقافيًّا وفكريًّا، وتذويب هويَّتها الحضاريَّة، وتطويعها بالسَّطوة والاستبداد وأدوات الانحلال الأخلاقيّ والقيميّ؛ لتغرق في تبعيَّته، وتنساق لهاوية أهدافه التَّدميريَّة.

وهناك من يرى مسؤوليَّة النَّظام السِّياسيّ ممثَّلًا بالدَّولة –الَّتي تعبِّر عن إرادتها الحكومة– في إتاحة الفرصة للمشاركة السِّياسيَّة، فالنِّظام السِّياسيّ هو من يحفِّز المواطنين على المشاركة السِّياسيَّة؛ من خلال الوسائل والأدوات الدِّيمقراطيَّة المختلفة[2].

وفي تعريف لوزان باي للتَّنمية السِّياسيَّة نجد أنَّها تتضمَّن جوانب عدَّة؛ فالتَّنمية تعني بناء الدِّيمقراطيَّة، وهي أيضًا مرتبطة ارتباطًا عضويًّا بالتَّحديث السِّياسيّ، وأضاف: إنَّ التَّنمية السِّياسيَّة في طيَّاتها تتضمَّن تزايد قدرة النِّظام السِّياسيّ في علاقته بالبيئة المحيطة، وتعزيز وتمايز وتخصُّص المؤسَّسات والبنى داخل النِّظام السِّياسيّ[3].

أمَّا هانتنجتون فأشار إلى مؤشِّرات الحداثة السِّياسيَّة دون تقديم تعريف محدَّد للتَّنمية السِّياسيَّة، فذهب إلى غايات التَّنمية السِّياسيَّة الَّتي تعبِّر عنها الحداثة السِّياسيَّة، والَّتي تتمثل في

---

[1] الشَّمريّ، حميد حسين كاظم: **دور التَّنمية السِّياسيَّة في بناء النِّظام السِّياسيّ والتَّطوُّر الدِّيمقراطيّ**، مرجع سابق.

[2] العتوم، أحمد: **مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق.

[3] وهبان، أحمد: **التَّخلُّف السِّياسيّ وغايات التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص112.

"مأسسة النِّظام السِّياسيّ؛ ليصبح قادرًا على التَّعامل مع مقتضيات التَّعبئة الاجتماعيَّة، والمشاركة السِّياسيَّة "[1].

يرى الباحث بعد هذا الاستعراض لآراء مختلفة ومتنوعة حول مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة ؛ أنَّ التَّنمية السِّياسيَّة هي عمليَّة مبدؤها الوعي وإدراك الذَّات، تبدأ وتنطلق من خلال بناء نواة اجتماعيَّة صُلبة تعي وتدرك واقع مجتمعها وبيئتها، وتتقصَّى مظاهر التَّخلُّف والضَّعف؛ فتتصدَّى لها وتعالجها من جذورها، وتستبصر عوامل القوَّة في المجتمع، وتوظِّف كلَّ الإمكانيَّات المتاحة لتعزيزها، وتعظيم القدرات المعنويَّة والماديَّة بتدرُّج سليم، وتخطيط مدروس، يستهدف مختلف المكوِّنات الاجتماعيَّة وصولًا إلى إحياء الرُّوح الحضاريَّة، وترجمتها ببناء الأرض والإنسان.

إنَّ التَّنمية السِّياسيَّة المطلوبة في الحالة الفلسطينيَّة لا بدَّ من أنْ تكون عمليَّة منسجمة، ومتلائمة، ومتكيِّفة مع خصوصيَّة فلسطين، وتجربتها الاستثنائيَّة في التَّاريخ المعاصر؛ ففلسطين باتت في القانون والعرف الدَّولي اليوم هي الدَّولة الوحيدة في العالم الَّتي تقبع تحت الاحتلال، ولم تنل استقلالها بعد.

بناء عليه، يرى الباحث أنَّ التَّنمية السِّياسيَّة في ظلِّ هذا الوضع –الَّذي تعيشه دولة فلسطين المحتلَّة– تمرُّ بمرحلتين: أولاهما– مرحلة ما قبل التَّحرير أو (التَّنمية السِّياسيَّة على طريق تحرير الأرض والإنسان) الَّتي نسلِّط الضَّوء عليها في هذه الدِّراسة، ونرصد مؤشِّراتها، وهي مرحلة تركِّز على استنهاض الطَّاقات، والبناء، والإعداد والتَّطوير في مختلف الميادين. والأخرى– مرحلة ما بعد التَّحرير، ونيل الاستقلال الوطنيّ للشَّعب الفلسطينيّ، على كامل تراب وطنه المسلوب، وهذه المرحلة لا يمكن قياس مؤشِّراتها إلَّا بعد أنْ تكون واقعًا ملموسًا يمكن رصده وتتبُّع تطوِّراته، وهذا يكون في حينه، وهو خارج حدود هذه الدِّراسة في الوقت الحاليّ.

6.2 خصائص التَّنمية السِّياسيَّة

للتَّنمية خصائص عديدة، منها:

[1] العتوم، أحمد: **مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق.

1. تتحقَّق أهداف التَّنمية بشكل عامّ في ظلّ وجود استقرار سياسيّ، بمعنى أنَّ التَّنمية تتناسب تناسبًا طرديًّا مع الاستقرار السِّياسيّ، والحكومة القويَّة يمكنها تحقيق استقرار سياسيّ، سواء أكانت ديموقراطيَّة أم سلطويَّة، وبالتَّالي يمكنها تحقيق التَّنمية[1].

2. عمليَّة التَّنمية تتَّسم بالوعي؛ بمعنى أنَّها عمليَّة واعية، منظَّمة، مخطَّط لها، وليست ضبابيَّة، أو عفويَّة، أو عشوائيَّة[2].

3. "إنَّها عمليَّة (process) أو تطوّر، وليست مرحلة(stage) أو درجة؛ بمعنى أنَّ التَّغيير يشير إلى مجموعة من التَّطوُّرات، أو التَّغييرات الَّتي تحدث في الهياكل السِّياسيَّة، ووظائفها المختلفة، والتَّفاعلات، والأنماط السِّياسيَّة المرتبطة بها، ومع أنَّ التَّنمية هي عمليَّة، ولكنَّ ذلك لا ينفي عدم وجود مراحل في إطار هذه العمليَّة"[3].

4. "التَّنمية عمليَّة مجتمعيَّة، يجب أنْ تساهم فيها كلُّ الفئات، والقطاعات، والجماعات في المجتمع"[4].

5. "بناء قاعدة، وإيجاد طاقة إنتاجيَّة ذاتيَّة، ولا تعتمد على الخارج؛ أيْ إنَّ مرتكزات البناء تكون محليَّة"[5].

6. إنَّها مفهوم نسبيّ؛ بمعنى أنَّه لا يوجد مرجع معياريّ مطلق للحكم على أنَّ دولةً ما وصلت القمة في مجال التَّنمية السِّياسيَّة، فالعمليَّة التَّنمويَّة تتباين بتباين البيئات الثَّقافيَّة، والحضاريَّة، ونسق القيم السَّائدة.

---

[1] عطيَّة، عبد القادر محمد عبد القادر: **اتِّجاهات حديثة في التَّنمية**، مرجع سابق، ص153.

[2] تركماني، عبد الله: جدل التَّنمية والدِّيموقراطيَّة في العالم العربيّ1/2، معهد الجنوب للتَّنمية الدِّيمقراطيَّة(I.S.D.D)، http://on.fb.me/1DEXl09.

[3] العتوم، أحمد: **مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق.

[4] تركماني، عبد الله: **جدل التَّنمية والدِّيموقراطيَّة في العالم العربيّ1/2**، مرجع سابق.

[5] المرجع السابق.

ويبدو أنَّ لكلِّ دولة خبرتها الخاصَّة بها، والَّتي تحدِّد معالمها خلفيَّاتها التَّاريخيَّة والثَّقافيَّة والحضاريَّة، يضاف إلى ذلك أنَّ التَّنمية مصطلح عالميّ[1]، ولكنْ يختلف من حيث الأهداف والوسائل والطَّرائق.

7.2 نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة

تعدَّدت واختلفت الطرائق والمناهج الَّتي سعت لمعالجة مشكلات العالم الثَّالث، وقد ساد الاعتقاد أنَّه بالإمكان التَّغلُّب على هذه المشكلات؛ من خلال النظريَّات المستمدَّة من الحضارة الغربيَّة، ومجريات تطوُّرها التَّاريخيّ، وبالتَّالي كيفيَّة الوصول إلى التَّنمية بشكل عامّ، وذلك تبعًا للنظريَّات والمدارس الفكريَّة الَّتي تتَّفق على مظاهر التَّخلُّف في دول العالم الثَّالث، لكنْ لا يوجد اتِّفاق مماثل على أسباب التَّخلُّف ونشأته، وأسباب استمراره وطرائق الخلاص منه.

لقد كانت دول العالم الثَّالث، وأوضاعها، ومشاكلها؛ هي مجال الدِّراسات الَّتي تركَّزت اهتماماتها بصورة عامَّة حول مواضيع التَّنمية السِّياسيَّة[2].

وتقدِّم الدِّراسات السُّوسيولوجيَّة لمجتمعات العالم الثَّالث –وجزء منه الأقطار العربيَّة– طروحات، ونماذج تحليليَّة طامحة إلى تأسيس رؤية نظريَّة، ومنهجيَّة ملائمة لدراسة واقع هذه المجتمعات، في محاولة للتَّعرُّف على الآليات، والمركبَّات المختلفة الَّتي تتحكَّم في هيكلتها وتطوُّرها. غير أنَّ كثيرًا من هذه المحاولات لم يسلم من الوقوع في شرك تصوُّرات اختزاليَّة لواقع هذه المجتمعات موضوع الدِّراسة، وذلك حينما تُرْجِعُ ما تعانيه هذه الأخيرة من تخلُّف اقتصاديّ، وسياسيّ، وثقافيّ، وما يطرأ عليها من تحوُّلات وتغيُّرات؛ إلى جانب واحد من جملة الجوانب المتحكِّمة في سير هذه المجتمعات، الأمر الَّذي يتطلَّب من قبل الدَّارسين التزام الحذر النَّظريّ والمنهجيّ الضَّروريّ أمام مثل هذه الطُّروحات، وذلك باعتبار أنَّ النَّظرة الشُّموليَّة

---

[1] العتوم، أحمد: **مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق.

[2] هيجوت، ريتشارد: **نظريَّة التَّنمية السِّياسيَّة**، ترجمة حمدي عبد الرحمن، محمد عبد الحميد، ط1، عمان، المركز العلميّ للدِّراسات السِّياسيَّة، 2001، ص 21 –22.

للواقع المجتمعيّ المبحوث؛ هي الكفيلة بتشريح بنيانه، ومجالاته، وأبعاده، دون الاعتماد الكلِّيّ على جانب واحد[1].

لقد كوَّنت نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة الإطار الفكريّ لمناهج تحليل العمليَّة التَّنمويَّة وأساليب دراستها، ومن هنا سنقوم بعرض أهمِّ النظريَّات الَّتي شكَّلت أساس التَّنظير في التَّنمية السِّياسيَّة؛ ونبدؤها بتصنيف "نصر عارف"، حيث يصنِّف نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة إلى ثلاثة نماذج:

أوَّلها: النَّموذج اللِّيبراليّ "النظريَّات السُّلوكيَّة"؛ ويرى هذا النَّموذج أنَّ تحقيق التَّنمية السِّياسيَّة يتطلَّب تطبيق اتِّجاهات مجتمعات أوروبا الغربيَّة المتمثِّلة في اللِّيبراليَّة السِّياسيَّة، والتَّعدُّد الحزبيّ، والحريَّة الاقتصاديَّة.

ثانيها– النَّموذج الاشتراكيّ؛ ويرى أصحابه أنَّ مسار التَّنمية لا بدَّ أنْ يقتفي آثار التَّجربة الاشتراكيَّة في الاتِّحاد السُّوفياتيّ، أو الصِّين مسترشدًا بمعطيات النَّظريَّة الماركسيَّة.

أخرها: نظريَّة التَّبعيَّة "الماركسيون الجدد"؛ يرى نصر عارف أنَّ مدرسة التَّبعيَّة لا تخرج في إجمالها عن أفكار ومقولات لينين، وهي مُطَعَّمَة ببعض مفاهيم المدرسة السُّلوكيَّة[2].

أمَّا "ريتشارد هيجوت" فيقوم بتصنيف نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة إلى مدرستين أساسيتين، هما: مدرسة التَّحديث(Modernization)، والمدرسة الرَّاديكاليَّة (Radical)، وهو يعدُّ أنَّ الميول إلى إحدى هاتين المدرستين وتبنِّي إحداهما؛ يعتمد على الميول الأيديولوجيَّة والفكريَّة والمنهجيَّة[3].

---

[1] محسن، مصطفى: سوسيولوجيا الدَّولة في مجتمعات العالم الثَّالث نحو نموذج تحليليّ لمقاربة شروط اشتغال الآليَّة السِّياسيَّة ودورها في تحديد وتفسير النَّسق المجتمعيّ العامّ، http://www.aljabriabed.net/n28_05muhsin.(2).htm.

[2] عارف، نصر محمد، **نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة المعاصرة، دراسة نقديَّة مقارنة في ضوء المنظور الحضاريّ الإسلاميّ**، فرجينيا، الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، دار القارئ العربيّ، القاهرة، ص 64– 65.

[3] هيجوت، ريتشارد: **نظريَّة التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص15–16.

وفي هذه الدِّراسة سنبيِّن أبرز نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة؛ حيث سنتعرَّض بإيجاز للنظريَّة الماركسيَّة ونظريَّة التَّبعيَّة، بينما سنوضِّح بشكل أوسع نظريَّة التَّحديث في التَّنمية السِّياسيَّة؛ لارتباطها بالفصل الثَّاني من الدِّراسة، حيث سنوضِّح العلاقة بين نظريَّة التَّحديث، وارتباطها بجوانب التَّنمية السِّياسيَّة الَّتي سيتمُّ الحديث عنها لاحقًا في الفصول القادمة.

1.7.2 النَّظريَّة الماركسيَّة والتَّنمية السِّياسيَّة

انطلق ماركس في تحليله لبنية المجتمع وتطوُّره من منظور الماديَّة التَّاريخيَّة الَّتي أضحت تشكِّل مرجعًا وإطارًا رئيسًا لعلم الاجتماع حسب التَّصوُّر الماركسيّ؛ فالماديَّة التَّاريخيَّة قدَّمت المنطلقات النَّظريَّة، والأسس المنهجيَّة في معالجة المكوِّنات الاجتماعيَّة ودراسة تفاعلاتها.

يُنْظَر إلى البنية الاقتصاديَّة الاجتماعيَّة على أنَّها أهم مفهوم في الماديَّة التَّاريخيَّة، الَّتي بموجبها يتمُّ تشخيص وتحليل تطوُّر المجتمع البشريّ وتفاعله؛ علمًا أنَّ هناك قوانين خاصَّة بكلِّ بنية اقتصاديَّة اجتماعيَّة.

يعدُّ أسلوب الإنتاج الخاصِّ بكلِّ بنية هو المحدِّد لخصائصها، وطبيعتها، ومراحل تطوُّرها. إنَّه – أيْ أسلوب الإنتاج– شكل معيَّن ومحدَّد لنشاط النَّاس المعيشيّ ونمط حياتهم، ويتشكَّل من مكوِّنات قوى الإنتاج، وهي: أدوات الإنتاج، ووسائله، والعلاقات الَّتي تنشأ بينهم.

وتَعُدُّ الماديَّة التَّاريخيَّة أنْ تطوّر المجتمع البشريّ قد مرَّ عبر خمس مراحل مصنَّفة إلى طبقيَّة متناقضة، هي: العبوديَّة، والإقطاعيَّة، والرَّأسماليَّة، واللاطبقيَّة "المشاعيَّة البدائيَّة"، والمرحلة الشُّيوعيَّة. وينتقل المجتمع البشريّ فيها من مرحلة إلى مرحلة أخرى أكثر تطورًا؛ عبر عمليَّة تاريخيَّة طبيعيَّة، لها ميِّزات وخصائص وقوانين، تَحْتَكِمُ لها كلّ مرحلة من مراحل التَّطوُّر الحتميَّة حسب تصوُّر الماديَّة التَّاريخيَّة[1].

وبحسب الماركسيَّة فإنَّ كلَّ طبقة اجتماعيَّة اقتصاديَّة، تسيطر عليها أيديولوجيا، ومع تفاقم التَّناقضات الاجتماعيَّة تظهر أيديولوجيَّة جديدة تعكس مصالح الطَّبقات المضطهدة. وهذا

[1] كيلله، فلاديسلاف، **ماتفي كوفالسون: الماديَّة التَّاريخيَّة**، تعريب أحمد داود، دمشق، دار الجماهير، 1978، ص46–49.

يؤدي إلى انقسام المجتمع إلى طبقات، تصبح فيها العلاقات السِّياسيَّة، والحقوقيَّة، والأخلاقيَّة وغيرها؛ شكلًا للعلاقات الأيديولوجيَّة، وينخرط المجتمع البشريّ، أو التَّشكيل الاجتماعيّ في هذه العلاقات مع ظهور الوعي الطَّبقيّ. ولْيُعْلَم أنَّ نضال الطَّبقة العاملة السِّياسيّ وتطوُّره ضدَّ الرَّأسماليَّة لا يمكن بدون نظريَّة ثوريَّة، وحزب ثوريّ للحركة العمَّاليَّة؛ أيْ بدون وعي سياسيّ للجماهير[1].

تُعَدُّ الدَّولةُ المؤسَّسةَ الرَّئيسة للبنيان الفوقيّ في المجتمع الطَّبقيّ الَّتي تحرسه وتحميه، والأيديولوجيَّة –كجزء من البنيان الفوقيّ– يظهر معها مؤسَّسات ومنظَّمات مختلفة كالمؤسَّسات القانونيَّة، والأحزاب السِّياسيَّة، والاتِّحادات المهنيَّة، والمنظَّمات الدِّينيَّة، والمؤسَّسات الثَّقافيَّة والعلميَّة، وغيرها. وبمساعدة الدَّولة، ومن خلالها بما تملكه من وسائل القوَّة الماديَّة؛ تصبح الطَّبقة المسيطرة على الاقتصاد، مسيطرة في مجال البنيان الفوقيّ أيضًا، وبالتَّالي إخضاع المجتمع لمصالح الطَّبقة المسيطرة وإرادتها[2].

إنَّ مهمَّة الثَّورة في الفلسفة والرُّؤيَّة الماركسيَّة؛ هي القضاء على العلاقات الرَّأسماليَّة بالتَّحالف مع الجماهير الكادحة، بقيادة الحزب الشِّيوعيّ، والاستيلاء على مفاصل القوَّة من جانب الجماهير الكادحة؛ أيْ الاستيلاء على الدَّولة، وبناء اقتصاد اشتراكيّ[3].

إنَّ ما يميِّز دول العالم الثَّالث هو اختلاف بنية المجتمعات عنها في المجتمعات الرَّأسماليَّة. ونجد ماركس عند دراسته للمجتمعات غير الأوروبيَّة؛ أنَّه استخدم مفهومًا يختلف عن الَّذي استخدمه لدراسة المجتمعات الأوروبيَّة الرَّأسماليَّة، فقد استخدم كوسيلة نظريَّة مفهوم "نمط الإنتاج الآسيويّ" الَّذي يتميَّز بخصائص معيَّنة، مثل: غياب الطَّبقات، وغياب الملكيَّة الخاصَّة، وهيمنة الدولة، كما تتميَّز بأنَّها مجتمعات زراعيَّة منغلقة على ذاتها، تسود فيها الرَّوابط العائليَّة والعشائريَّة[4].

---

[1] كيلله، فلاديسلاف، **ماتفي كوفالسون: المادِّيَّة التَّاريخيَّة**، مرجع سابق، ص81 – 83.

[2] المرجع السابق، ص 83 – 84.

[3] المرجع السابق، ص 181.

[4] غربي، علي وآخرون: **تنمية المجتمع من التَّحديث إلى العولمة**، القاهرة، دار الفجر للنَّشر والتَّوزيع، ط 1، 2003، ص119 – 120.

كان تأثير الأحزاب الماركسيَّة على الحركات القوميَّة بين الحرب العالميَّة الأولى والثَّانية تأثيرًا ضعيفًا، فقد حاول الماركسيون قيادة الثَّورة، وإحداث تغيير في بلدان العالم الثَّالث، واتَّبعوا طريق مواجهة ومعاداة البرجوازيَّة القوميَّة في هذه البلدان، إلَّا أنَّ محاولتهم لم تصل إلى تحقيق التَّجربة الَّتي طمحوا لها، باستثناء الصِّين الَّتي قدَّمت تجربة مهمَّة للرُّؤية الماركسيَّة للتَّنمية السِّياسيَّة في العالم الثَّالث.

وإبان الحرب الباردة أيضًا دعم الاتِّحاد السُّوفيتيّ التَّنمية السِّياسيَّة لدى الدِّيمقراطيات القوميَّة النَّاشئة، وكان هدف الدَّعم الماركسيّ لهذه القوميَّات؛ أملًا في أنْ تنمو وتتطوَّر صناعيًّا، ويتحقَّق التَّحالف بين العمال والفلاحين؛ لتحقيق الثَّورة وبناء الدَّولة الاشتراكيَّة[1].

ويَعُدُّ مهدي عامل أنَّ البرجوازيَّة الوطنيَّة في العالم الثَّالث؛ سارت في طريق التَّحرُّر الوطنيّ والبناء الاقتصاديّ، ولكنَّها فشلت في النِّهاية؛ وهذا الفشل ناتج عن طبيعة بنية الإنتاج الكولونياليّ (الاستعماريّ) في دول العالم الثَّالث، الَّتي هي بنية عاجزة وتتحكَّم بها العلاقة الكولونياليَّة من حيث هي علاقة تبعيَّة بنيويَّة، وهي الَّتي تحدِّد بالضَّرورة الثَّورة التَّحرُّريَّة الوطنيَّة، في آليتها الدَّاخليَّة كثورة اشتراكيَّة، تقوم بها الطَّبقة العاملة[2].

2.7.2 نظريَّة التَّبعيَّة (الماركسيَّة الجديدة)[3]

في منتصف ستِّينات القرن العشرين ظهرت نظريَّة التَّبعيَّة، وكانت البداية في أمريكا اللَّاتينيَّة، والسَّبب في ظهور نظريَّة التَّبعيَّة يعود إلى الإخفاق الَّذي منيت به نظريَّة التَّحديث – الَّتي سيتمُّ ذكرها لاحقًا– في العجز عن تقديم تفسير واقعيّ ومقنع لظاهرة التَّخلُّف في العالم الثَّالث، بالإضافة إلى فشل العمليَّة التَّنمويَّة في تلك البلدان في فترة ما بعد الحرب العالميَّة الثَّانية.

---

[1] دود، س، هـ: **التَّنمية السِّياسيَّة**، ترجمة عبد الهادي الجوهريّ، القاهرة، مكتبة نهضة الشَّرق، 1987، ص24 – 31.

[2] عامل، مهدي، **مقدمات نظريَّة لدراسة أثر الفكر الإشتراكيّ في حركة التَّحرُّر الوطنيّ**، القسم الثَّاني، في نمط الإنتاج الكولونياليّ، بيروت، دار الفارابيّ، ط2، 1978، ص 191–192.

[3] هيجوت، ريتشارد: **نظريَّة التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص 94.

وحاولت الدِّراسات التَّنمويَّة آنذاك البرهنة على أنَّ التَّخلُّف هو حالة متأصِّلة لا دخل للاستعمار فيها، بل هي موجودة قبله، وهي ناتجة من طبيعة البنى الاجتماعيَّة لبلدان العالم الثَّالث[1].

وتأتي نظريَّة التَّبعيَّة ردًّا على نظريَّة التَّحديث، وتنطلق من فرضيَّة أنَّ حالة التَّخلُّف وما يتبعها من مشاكل وأزمات؛ هي في الحقيقة من مخلَّفات وآثار مرحلة الاستعمار وناتجة عنه. هذا وتفسِّر نظريَّة التَّبعيَّة ما تعيشه بلدان العالم الثَّالث من تخلُّف اقتصاديّ وسياسيّ من منطلق الظُّروف التَّاريخيَّة الَّتي مرَّت بها، ووقوعها تحت سطوة وسيطرة النِّظام الرَّأسماليّ العالميّ، الَّذي استعمر تلك البلدان حينًا من الدَّهر، كما تعدُّ نظريَّة التَّبعيَّة أنَّ هناك علاقة جدليَّة بين التَّنمية والتَّخلُّف، وبين الحداثة والتَّقليديَّة، وبين مختلف الظَّواهر بشكل عامّ[2].

إزاء ذلك يمكن القول إنَّ الماركسيَّة الجديدة – الَّتي هي المسمى الآخر لنظريَّة التَّبعيَّة– تنظر إلى التَّنمية على أنَّها عملة ذات وجهين؛ فالتَّنمية الَّتي حدثت في دول العالم الرَّأسماليّ هي الوجه الأوَّل، حيث كانت على حساب دول العالم الثَّالث الَّتي وقعت تحت الاستعمار، وغرقت بالتَّخلُّف والمشاكل والأزمات وهو الوجه الآخر.

في مطلع سبعينات القرن العشرين قدَّمت دراسات عديدة رؤى مغايرة تحمل نقدًا وتفنيدًا للفرضيَّة الَّتي تدَّعي أنَّ التَّخلُّف حالة متأصِّلة في دول العالم الثَّالث، ومن أمثال أصحاب هذه الرُّؤى والدِّراسات النَّقديَّة: "أندريه جندر فرانك"، و"سمير أمين"، وغيرهما ممَّن قاموا بتحليل وإثبات أنَّ السَّيطرة الرَّأسماليَّة هي المسؤولة عن تخلُّف بلدان العالم الثَّالث، فقد قاموا بتحليل الجوانب التَّاريخية للتَّخلُّف المرتبط بالاستعمار، إلى جانب التَّركيز على الأسلوب الثَّوريّ لنظريَّة التَّبعيَّة، لذلك أطلق عليها أيضًا النَّظريَّة الماركسيَّة، أو الماركسيَّة الجديدة عند آخرين[3].

تجدر الإشارة هنا أنَّ نظريَّة التَّبعيَّة لا تعود إلى الماركسيين الَّذين اهتمُّوا بظاهرة الإمبرياليَّة، وإنَّما تعود بالأساس إلى منظري اقتصاديَّات التَّنمية وعلمائها في دول العالم الثَّالث، الَّذين اهتمُّوا بدراسة جوانب الاستغلال الاقتصاديّ العالميّ[4].

---

[1] هيجوت، ريتشارد: **نظريَّة التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص 93–94.

[2] المرجع السابق، ص 91.

[3] المرجع السابق، ص 94–95.

[4] المرجع السابق، ص 99.

نظريَّة التَّبعيَّة مثل غيرها من النَّظريَّات لها منظِّرون، وعلى الطَّرف الآخر هناك نقَّاد ومفنِّدون قدَّموا انتقادات مختلفة لهذه النَّظريَّة، ومن بين تلك الانتقادات الموجَّهة لنظريَّة التَّبعيَّة: أنَّها أحادية النَّظرة، وتبالغ في التَّركيز على العوامل الخارجيَّة للتَّخلُّف، وتهمل أحياناً وتقلِّل من شأن العوامل الدَّاخلية الَّتي تمكِّن وتساعد العوامل الخارجيَّة في إنتاج التَّخلُّف[1].

ويعتقد بعض منظِّري التَّبعيَّة أنَّ الخروج من حالة التَّبعيَّة والتَّخلُّف يحتاج إلى عمل ثوريّ جذريّ، يؤدي إلى تغيير البنية؛ لضمان نجاح التَّنمية خارج إطار علاقة التَّبعيَّة، ولا يمكن ذلك إلَّا من خلال التَّخلُّص من حكم البرجوازيَّة المحلِّيَّة في الدُّول المتخلِّفة[2].

وهناك من يرى أنَّ نظريَّة التَّبعيَّة لم تقدِّم برنامجًا عمليًّا يمكن تحقيقه، والاعتماد عليه في الخروج من حالة التَّبعيَّة والتَّخلُّف، كما يوجَّه لها انتقاد في عدم إعطاء العوامل غير الاقتصاديَّة الأهميَّة المطلوبة، كالعوامل الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، وتركيز تحليلها على الجوانب الاقتصاديَّة لعلاقات التَّبعيَّة ومظاهر التَّخلُّف. يضاف إلى ذلك أنَّ نظريَّة التَّبعيَّة قدَّمت تعميمات فضفاضة وقانوناً واسعًا وعامًّا تريد تطبيقه على واقع المجتمعات المتخلِّفة، دون الأخذ بخصوصيَّة كلِّ مجتمع وتميُّزه، واختلافه عن غيره من المجتمعات، وهي بذلك وقعت في نواقص النَّظريَّات الأخرى نفسها[3].

3.7.2 نظريَّة التَّحديث

تطوَّرت عمليَّة التَّحديث في غرب أوروبا وأمريكا الشَّماليَّة، من القرن السَّابع عشر إلى القرن التَّاسع عشر، ثمَّ انتقلت إلى مناطق أوروبيَّة أخرى، وبعد ذلك، وفي القرنين التَّاسع عشر والعشرين انتقلت إلى قارات أمريكا الجنوبيَّة وآسيا وأفريقيا[4].

---

[1] غربي، علي وآخرون: **تنمية المجتمع من التَّحديث إلى العولمة**، مرجع سابق، ص 145.

[2] المرجع السابق، ص 138، 148، 149.

[3] المرجع السابق، ص 154.

[4] حرب، أسامة الغزاليّ: **الأحزاب السِّياسيَّة في العالم الثَّالث**، مرجع سابق، ص28.

وفي أعقاب الحرب العالميَّة الثَّانية سادت حالة من التَّفاؤل داخل أوساط العلم الاجتماعيّ ذلك أنَّ أغلب المشاكل الَّتي يعاني منها المجتمع الصِّناعيّ؛ هي مشاكل تحت السَّيطرة، والمشكلات الَّتي لم يتمَّ التَّغلُّب عليها عُدَّت مشكلات يمكن حلُّها، مع تنامي الخبرة التِّقنيَّة. وتمَّ النَّظر إلى المجتمع الصِّناعيّ بوصفه مجتمعًا باستطاعته –إنْ لم يكن من واجبه– تصدير التَّحديث السِّياسي للدُّول القابعة تحت الاستعمار الَّتي عليها أنْ تحذو حذو المجتمع الصِّناعيّ.

بناءً على ذلك، تمَّ النَّظر إلى عمليَّة التَّحديث بوصفها عمليَّة انتقال نحو الأنماط والنُّظم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسِّياسيَّة، الَّتي تطوَّرت شمال وغرب أمريكا والدُّول الأوروبيَّة[1]. وإنَّ عمليَّة التَّحديث بشكلها المتكامل من المفترض أنْ تطال في تأثيرها مختلف جوانب المجتمع الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة.

وفيما يتعلَّق بتكون النَّظريَّة وفكرتها، فقد استلهمت دول الغرب نظريَّة التَّحديث من نظريَّة التَّطوُّر، الَّتي تكلمت عن كيفية انتقال المجتمعات من مجتمعات تقليديَّة إلى مجتمعات صناعيَّة[2]. ولكنْ على ما يبدو أنَّ لابن خلدون كلامًا سبق توجُّه الغرب نحو التَّحديث، ولكنَّه لم يستخدم مصطلح التَّحديث المتداول اليوم في حقل التَّنمية السِّياسيَّة، إلَّا أنَّ ابن خلدون أشار إلى المضمون الَّذي تدور حوله نظريَّة التَّحديث، انطلاقًا من قواعد حركة المجتمعات المتَّجهة نحو التَّطوُّر أو السُّلوك الإنسانيّ الجماعيّ حيث قال في مقدِّمته: "... فطور الدَّولة من أوَّلها بداوة ثمَّ إذا حصل الملك تبعه الرَّفه واتِّساع الأحوال، والحضارة إنَّما هي تفنُّن في التَّرف وإحكام الصَّنائع المستعملة في وجوهه... فلمَّا استعبدوا (أيْ العرب) أهل الدُّول قبلهم، واستعملوهم في مهنهم، وحاجات منازلهم، واختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك، والقومة عليهم، أفادوهم علاج ذلك، والقيام على عمله، والتَّفنُّن فيه مع ما حصل لهم من اتِّساع العيش، والتَّفنُّن في أحواله، فبلغوا الغاية في ذلك، وتطوَّروا بطور الحضارة، والتَّرف في الأحوال، واستجادة المطاعم، والمشارب، والملابس، والمباني، والأسلحة، والفرش، والآنية، وسائر الماعون... "[3].

---

[1] هيجوت، ريتشارد: **نظريَّة التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص 44.

[2] غانم، السَّيد عبد المطَّلب: **دراسة في التَّنمية السِّياسيَّة**، القاهرة، مكتبة نهضة الشَّرق، 1981، ص 16.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن: **مقدِّمة ابن خلدون**، بيروت، دار الفكر، 2001، ص 215–216.

هذا التَّعريج على قول ابن خلدون –من باب إدراك أن نظريَّة التَّحديث الَّتي تتضمَّن انتقال المجتمع من حال إلى حال أكثر رقيًّا وحضارة، وتوظيف للعلم والمعرفة في استجلاب الرُّقيّ والتَّقدُّم والتَّطوُّر– لم يكن في حقيقة الأمر حكرًا على المدارس والنَّظريَّات الحديثة والمعاصرة لمن يدَّعون ذلك.

وعودة إلى نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة؛ فإنَّ تلك النظريَّات نضجت في بوتقة نظريَّات النُّموّ المجتمعيّ محمَّلة بمقولاته ومناهجه وغاياته، ولا يمكن الفصل التَّامّ بينهما، فنظريَّات التَّحديث في الحقل الاجتماعيّ الحديث قامت على كتابات المنظِّرين الاجتماعيِّين أمثال: كارل ماركس، وماكس فيبر[1].

لقد هيمن المدخل الثُّنائيّ على أعمال منظريّ التَّحديث؛ حيث يقوم المدخل الثُّنائيّ على أساس مقارنات ترتبط بمتغيِّرات النَّمط المثاليّ للتَّقليديَّة والحداثة، وهذا حال علم السِّياسيَّة الَّذي يعبِّر عنه آلموند بقوله: " إنَّ نظريَّتنا تؤسِّس عمليَّة بناء النَّظريَّة والتَّنميط بشكل ثنائيّ بسيط عبر الاستفادة من أعمال (Max Weber)، و(Ferdinand Tonnies)... وغيرهم من علماء الاجتماع المجدِّدين... في محاولة لبناء نماذج لأشكال المجتمعات والنُّظم التَّقليديَّة والحديثة"[2]. وتأسيسًا على تصوُّر (Max Weber) فإنَّه يرى المجتمع التَّقليديّ هو مجتمع " ما قبل الصِّناعة "، أو" ما قبل العقلانيَّة "، أو" مجتمع ما قبل الدَّولة "[3].

التَّنمية السِّياسيَّة في نظريَّة التَّحديث

تمَّ التَّعامل مع التَّنمية السِّياسيَّة منذ بداية ظهورها على أنَّها عمليَّة محاكاة، وتقليد للمجتمع الغربيّ في أوجه حياته: الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة، والسِّياسيَّة، ونبذ الأنظمة القديمة وتركها، باعتبارها تمثِّل قيم التَّخلُّف والرَّجعيَّة، وتعيق تطوُّر المجتمع ونهوضه. هذا وتمَّ النَّظر إلى التَّنمية السِّياسيَّة الَّتي حدثت في الغرب على أنَّها عالميَّة يمكن تعميمها وتطبيقها على

[1] عارف، نصر محمد: **نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة المعاصرة**، مرجع سابق، ص163.

[2] هيجوت، ريتشارد: **نظريَّة التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص45.

[3] المرجع السابق، ص47.

المجتمعات كافَّة، ومنها دول العالم الثَّالث. وحاولت الدِّراسات التَّنمويَّة منذ البدايات أنْ تصبَّ اهتمامها على المقارنة بين المجتمعات المتطوِّرة، والمجتمعات المتخلِّفة، وتستلهم مميِّزات وخصائص وسمات المجتمعات المتطوِّرة والتعَّرف عليها، وإسقاطها على حالة المجتمعات المتخلِّفة، اعتقادًا من منظِّري التَّنمية السِّياسيَّة الغربيَّة أنَّ الخروج من حالة التَّخلُّف لدى الدُّول المتخلِّفة؛ يكون بالسَّير على خطا الدُّول المتطوِّرة، وإعادة تجربتها في الميادين شتَّى، داخل المجتمعات المتخلِّفة[1].

وانطلاقًا من هذه الرُّؤية تمَّ صياغة تعريف التَّنمية السِّياسيَّة من قبل منظِّري التَّنمية السِّياسيَّة ومفكريها وعلمائها، كلٌّ من زاويته ومنظوره ومنهاجه في تغيير المجتمع؛ وبذلك تعدَّدت الأساليب والمناهج المتَّبعة في معالجة العمليَّة التَّنمويَّة، كلٌّ حسب مدرسته وطريقته في الوصول إلى الغاية المطلوبة؛ وهي الانتقال في المجتمع من حالة إلى حالة أخرى أكثر تطورًا بتدرُّج مستمرّ، وهذا جعل مفهوم التَّنمية يحمل معاني واسعة وفضفاضة، ودلالات متنوِّعة.

ومن الأمثلة الَّتي توضِّح ذلك رؤية ديفيد بانكهام للتَّنمية السِّياسيَّة ؛ حيث وضع خمسة اقترابات لدراسة التَّنمية السِّياسيَّة، وهي: الاقتراب القانونيّ الَّذي يرى التَّنمية من زاوية القانون والدُّستور، والاقتراب الاقتصاديّ على أساس أنَّ التَّنمية تشكِّل محورًا رئيسًا من محاور البنية الاقتصاديَّة، والاقتراب الإداريّ بوصف العمليَّة التَّنمويَّة عمليةً تعتمد على قدرة النِّظام وكفايته وفاعليَّته، والاقتراب الاجتماعيّ الَّذي يولي أهميَّة رئيسة لجانب مشاركة الأمَّة ودورها الفاعل في العملية التَّنمويَّة، وأخيرًا اقتراب الثَّقافة السِّياسيَّة الَّتي ترى أهميَّة القيم الدِّيمقراطيَّة في تشكيل الثَّقافة التَّنمويَّة لدى الأمَّة[2].

أمَّا لوسيان باي فيرى أنَّ التَّنمية السِّياسيَّة أحد أوجه عمليَّة التَّغيير الاجتماعيّ متعدِّدة الجوانب، وتقوم على ثلاثة مقومات، هي: المساواة القانونيَّة أمام الفرص، وإمكانيَّات المشاركة

---

[1] مهنا، محمَّد نصر: **في النِّظام الدُّستوريّ والسِّياسيّ: دراسة تطبيقيَّة**، ط1، الإسكندريَّة، المكتب الجامعيّ الحديث، 2005، ص 135.

[2] غانم، السَّيد عبد المطَّلب: **دراسة في التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص 68 – 69.

في صنع القرار، وقدرة النِّظام وأبنيته المختلفة على القيام بمهامِّها المنوطة بها. وتُميَّز وتُخصَّص كلُّ بنية من أبنية النِّظام بوظائف ومهامَّ محددة، إضافة إلى التَّفاعل فيما بينها[1].

ويرى صامويل هنتنجتون أنَّ التَّنمية السِّياسيَّة أو التَّحديث السِّياسيّ؛ يتحقَّقان عندما يتوفَّر مجموعة عوامل، وهي: عامل ترشيد السُّلطة؛ من خلال تداولها، واستلامها وممارستها على أسس دستوريَّة وقانونيَّة سليمة، وعامل تمايز وتنوُّع وتخصُّص الوظائف السِّياسيَّة، وعامل رفع نسبة مشاركة المواطنين سياسيًّا؛ من خلال الوسائل والآليات الَّتي تحقق مبدأ المشاركة[2].

من خلال التَّعريفات والرُّؤى الَّتي عرضناها نرى ارتباط التَّنمية السِّياسيَّة بالمنظور الثُّنائيّ الَّذي يبرز مواصفات ومزايا المجتمعات الحديثة والمجتمعات التقليديَّة، واعتماد أنماط الحداثة المثاليَّة من وجهة نظر منظري التَّحديث، وهذه النَّظرة الأحادية تَرى في بلدان العالم الثَّالث أنَّها دول تفتقر للآليات والوسائل المتطوِّرة القادرة على أداء المهامّ والوظائف بطرائق رشيدة، بالإضافة إلى ما يعتريها من نقص في الكفاية، والأداء، والفاعلية، وعدم القدرة على حلِّ الأزمات؛ ممَّا يجعلها تقليديَّة متخلِّفة، ولا تتلاءم مع متطلَّبات الحداثة والمجتمع المتقدِّم.

ويرى (ريتشارد هيجوت) أنَّ القدرة على حلِّ الأزمة والكفاية والفاعلية هنا؛ تتعلَّق بالنُّخب الحاكمة بالدَّرجة الأولى، وليس بالتَّنمية وتحديث المجتمع، على أساس أنَّ دراسة ومعالجة ضعف القدرة وقلَّة الكفاية، وما يصاحبها من أزمات؛ تمَّ من زاوية مدى تهديدها لوضع هذه النُّخب ودورها في الحفاظ على النِّظام القائم. وهذا أدَّى إلى ميل دراسات التَّنمية السِّياسيَّة لدعم النِّظام، ومناصرته غايةً لا وسيلةً، للوصول إلى مجتمع حديث[3].

النِّظام السِّياسيّ حسب (ديامنت) يخضع لتحول في بنيته ووظائفه في عمليَّة التَّحديث. والتَّنمية السِّياسيَّة في شكلها الأكثر عموميَّة؛ هي العمليَّة الَّتي يكتسب فيها النِّظام السِّياسيّ قدرة متزايدة على المتابعة النَّاجحة والمستمرَّة لأنواع جديدة من الأهداف والمطالب، وعلى خلق أبنية

---

[1] غانم، السَّيد عبد المطَّلب: **دراسة في التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص 70 – 73.

[2] وهبان، أحمد: **التَّخلُّف السِّياسيّ وغايات التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص 14.

[3] هيجوت، ريتشارد: **نظريَّة التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، مرجع سابق ص 50.

جديدة للمنظَّمات. وكي تستمر هذه العملية لا بدَّ من وجود نظام سياسيّ مركَّز ومتميِّز الأبنيـــة، ولا بدَّ أنْ يكون قادرًا على فرض الموارد والقوَّة على مجالات واسعة، وأقـــاليم واســـعة مـــن المجتمع[1]، ومناصرة النِّظام وسيلةً لا غايةً للوصول إلى مجتمع حديث.

وفي هذا السِّياق يرى أصحاب المذهب التَّنمويّ أنَّ التَّحديث السِّياسيّ هو العمل على نقل الأدوار المهنيَّة والتِّقنيَّة والمؤسسيَّة كالشَّركات، والمدارس، والجامعات، والمستشفيات للمجتمعات غير الصِّناعية[2].

ويروى أصحاب المذهب التَّنمويّ أنَّ المجتمع غير الصِّناعيّ يتأثَّر بـــأدوات المجتمـــع الصِّناعيّ؛ ممَّا ينتج عن هذا التَّأثير أدوار اجتماعيَّة في المجتمع غير الصِّناعيّ الَّذي استورد تلك الأدوات في طريق التَّحديث، وهنا تقوم الأدوار والمؤسَّسات بفعل تجديديّ ريـــاديّ اســـتراتيجيّ تطوُّريّ داخل المجتمع[3].

وفي هذه الدِّراسة سيتمّ ربط نظريَّة التَّحـــديث وتوظيفهـــا، بمـــا يـــتلاءم مـــع الحالـــة والخصوصيَّة الفلسطينيَّة؛ لتفسير جوانب من العمليَّة التَّنمويَّة الَّتي شهدها قطاع، إبان حكم حركة المقاومة الإسلامية حماس، انطلاقًا من الرُّؤية الَّتي تَعُدَّ أنَّ عمليَّة التَّحديث هي "...الَّتي يمكـــن بمقتضاها مواءمة المؤسَّسات النَّامية تاريخيًّا، مع الوظائف المتغيِّرة باضـــطراد، الَّتـــي تعكـــس التَّزايد غير المسبوق في المعرفة الإنسانيَّة، ممَّا يسمح للإنسان بالسَّيطرة على البيئة الَّتي يعيش فيها..."[4].

وفي السِّياق ذاته تتجلَّى أبعاد عمليَّة التَّحديث "... في الثَّورة التِّكنولوجيَّة الَّتـــي حملـــت معها اتِّجاهات هامَّة في مجالات التَّصنيع... والاتِّصال"، وهنا لا بدَّ من التَّوضـــيح أنَّ التَّنميـــة السِّياسيَّة مرتبطة بالتَّحديث في المجال السِّياسيّ، وبالتَّالي أصبح الحديث يدور حول "التَّحـــديث

---

[1] غانم، السَّيد عبد المطَّلب: **دراسة في التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق، ص 142.

[2] بلحـــاج، صـــالح: التَّنميـــة السِّياســـيَّة؛ نظـــرة فـــي المفـــاهيم والنظريَّـــات، جامعـــة الجزائـــر، ص6. .http://www.univ-chlef.dz/ar/seminaires_2008/dicembre_2008/com_dic_2008_28.pdf

[3] المرجع السابق، ص6.

[4] حرب، أسامة الغزاليّ: **الأحزاب السِّياسيَّة في العالم الثَّالث**، مرجع سابق، ص 28.

السِّياسيّ"، وبذلك يصبح المفهومان(مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة، ومفهوم التَّحديث)؛ متمايزين تحليليًّا، ولكنَّهما متداخلان في واقع العمليَّة التَّنمويَّة كظاهرتين تربطهما علاقة ديالكتيكيَّة، فالسُّلطة السِّياسيَّة في سعيها لتعظيم قوَّتها وزيادتها، وسلطتها تسعى إلى تحقيق عمليَّات التَّحديث، والإسراع فيها داخل مفاصل المجتمع الفاعلة، وهناك وجهة نظر تعدُّ أنَّ السِّياسة داخل أوروبا، ودول الغرب؛ كانت بالأساس استجابة للقوى التَّاريخية للتَّحديث، بينما في خارج أوروبا ليست السِّياسيَّة استجابة للتحديث[1]. وإنَّما – بالعكس– السِّياسة هي سبب التَّحديث، وقد يكون التَّحديث في بعض جوانبه –كما سيتمُّ توضيحه لاحقًا في هذه الدِّراسة– استجابة للسِّياسة، وظروف البيئة المحيطة.

[1] المرجع السابق، ص 28–29.

الفصل الثالث

المسار السِّياسيّ والعسكري لحركة حماس

2014-2005

الفصل الثالث

المسار السِّياسيّ والعسكري لحركة حماس 2005-2014

1.3 نشأة حماس ومنطلقاتها الفكريَّة

ولدت حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس في 14 كانون الأوَّل عام 1987[1]. وتُعدُّ إحدى مكوِّنات الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة، تتميَّز بخطّ أيدولوجيّ إسلاميّ في ميثاقها "...فالإسلام منهجها، ومنه تستمدّ أفكارها، ومفاهيمها، وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان، وإليه تحتكم في كلّ تصرفاتها، ومنه تستلهم ترشيد خطاها"[2].

تنطلق مشارب الفكر السِّياسيّ لدى حماس؛ من نتاج الفكر الإسلاميّ القديم والحديث والمعاصر، والفكر السِّياسيّ للإخوان المسلمين، والأدبيَّات السِّياسيَّة لقادة وكوادر حركة حماس[3]. وتعود في جذورها إلى الأربعينات من القرن العشرين، فحماس تقدِّم نفسها على أنَّها امتداد لحركة الإخوان المسلمين؛ ورد في المادَّة الثَّانية من ميثاقها التأسيسيّ أنَّ " حركة المقاومة الإسلاميَّة جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين"[4]. قال الشيخ أحمد ياسين: "... نحن امتداد للإخوان المسلمين في كلّ العالم، نحن موجودون هنا بفكر الإخوان، وبالعقيدة الإسلاميَّة كاملة، وليس هناك أيّ خلاف بيننا وبينهم، كلّ الخصوصيَّة اللي بنتمتَّع فيها هنا في فلسطين، إنه إحنا إلنا أرض محتلَّة... "[5]. وقبل الإعلان عن الحركة، استخدم الإخوان المسلمون أسماء أخرى للتَّعبير عن مواقفهم السِّياسيَّة تجاه القضيَّة الفلسطينيَّة منها: "المرابطون على أرض الإسراء"، و"حركة الكفاح الإسلاميّ"، وغيرها[6].

---

[1] حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، بيان الانطلاقة الأوَّل، 14 كانون الأوَّل1987م، http://bit.ly/1MfVwMl.

[2] **ميثاق حماس:** المادَّة الأولى.

[3] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، بيروت، ط 2014، ص3.

[4] **ميثاق حماس:** المادَّة الثَّانية.

[5] مقابلة مع أحمد ياسين، قناة الجزيرة، الخلاف حول شهادة الشَّيخ أحمد ياسين،9 حزيران1999. http://bit.ly/1OF71hC.

[6] الجزيرة نت، موسوعة الجزيرة: حركة المقاومة الإسلاميَّة، حركات وأحزاب، 2014/11/6 م، http://bit.ly/1LWogv7.

حركة حماس تعرِّف نفسها على أنَّها حركة جهاديَّة بالمعنى الواسع لمفهوم الجهاد، وتؤمن أنَّ النَّهضة الإسلاميَّة هي المدخل الأساسيّ لتحرير كامل فلسطين، وهي في سياق التَّعريف عن نفسها، تبيِّن أنَّها حركة شعبيَّة تعبِّر عن امتداد جماهيريّ شعبيّ واسع ومتجذِّر في صفوف أبناء الشَّعب الفلسطينيّ والأمَّة الإسلاميَّة. وترى في العقيدة والمنطلقات الإسلاميَّة أساسًا ثابتًا للعمل ضدَّ عدوٍّ يحمل منطلقات عقائديَّة، ومشروعًا مضادًّا لكلّ مشاريع النُّهوض بالأمَّة في إشارة إلى المشروع الصُّهيونيّ[1].

يرى الباحث أن الامتداد الفكري والدور الذي تلعبه حركة حماس تفسره العلاقة الجدليَّة بين الدِّينيّ والسِّياسيّ؛ أي أنَّ الأديان والمجتمعات مع اختلاف مستوياتها السِّياسيَّة والاجتماعيَّة تشهد ظاهرة إحياء وتجديد، وهي ظاهرة "سوسيوتاريخية" شائعة ومتكرِّرة الحدوث باستمرار عبر الأزمان، وليست مؤقَّتة، أو وليدة لحظة طارئة، حيث يلعب الدِّين والسِّياسة دورًا فعالًا في البنية الأيديولوجيَّة للمجتمعات والدُّول. ويتمُّ هذا التَّفاعل بين الدِّين والسِّياسة والمجتمع عبر استخدام الرُّموز والعبارات والشِّعارات الدِّينيَّة كأدوات أساسيَّة يتمُّ توظيفها في تبرير السِّياسات والممارسات، وإضفاء المشروعية عليها. أو يتمُّ توظيف السِّياسة – كما هو الحال الذي يفسر سلوك حركة حماس – كأداة لتحقيق مجد ديني أو غاية وطنية ذات أبعاد ومرتكزات دينية ، ويحدث هذا التَّفاعل في إطار ديناميكيَّة متلازمة، لا تنفصل تمامًا، وإنَّما يغلب أحدهما –الدِّين أو السِّياسة– على الآخر بحسب المنطلقات المحرِّكة، والأهداف الحقيقيَّة، من خلال توظيف أحدهما وتطويعه في خدمة الآخر.

2.3 موقف حماس من المشاركة في انتخابات عام 2006

رغبت حماس في المشاركة في صناعة القرار الفلسطينيّ، فكان عام 2005 بوَّابة الدُّخول الزَّمنيّ، ومنعطفًا تاريخيًّا في مسار حركة حماس، حيث رأت حماس أنَّ الظُّروف والمتغيِّرات السِّياسيَّة، وموازين القوى اختلفت، وبدأت تتشكَّل خريطة جديدة من القوى والتَّحالفات على السَّاحة الدَّوليَّة والإقليميَّة، كما وجدت حماس نفسها من الدَّاخل مهيَّأة جماهيريًّا

[1] الجزيرة نت، موسوعة الجزيرة: **حركة المقاومة الإسلاميَّة، حركات وأحزاب**، مرجع سابق.

–على الأقلّ– لرصيدها الشَّعبي المتنامي الَّذي أحرزته في مسيرة مقاومتها للاحتلال منذ انطلاقتها بشكل تراكميّ ومنحنى تصاعديّ، بدءًا من الانتفاضة الأولى عام 1987 وصولًا إلى انتفاضة الأقصى عام 2002، وتجسد في نتائج الانتخابات المحلية مطلع عام 2006م. تعدُّ هذه بعض العوامل الَّتي مهَّدت لحماس لدخول انتخابات المجلس التَّشريعيّ وبالتَّالي عدَّتها فرصة لسحب بساط التَّفرد والاستئثار بالقرار الفلسطينيّ ومؤسساته من تحت حركة فتح المهيمنة على منظَّمة التَّحرير ومؤسَّساتها[1].

وفي سياق الحديث عن منطلقات حماس الفكريَّة، نورد ما جاء في برنامج كتلة "التَّغيير والإصلاح" – الَّتي تمثِّل حركة حماس في المجلس التَّشريعيّ الفلسطينيّ– فالحركة تستلهم المقاصد العليا للشَّريعة الإسلاميَّة وتعدُّها –أيْ الشَّريعة الإسلاميَّة– المصدر الأساسيّ للتَّشريع، والإسلام نظام شامل، يحترم الإنسان، ويحفظ له حقوقه، ويلزمه بتأدية واجباته، وذلك بالتَّوازي مع حقوق المجتمع[2].

3.3 موقف حماس من التَّسوية السِّياسيَّة والتَّفاوض والوضع الفلسطينيّ الدَّاخليّ

انتقال حماس من موقع المعارضة إلى موقع الحكم؛ سيشكِّل عاملًا ضاغطًا عليها؛ ويضعها أمام تحدِّيات كبيرة؛ من أجل إحداث تغييرات بنيويَّة وأيديولوجيَّة، لكنَّها من المستبعد أنْ تصل حدَّ التَّنصُّل من منطلقاتها الأساسيَّة؛ لأنَّها حينئذ ستفقد سرُّ قوَّتها الكامنة في بوصلتها الأيدولوجيَّة، وبالتَّالي ستفقد مبرِّر وجودها وقدرتها على الاستمرار.

لذلك نجد أنَّ البرنامج الحكوميّ لحماس اكتنفه نوع من الغموض المقصود على ما يبدو، حيث لم يتضمَّن صراحة المنطلقات الفكريَّة للحركة، وخاصَّة تلك الَّتي تثير جدلًا، لكنَّ البرنامج من حيث الجوهر سيحتكم بالضَّرورة إلى هذه المرجعيَّة، مع قدر كبير من المرونة، وربَّما

[1] حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، بيان المشاركة في انتخابات المجلس التَّشريعيّ الفلسطينيّ، 12 آذار2005، http://bit.ly/1UCbpSX.

[2] كتلة التَّغيير والإصلاح: **البرنامج السياسي**، مرجع سابق.

الغموض البنَّاء كما قال رئيس الحكومة المكلَّف نفسه: "سوف يتمُّ التَّشديد على أنَّ الإسلام نظام شامل للحياة، وأنَّ الشَّريعة هي المصدر الأساسيّ للتَّشريع"[1].

وفي سياق المنطلقات الفكريَّة الَّتي تتحدَّث عنها الدِّراسة؛ لا بدَّ من التَّعريج على أهمِّ تصوُّرات حماس، انطلاقًا من فكرها وفهمها السِّياسيّ تجاه قضايا مهمَّة. أمَّا عمليَّة التَّفاوض الَّتي تدعى "عملية السَّلام"، فنجد أنَّ حركة حماس أكَّدت مرارًا أنَّها ليست ضدَّ مبدأ السَّلام؛ فهي مع السَّلام، وتدعو له، وتسعى لتحقيقه، وتتَّفق مع دول العالم جميعهم على أهميَّة أنْ يسود ربوع العالم أجمع، ولكنَّها تعبِّر عن موقفها بأنَّها مع السَّلام العادل الَّذي يعيد الحقوق للشَّعب الفلسطينيّ، ويمكِّنه من ممارسة حقِّه في الحرية والعودة والاستقلال وتقرير المصير. والحركة ترى أنَّ الاتِّفاقات الَّتي تمَّ التَّوصل إليها حتَّى الآن؛ لا تلبي طموح الشَّعب الفلسطينيّ، ولا تستجيب للحدِّ الأدنى من تطلُّعاته، فهي اتِّفاقات غير عادلة كما تراها حماس[2].

وتؤكِّد حماس أنَّ مبدأ التَّسوية السِّياسيَّة أيًّا كان مصدرها، أو أيًّا كانت بنودها؛ فإنَّها تنطوي على التَّسليم للعدو الصُّهيونيّ بحق الوجود في معظم أرض فلسطين، وما يترتَّب عليه من حرمان الملايين من أبناء الشَّعب الفلسطينيَّ من حقِّ العودة، وتقرير المصير، وبناء الدَّولة المستقلَّة، على كامل الأرض الفلسطينيَّة، وإقامة المؤسَّسات الوطنيَّة، وهذا أمر لا ينافي فقط القيم والمواثيق والأعراف الدَّوليَّة والإنسانيَّة، بل يدخل في دائرة المحظور في الفقه الإسلاميّ، ولا يجوز القبول به؛ فأرض فلسطين في وجهة نظر حماس أرض إسلاميَّة مباركة اغتصبها الصَّهاينة عنوة، ومن واجب المسلمين الجهاد من أجل استرجاعها، وطرد المحتلّ منها[3].

يشير خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إلى قبول مبدأ التفاوض مع الاحتلال فيقول أنَّ "التَّفاوض مع العدو امتداد وإدارة للحرب بطريقة أخرى"[4]، وأنَّ الوضع على

---

[1] برنامج حكومة حماس: بين الواقع والمأمول (نظرة تنمويَّة)، برنامج دراسات تنمويَّة، جامعة بير زيت، http://sites.birzeit.edu/cds/arabic/news/tayseerpaper1.html.

[2] وزارة الخارجيَّة الفلسطينيَّة (التابعة لحكومة حماس في غزة)، أحزاب فلسطينية، حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، http://bit.ly/1eozgnL.

[3] المرجع السابق.

[4] فلسطين اليوم، جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس، العدد 2832، الأربعاء 17-4-2013م، ص5، http://bit.ly/1ZnD77r.

الأرض يحدِّد نتائج أيّ تسوية؛ لأنَّ السَّلام يصنعه الأقوياء. ويرى الباحث أنَّ هذه المعادلة بدأت تأخذ مجراها في جولات المواجهة الَّتي خاضتها المقاومة الفلسطينيَّة مع إسرائيل منذ العام 2006، وصولًا لحرب 2014، الَّتي استمرت ما يزيد على 50 يومًا، وفي هذا الشأن يعود ويؤكد خالد مشعل أنَّ: "التَّفاوض مع الأعداء غير مرفوض شرعًا أو عقلًا، لكنَّه أداة تفرضها تكتيكات إدارة الصِّراع، ضمن رؤية وقواعد وضوابط تحكم التفاوض مع الأعداء"[1].

وعن تصوُّر حماس للجبهة الدَّاخليَّة، وروابطها الخارجية، ومفاهيمها كالشَّراكة والوطنية؛ نجد– إذا رجعنا إلى برنامج "كتلة التَّغيير والإصلاح" الَّتي تمثّل حركة حماس في المجلس التَّشريعيّ الفلسطينيّ– تركيزاً واضحاً على تجسيد البعد الوطني، حيث ورد فيه أنَّ الشَّعب الفلسطينيّ وحدة واحدة، في أماكن تواجده كافَّة، وهو جزء لا يتجزَّأ من الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة؛ ومن الواضح أنَّ النَّص لا يقف عند المفهوم السِّياسيّ لوحدة الأمَّة العربيَّة، بل يضفي عليه مفاهيم دينيَّة تعطيه قدرًا من القداسة، على أساس أنَّ الأمَّة العربيَّة هي جزء من الأمَّة الإسلاميَّة، وأنَّ الإسلام يشملهم جميعًا[2].

ويمكن النَّظر إلى تحالفات حماس مع غيرها من الفصائل الفلسطينية –وبالذَّات تحالف الفصائل العشرة، الَّذي تشكَّلت جذوره الأولى في تشرين الأوَّل1991، الَّذي ضمّ فصائل علمانيَّة ويساريَّة، إضافة إلى الحزب الشُّيوعيّ –على أنَّه دليل على مرونة حماس في فهمها لمسألة الوطنيَّة؛ حيث لا تجد تعارضًا بين الوطنيَّة والإسلاميَّة في علاقاتها العمليَّة مع الآخرين، ويروي خالد الحروب في كتاب الفكر السياسي لحماس نقلا عن علي الجرباوي أنَّ حماس "ضمنت لنفسها موقعًا مميِّزًا في المشهد السِّياسيّ الفلسطينيّ بقبولها بالتَّعدُّدية الأيديولوجيَّة في السَّاحة الفلسطينيَّة، وتعاملها مع تلك السَّاحة على أساس ذلك الواقع مؤكِّدة منهجًا براغماتيًّا"[3].

---

[1] فلسطين اليوم، **جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس**، مرجع سابق ص5.

[2] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص12.

[3] الحروب، خالد: "**حماس: الفكر والممارسة السِّياسيَّة**"، بيروت: مؤسسة الدِّراسات الفلسطينية، 1996، ص 238.

4.3 موقف حماس من تطوُّرات الأحداث الدَّاخليَّة الفلسطينيَّة 2005-2008

بدأت سنة 2005، وهي تحمل سمة التَّوجُّه لخيارات جديدة للعمل الوطنيّ الفلسطينيّ، والبحث عن الشَّراكة والوحدة والإجماع، وهذا ما يشير إليه اتِّفاق القاهرة الَّذي عقد في 17 آذار 2005، والَّذي شاركت فيه مؤسَّسة الرِّئاسة في السُّلطة الفلسطينيَّة، وبحضور اثني عشر تنظيمًا وفصيلًا فلسطينيًّا -وكانت حماس وفتح ضمن الفصائل المشاركة-، ومثَّل في حينه البرنامج السِّياسيّ للحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة، وقد تضمَّن الاتِّفاق نقاطًا عدَّة، أهمها[1]:

1- التَّمسُّك بالثَّوابت الفلسطينيَّة دون أيّ تفريط، وتأكيد حقّ الشَّعب الفلسطينيّ في المقاومة؛ من أجل إنهاء الاحتلال، وإقامة الدَّولة الفلسطينيَّة كاملة السِّيادة، وعاصمتها القدس، وضمان حقّ عودة اللاجئين إلى ديارهم وممتلكاتهم.

2- التوافق على برنامج عام 2005 الذي يرتكز على الالتزام باستمرار المناخ الحاليّ للتَّهدئة، مقابل التزام إسرائيليّ متبادل بوقف أشكال العدوان كافَّة على الأرض والشعب الفلسطيني أينما وُجد، وكذلك الإفراج عن الأسرى والمعتقلين جميعهم.

3- الاتفاق على ضرورة استكمال الإصلاحات الشَّاملة في المجالات كافَّة، ودعم العمليَّة الدِّيمقراطيَّة بجوانبها المختلفة، وعقد الانتخابات المحليَّة والتَّشريعيَّة في توقيتاتها المحدَّدة، وفقًا لقانون انتخابيّ يتمّ التَّوافق عليه.

4- الاتفاق على تفعيل منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة وتطويرها، وفق أسس يتمّ التَّراضي عليها، بحيث تضمّ القوى والفصائل الفلسطينية جميعهم، بصفة المنظَّمة الممثِّل الشَّرعيّ الوحيد للشَّعب الفلسطينيّ.

وهذا يشير إلى وجود نوايا مشتركة نحو وحدة حقيقيَّة في إطار برنامج مرحليّ توافقيّ، يضاف إلى ذلك عُدَّ الاتفاق بمثابة تقديم فرصة من فصائل العمل الوطنيّ والإسلاميّ مجتمعة

[1] مسارات: وثيقة النَّصّ الكامل لمؤتمر الحوار الفلسطينيّ في القاهرة، المصالحة الفلسطينيّة، 17 آذار2005، http://bit.ly/1KVi9GS.

لأبي مازن؛ لإحراز تقدُّم ملموس على صعيد الإصلاح الدَّاخليّ، وتحقيق الأهداف الوطنيَّة الفلسطينيَّة[1].

لم ينجح أبو مازن في الحصول على تهدئة من الجانب الاسرائيليّ، وبقيت معظم البنود المتَّفق عليها حبرًا على ورق، ولم تتجسَّد الوحدة المأمولة بشكل حقيقيّ. من جهة أخرى وفي العام 2005 كانت انتخابات البلديات الَّتي عبَّرت عن مؤشرات لم تكن حاسمة، ولكنَّها كانت تدلِّل على حدوث متغيِّرات ملفتة، فكان يجب انتظار ما تتمخَّض عنه نتائج المجلس التَّشريعيّ المرتقبة. حدثت الانتخابات التَّشريعيَّة في كانون الثَّاني من العام 2006، وشهد لها المراقبون المحليُّون والدَّوليون بالنَّزاهة والشَّفافيَّة، ولكنْ قبل القفز على النَّتائج، لا بدَّ من وقفة، حيث يبرز هنا سؤال يُطرح قبل الحديث عن النَّتائج الانتخابيَّة، وما ترتَّب عليها: ما الَّذي غيَّر موقف حماس من الدُّخول في الانتخابات، بينما كانت ترفض المشاركة فيها في السَّابق، وتحديدًا انتخابات 1996؟.

5.3 براغماتية حماس ... تشدد في العقيدة ومرونة في السياسة

هنا كان لا بدَّ من الوقوف عند ما قاله وعبر عنه قادة حماس أنفسهم، لنرى ما الَّذي تغيَّر في موقف حماس؟. لقد كانت ترفض المشاركة في الانتخابات في السَّابق بحجَّة أنَّها كانت تحت ظلّ اتفاقية أوسلو، وكان يجب عليها الالتزام بالاتفاقيَّات الموقعة بين منظَّمة التَّحرير وإسرائيل، وهذا ما تؤكِّد حماس رفضه، وهي في الوقت ذاته ترى من منظور براغماتيّ؛ أنَّ الواقع قد تغيَّر بعد انتفاضة الأقصى، وأنَّ الموازين المحليَّة والدَّوليَّة اختلفت إلى حدّ مقبول بالنسبة لها عن ذي قبل[2].

تقول حماس بشكل ضمنيّ: إنَّ الانتخابات الَّتي سيشاركون فيها هي بالفعل ثمرة أوسلو، ولكنَّها تؤكِّد بوضوح أنَّ انتفاضة الأقصى، وما ترتَّب عليها من تغيُّرات قد قفزت عن اتفاق

---

[1] مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات: **التَّقرير الإستراتيجيّ الفلسطينيّ لسنة 2005**. بيروت، لبنان، ص2.

[2] حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، بيان جماهيري حول مشاركة حماس في الانتخابات البلديَّة والتَّشريعيَّة، 29 تشرين الأوَّل 2005، http://bit.ly/1TX8Avx.

أوسلو، وبناءً عليه فإنَّ الانتخابات التَّشريعيَّة ليست تحت ظلّ اتفاق أوسلو الَّذي -كما ترى حماس- انتهى مع اندلاع انتفاضة الأقصى؛ بفعل ممارسات الاحتلال المناقضة لاتِّفاق أوسلو، وبالتَّالي فإنَّ حماس ترى أنَّها غير مرهونة باستحقاقاته[1] لاعتبارات سياسية أكثر منها إيديولوجية.

وفي ذات السِّياق يقول ناصر اللَّحام:"... إنَّ اتِّفاقيَّة أوسلو قامت على أساس مبدأ الأرض مقابل السَّلام، وهي اتِّفاقية مرحليَّة تقضي بأنْ ينتهي الطَّرفان من ملفات التَّفاوض النِّهائية في غضون خمس سنوات، وأنْ يكون حدُّها الأقصى العام 1998، وبعدها تنتهي اتِّفاقيَّة أوسلو المؤقَّتة، ويحلّ محلَّها اتِّفاقيَّة الصُّلح بين منظمة التَّحرير وبين إسرائيل، بحيث تُقام دولة فلسطين غرب النَّهر، وعاصمتها القدس الشَّرقيَّة، ويعمّ السَّلام وحسن الجوار بين الشَّعبين. وإنَّ المفروض أن تكون فلسطين دولة ديموقراطيَّة منزوعة السِّلاح، وأن تكون إسرائيل دولة ديموقراطيَّة تمنح العرب الَّذين يعيشون تحت السِّيادة الإسرائيليَّة حقَّ الانتخاب والتَّرشُّح والمساواة "[2].

ويتابع اللحام قوله: "غدرت حكومات إسرائيل، وانقلبت على اتِّفاقيَّة أوسلو، وأصبحت اتِّفاقيَّة أوسلو مثل شيك راجع لا رصيد له في بنوك المعاهدات الدَّوليَّة. وتحمل القيادة الفلسطينيَّة هذا الشِّيك منذ 15 عامًا، وتصيح في كلّ واد بأنَّ إسرائيل خرقت المعاهدة..."[3].

ومن وجهة نظر حماس، فهي تعتقد أنَّها غير ملزمة بما التزمت به منظَّمة التَّحرير مع إسرائيل، كما أنَّ حماس ترى أنَّ السُّلطة أصبحت منهكة، وبالتَّالي سيصبح وجودها على هذا الحال عبئًا على القضية والشَّعب، ويجب أنْ تمشي عجلة التَّغيير والإصلاح نحو الأمام.

وفي هذا السِّياق يقول خالد مشعل: إنَّ "السُّلطة بفسادها المتسارع والاستثنائيّ؛ أصبحت عبئًا على الشَّعب الفلسطينيّ، فكان من الطَّبيعيّ والواجب محاربة هذا الفساد وتعزيز عوامل

---

[1] حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، بيان جماهيري حول مشاركة حماس في الانتخابات البلديَّة والتَّشريعيَّة، مرجع سابق.

[2] اللَّحَّام، ناصر: الردّ الأنسب على يهوديَّة الدَّولة هو إلغاء اتِّفاق أوسلو، وكالة معًا الإخباريَّة، مقال نشر يوم 25 تشرين الثَّاني 2014، http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=742498.

[3] المرجع السابق.

الصُّمود الفلسطينيّ؛ لذا رفعنا شعار التَّغيير والإصلاح، جنبًا إلى جنب مع العمل المقاوم"[1]. وأوضح قائلًا: "عندما قرَّرنا المشاركة في السُّلطة كانت هناك دواعٍ وضرورات تؤكِّد أنَّ الحكمة والمصلحة والضَّرورة تتطلَّب المشاركة في السُّلطة، رغم أنَّها ثمرة لاتِّفاق أوسلو"[2]. كما لفت إلى أنَّ السُّلطة آنذاك كانت تتحكَّم في مفاصل الحياة اليوميَّة للشَّعب الفلسطينيّ(في الضِّفة، والقطاع، والشَّتات)، وتنوب عن الاحتلال في مهامه الأمنيَّة، لاسيَّما "قمع المقاومة، وملاحقة كوادرها بحكم التزامات السُّلطة مع العدو"[3].

وأشار مشعل إلى أنَّ السُّلطة –قبل مشاركة حماس فيها– كانت "تشكِّل خطرًا متعاظمًا على مشروع المقاومة، وخنجرًا في ظهرها؛ فكان قرار مشاركة حماس فيها للحدِّ من شرور ومخاطر السلطة"[4]. وأضاف: "مشاركة حماس جاءت بعد انتهاء اتِّفاق أوسلو فور تفجُّر الانتفاضة الثَّانية ضدَّ الاحتلال الصُّهيونيّ، حيث أصبح التَّيَّار العامّ في السَّاحة الفلسطينيَّة بمختلف القوى والجماهير؛ يتحرَّك على أساس مشروع المقاومة"[5].

6.3 عجلة المصالحة تعطِّلها عصيّ المصالح

بعد فوز حماس في انتخابات البرلمان الفلسطينيّ، دعت إلى تشكيل حكومة وحدة وطنيَّة[6]، تفهُّمًا منها للمتطلَّبات، واستجابة للظُّروف الَّتي تمرّ بها السَّاحة الفلسطينيَّة، ورغبة في تحقيق مستوى من الشَّراكة يساعد في دفع العجلة للأمام، سوى أنَّ فتح رفضت تلك المبادرة، وبدأت تظهر علامات ومؤشِّرات من أجواء التَّوتُّر بين حماس وفتح. بالطَّبع كانت هناك عوامل تغذِّي هذا التَّوتُّر الحاصل، وأهمُّها: خوف فتح من سحب البساط من تحت أقدامها؛ إنْ أعطت حماس الفرصة في قيادة السَّفينة الفلسطينيَّة الَّتي اعتادت على قيادتها وتوجيهها طيلة السَّنوات

---

[1] فلسطين اليوم، **جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس**، العدد 2832، الأربعاء 17–4–2013م، ص8، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق، ص8.

[3] المرجع السابق، ص8.

[4] المرجع السابق، ص8.

[5] المرجع السابق، ص8.

[6] مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات: **التَّقرير الإستراتيجيّ الفلسطينيّ لسنة 2006**، مرجع سابق، ص26.

السَّابقة، منذ تأسيس منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، دون أنْ يكون لها ندّ أو منافس حقيقيّ كحماس اليوم، وخوف حماس من مساعي إفشال أول تجربة لها في الحكم، والصراع على الصلاحيات التنفيذية في الحكم بين الطرفين، والاتهامات المتبادلة التي وصلت حد التراشق الإعلامي وغيرها.

انتهت سنة 2006، وقد وصلت حدَّة الخلافات والتَّوتُّرات بين مؤسَّسة الرِّئاسة ورئاسة الوزراء، وبين ما ادعت حماس أنه تيار انقلابي داخل فتح وحماس، إلى حافَّة الانفجار الشَّامل ممثَّلًا بصراع الصَّلاحيات بين مؤسَّسة الرِّئاسة والحكومة تكلَّل بتشكيل حماس قوَّة أطلقت عليها "القوَّة التَّنفيذيَّة"، وفي المقابل شكَّل الرَّئيس قوَّة أطلق عليها "الحرس الرِّئاسيّ"[1] والتي كانت منفصلة كقوة تنفيذية عن قوات الـ17 (أمن الرئاسة) التي شكلها الراحل أبو عمار، ولاحقا أُتبعت قوات الـ17(أمن الرئاسة) بقوات الحرس الرئاسي التي شكلها الرئيس محمود عباس وتم دمجهما في نهاية عام 2007 بقرار رئاسي.[2]

تصاعدت الأزمة بين حماس وفتح إلى أنْ وجَّه الملك عبد الله بن عبد العزيز في 29 كانون الثَّاني2007؛ نداءً لقيادة الشَّعب الفلسطينيّ بعقد لقاء بجوار بيت الله الحرام في مكَّة؛ لوقف المأساة الواقعة بين الأشقَّاء، كما جاء في النِّداء العاجل[3].

لقيت هذه الدَّعوة ترحيبًا من قبل الرِّئاسة الفلسطينيَّة، ومن حركة حماس، ومن دول عربيَّة عديدة. وقد تمَّ عقد اللِّقاء في مكَّة بين الأطراف، وتمَّ الاتِّفاق على بنود الصُّلح في فترة ثلاثة أيَّام، وعاد وفدا حماس وفتح إلى غزَّة استعدادًا لتقديم حكومة هنيَّة استقالتها، وتسليم كتاب التَّكليف الجديد رسميًّا إلى إسماعيل هنيَّة؛ ليبدأ مشاوراته في تشكيل حكومة الوحدة الوطنيَّة الجديدة[4]، ولكنْ لم تلبث الأوضاع أنْ هدأت حتَّى عادت بوتيرة أكثر اشتعالًا، واتَّجهت نقطة

---

[1] مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات: **التَّقرير الإستراتيجيّ الفلسطينيّ لسنة 2006**، مرجع سابق، ص35-36.

[2] قانون، الأخبار، الوقائع الفلسطينية، السنة14 عام2007، العدد 74، 9-6-2008، قرار رقم(324) لسنة 2007بشأن دمج قوات أمن الرئاسة (قوات 17)، http://bit.ly/1ZpsYHc.

[3] مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات: **التَّقرير الإستراتيجيّ الفلسطينيّ لسنة 2007**، بيروت، لبنان، ص30.

[4] المرجع السابق، ص33.

الصِّراع إلى حسم الوضع في الميدان، فكان السِّلاح والقوَّة هما الفيصل في هذه المعادلة الصَّعبة، وحدث الانقسام الفلسطينيّ، وأعلنت حركة فتح أنْ لا صلح مع حماس حتَّى تعود عن انقلابها، وحماس ترى أنَّها الشَّرعيَّة المنتخبة، وأنَّ ما قامت به ما هو سوى تفويت فرصة على من يريد إفشالها في أوَّل تجربة لها في الحكم، ولكنَّ الأبواب لم توصد تمامًا، فالمحاولات الَّتي ساهم فيها عديد من الجهات والأطراف؛ بدأت تحرِّك ساكنًا. فموقف مصر كان ذا أثر، وكذلك الأردنّ، على اعتبار أنَّها دول طوق إقليميَّة لا يمكن تجاوزها في أيّ معادلة[1].

رويدًا رويدًا بدأت استجابة حماس وفتح لطريق المصالحة تأخذ طريقها عبر لقاءات وحوارات القاهرة، وفي هذا الصَّدد تشير إحدى مذكَّرات حماس المتعلِّقة بلقاءات المصالحة إلى العقبات والعراقيل الَّتي تواجهها المصالحة، وتحول دون إنجازها وتحقيقها؛ فقد ورد في المذكرة: "... في البداية حاولنا أنْ نقنع أنفسنا ونفسِّر موقف الإخوة في فتح على أنَّه سلوك تفاوضيّ؛ يهدف إلى تحقيق إنجازات ومصالح يقدِّرونها، إلى أنْ أوصلوا الحوار إلى طريق مسدود في أعقاب الجولة السَّادسة من الحوار، الأمر الَّذي لا تدَّعيه حماس، وإنما أقرَّ به الإخوة في مصر عندما أجرينا معهم تقييمًا مشتركًا للموقف والوضع الَّذي آلت إليه الأمور على مستوى المصالحة..."[2].

كما تشير المذكرة في سياق آخر إلى أنَّه "... مع الأسف، تأكَّد لنا بشكل حاسم ما كنَّا نلحظ بوادره؛ أنَّ تعطيل المصالحة يأتي في سياق خطَّة أوسع، منسَّقة مع أطراف عديدة؛ تهدف إلى المناورة وإضاعة الوقت للوصول إلى موعد الاستحقاق الانتخابيّ، ثمَّ جرّ الوضع الفلسطينيّ إلى انتخابات دون مصالحة، والتَّحكم بمدخلاتها لضمان نتائجها، بما يؤدي إلى تهيئة المسرح لعمليَّة سياسيَّة، برؤية محدَّدة، تنحصر في الضِّفة الغربيَّة، وتستثني قطاع غزَّة إنْ لزم الأمر. وقد عزَّز ذلك ما جرى على مستوى الانتخابات الدَّاخلية لحركة فتح، وعلى مستوى عقد المجلس

---

[1] مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات: **التَّقرير الإستراتيجيّ الفلسطينيّ لسنة 2007**، مرجع سابق، ص35-39.

[2] نصّ مذكَّرة حول موقف حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس وجهودها لتحقيق المصالحة الوطنيَّة الفلسطينيَّة برعاية جمهوريَّة مصر العربيَّة، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، http://www.alzaytouna.net/permalink/4934.html

الوطنيّ الفلسطينيّ في رام الله؛ لاستكمال اللَّجنة التَّنفيذيَّة للمنظَّمة، وكلّ ذلك جاء في سياقات واضحة لا نظنُّها تخفى على صانعي السِّياسة ولاعبيها في منطقتنا، بل سمعنا ذلك من عدد من المسؤولين العرب، ومن أوساط أجنبيَّة، فضلًا عن تقاطع ذلك مع معلوماتنا الدَّقيقة من داخل أروقة فتح ورئاسة السُّلطة..."[1].

وتضيف المذكرة: أنَّ حماس نظرت إلى تلك السِّياقات الَّتي وردت في المذكرة بخطورة بالغة، وذهبت إلى أنَّ هذا البرنامج "... سيؤدي إلى تعميق الانقسام وتحويله إلى انفصال دائم، ويمزق النَّسيج الوطنيّ الفلسطينيّ، ويضرُّ ضررًا بالغًا بقضيتنا الوطنيَّة، ممَّا استدعى تحركًا جادًّا سريعًا من طرفنا، وبادرنا بطلب اللِّقاء مع الإخوة المسؤولين في مصر، وتمَّ ذلك بلقاء وفد من قيادة الحركة برئاسة رئيس مكتبها السِّياسيّ، مع الوزير عمر سليمان ومساعديه يوم السَّبت بتاريخ 5 أيلول2009. وقد تمَّت مناقشة الوضع الفلسطينيّ بكّل جوانبه بشكل جادّ ومعمَّق، وبصراحة وشفافيَّة، وقد وجدنا معلومات ومخاوف لدى الإخوة في مصر تعزِّز ما أشرنا إليه من معطيات. وبناءً على ذلك، توافقنا مع الإخوة المسؤولين في مصر على خطوط رئيسة للتَّحرك لإنهاء الانقسام، وتجنيب الوضع الفلسطينيّ المزيد من التَّشرذم والخسائر، وذلك على قاعدة الإصرار على تحقيق المصالحة أولًا، ثمَّ تجري الانتخابات في ظلِّها، وليس العكس. وهم يعلمون كما يعلم كلّ متابع منصف أنَّ تحرك حماس والتَّجاوب مع الرِّعاية والجهود المصريَّة هو الَّذي فتح الباب، ومهد الطَّريق أمام المصالحة الوطنيَّة وإنهاء الانقسام. وفعلًا، قدَّم المسؤولون في مصر رؤيتهم في ورقة تحمل اسم "الرُّؤية المصريَّة لإنهاء حالة الانقسام الفلسطينيّ"، تسلَّمناها بتاريخ 10 أيلول2009، ووزِّعت على جميع الفصائل الفلسطينيّة المشاركة في الحوار. وفي الوقت الَّذي تردَّدت قيادة فتح في الموافقة عليها، بل رفضتها في بداية الأمر؛ وصل – مرة أخرى– وفد قياديّ من الحركة إلى القاهرة بتاريخ 28 أيلول2009؛ ليعلن رئيس المكتب السِّياسيّ من هناك، وعبر مؤتمر صحفيّ أنَّ طريق المصالحة أصبحت سالكة، وأنَّ شهر تشرين

[1] **نصّ مذكَّرة حول موقف حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس وجهودها لتحقيق المصالحة الوطنيَّة الفلسطينيَّة برعاية جمهوريَّة مصر العربيَّة**، مرجع سابق.

الأوّل 2009 سيشهد توقيع اتِّفاق المصالحة الوطنيَّة الفلسطينيَّة في العاصمة المصريَّة القاهرة. وكان تمَّ الاتفاق على أنْ يتمّ ذلك قبل نهاية شهر أيلول 2009م"[1].

هنا أخفقت المصالحة مرَّة أخرى، ولم تحرز تقدما حقيقيًّا ملموسًا، واستمرّ جليد الانقسام مطبقًا، بالتزامن مع محاولات القاهرة في إحداث كسر حقيقي في الجليد؛ فمساعي القاهرة في عهد مبارك لم تنهِ الانقسام، وانطلقت ثورات الحراك العربيّ في نهاية 2010، وتأثَّرت مصر بهبة الحراك الَّذي نالها نصيب منه، وسقط مبارك، وخلال الفترة الانتقاليَّة بعد ثورة 25 كانون الثَّاني بقي الملفّ الفلسطينيّ يراوح مكانه، حتَّى تمَّت الانتخابات المصريَّة البرلمانيَّة والرِّئاسيَّة الَّتي على إثرها صعد الإخوان المسلمون سدَّة الحكم.

وفي عهد الرَّئيس الجديد محمد مرسي 2012– 2013 عادت لقاءات الحوار إلى سابق عهدها بين الأخذ والرَّدّ، ولكنْ في هذه المرحلة أيضًا لم تنضج الأمور كما هو مأمول على المستوى الشَّعبيّ والمؤسَّسات الوطنيَّة، الَّتي تنتظر إنهاءً حقيقيًّا للانقسام، ولكن يمكن الحديث أنَّه حدث خرق لجدار الانقسام، وأصبح هناك أمل في الاستمرار، وكسر الجليد، ولكنَّ الطَّريق ما زالت في أولى خطواتها.

7.3 تجربة حماس بين الحكم والمقاومة

يقول (ألون باز)[2] : "... منذ أنْ أمسكت حماس بزمام السُّلطة في قطاع غزَّة سنة 2007؛ صارعت لإرساء التَّوازن بين هدفين أساسيَّين، ألا وهما: مقاومة إسرائيل، والحكم. وبعد أنْ فرضت سيطرتها على غزَّة، أصبحت حماس السُّلطة الحاكمة، وباتت مسؤولة عن الغزَّاويِّين، وعن احتياجاتهم، ونتيجةً لذلك اضطرت للقيام بمساومة على عقيدة المقاومة..."[3]. ولكنَّ حماس كانت تستعدّ لتعظيم قدراتها الدِّفاعيَّة والهجوميَّة العسكريَّة، وتتحضَّر لجولات قادمة في المواجهة

---

[1] **نصّ مذكِّرة حول موقف حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس وجهودها لتحقيق المصالحة الوطنيَّة الفلسطينيَّة برعاية جمهوريَّة مصر العربيَّة**، مرجع سابق.

[2] ألون باز: عميد في الجيش الإسرائيلي وخبير عسكري زائر في معهد واشنطن للبحوث والدراسات، أنظر، http://bit.ly/1PkEz5V.

[3] باز، ألون: "حماس: الطَّبع غلَّاب"، منتدى فكرة، 7 آب 2014، http://fikraforum.org/?p=5181&lang=ar .

مع إسرائيل، والمساومة على عقيدة المقاومة يبدو أنَّها لم تثبت، ولذلك فهي مستبعدة حتَّى تثبت، وما يدلِّل على ذلك المواجهة الأخيرة في صيف 2014 الَّتي أظهرت حماس أقوى من أيّ مواجهة سابقة، وأكثر خبرة واستعدادًا في التَّعامل مع حرب لها أبعادها العسكريَّة والإعلاميَّة والسِّياسيَّة؛ فهذه الجولة كانت ذات طابع مختلف وحسابات أكثر دقَّة من ذي قبل.

واستكمالاً لحديث (ألون باز) يقول: "... لكن على مرّ السِّنيين، ابتدعت الحركة الفلسطينيَّة صيغةً حاولت من خلالها التَّوفيق بين الهدفين اللَّذين تمَّ ذكرهما آنفًا. فاستمرَّت حماس في إظهار صدقها في المقاومة، لا سيَّما من خلال المواجهتين السَّابقتين مع إسرائيل: عمليَّة "الرصاص المصبوب" سنة 2009، وعمليَّة "عمود السَّحاب" سنة 2012، وكذلك من خلال إطلاق الصَّواريخ بشكل متقطِّع على إسرائيل. ومع توطيد سلطتها في غزَّة، وفرض هيمنتها على الجماعات المسلَّحة الأخرى في القطاع؛ برهنت حماس أنَّها هي الَّتي تدير دفَّة القيادة؛ فإنْ أراد الإسرائيليون الهدوء، سيحتاجون إلى حماس. وفي الوقت نفسه واصلت التَّشديد على أنَّ الوضع الاقتصاديّ في غزَّة ناتج عن الحصار الإسرائيليّ من أجل أنْ تبرِّئ نفسها من الحالة المزرية في القطاع. كلّ هذا في الوقت الَّذي تمكَّنت فيه حماس من إعادة توجيه الأموال المخصَّصة لتنمية غزَّة إلى تطوير قدراتها العسكريَّة من دون إدانة لهذا العمل من قبل المجتمع الدَّوليّ. وعلى الرَّغم من هذه الإخفاقات الحادَّة في الحكم، لم تخسر حماس دعمها، لا بل ازدادت شعبيتها، خصوصًا بفضل مقاومتها ضدّ إسرائيل"[1].

لقد استطاعت حماس أنْ تكسب الدَّعم الإقليميّ من بعض الدول، واضطرت إسرائيل أنْ ترفع جزءًا من القيود الاقتصاديَّة؛ خوفًا على مكانتها وسمعتها على السَّاحة الدَّوليَّة المتدحرجة نحو الأسوأ، وما يدلِّل على ذلك دراسة أجراها مركز (مولاد) الصُّهيوني الَّذي خلص إلى نتائج كثيرة من بينها وأهمُّها: "... أنَّ إسرائيل تعاني من تصوُّر عنها هابطًا ومكانة دوليَّة إشكاليَّة..."[2].

---

[1] باز، ألون: "**حماس: الطَّبع غلاب**"، مرجع سابق.

[2] ربيد، براك: لكن لا بسبب الدِّعاية، دراسة مترجمة، نقلًا عن وكالة فلسطين اليوم الإخباريَّة، التَّحليلات، الصَّحافة الصُّهيونيَّة، http://bit.ly/1TLgmbu .

إضافة إلى ذلك نجحت حماس في الحفاظ على كرامتها في جولات القتال مع إسرائيل عام 2008 و2012 و2014، وذلك عن طريق الأداء والاستعداد العالي الذي أظهرته حماس في الميدان ومنع اجتياح القطاع وإعادة احتلاله؛ معتمدةً على الطَّابع السَّريع في الحرب، الَّذي أظهر عدم رغبة إسرائيل في مواجهة طويلة تتخللها عملية استنزاف من المقاومة الفلسطينية ومخاطرة كبيرة كان من شأنها أنْ تؤدي إلى سقوط عدد كبير من الضَّحايا.

هذه الأمور وغيرها ساهمت في حدوث صعود في شعبية حماس، وتأييد نهجها المقاوم. فقد نشرت وكالة معاً نتائج استطلاع للرَّأي العام الفلسطيني أجرته مؤسسة "فافو" النرويجية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك في الفترة مابين نهاية شهر شباط وبداية شهر آذار2008 بعد الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة الذي وقع بتاريخ 27 كانون أول2008 أظهر أن شعبية حماس في ارتفاع مضطرد، كذلك فإن الدراسة قد استطلعت رأي الجمهور حول الحكومة الشرعية وقد بينت الدراسة أن 32% قالوا أن حكومة هنية هي الحكومة الشرعية بينما 25% قالوا أن حكومة فياض هي الحكومة الشرعية[1]، وفي استطلاع آخر للرأي في الضفة الغربية وقطاع غزة، أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية بدعم من مؤسسة "كونراد أديناور"، وذلك في بداية كانون أول 2014 أظهرت نتائجه أن شعبية فتح تحسنت نسبياً إلا أن شعبية حماس بقيت هي الأعلى حيث أن حماس قادرة على الفوز في انتخابات رئاسية جديدة لو جرت في تلك الفترة؛ حيث ستحصل حماس على 53% لو ترشح إسماعيل هنية وستحصل فتح على نسبة 42% لو ترشح عباس، أما لو كانت المنافسة بين الرئيس عباس ومروان البرغوثي وإسماعيل هنية، فإن عباس سيحصل على 24% والبرغوثي على 33% وهنية على 40%. كذلك بينت نتائج الاستطلاع تفوق حماس على فتح في انتخابات تشريعية لو جرت في تلك الفترة، كما تشير نتائج الاستطلاع إلى أن نسبة الاعتقاد بأن حماس قد خرجت من الحرب منتصرة بلغت 66%، وقد بلغت نسبة مؤيدي نهج حماس في مواجهة الاحتلال 79%

[1] وكالة معا، استطلاع فافو : في حال جرت الانتخابات 28 % سيصوتون لفتح و 21% لحماس، نشر بتاريخ: 2009/04/01، http://bit.ly/1PnEIpa .

في هذا الاستطلاع[1]، وهذه المؤشِّرات تدعم الرَّأي القائل بأنَّ حماس ما زالت تحافظ على نهجها المقاوم، وهذا يؤدِّي –بطبيعة الحال– إلى زيادة شعبيتها، والتفاف الجماهير حولها بشكل طرديّ؛ كلَّما تقدَّمت حماس في أدائها المقاوم، وحافظت عليه. غيرَ أنَّ حركة حماس تتَّجه ببراغماتيَّة للتَّخلي عن حكمها لقطاع غزَّة، في سبيل شراكة فاعلة في النِّظام السِّياسيّ الفلسطينيّ، تمهيدًا لقبولها دوليًّا بعد سقوط نظام الإخوان المسلمين في مصر سنة 2013، واستمرار إغلاق معبر رفح، والحصار الإسرائيلي على القطاع، وهذا ما قاله أحمد يوسف القياديّ البارز في حماس حيث أكد أن حركته الَّتي تسيطر على قطاع غزَّة منذ العام 2007؛ قد أجرت مراجعات للمواقف السِّياسيَّة إثر التَّضييق عليها والتَّطوُّرات الإقليميَّة التي تعيشها المنطقة، وأنه توجد معطيات ومؤشرات تفيد بضرورة الخروج من الحكومة في غزَّة. وقد شكلت تجربة الحركة الإسلاميَّة في تونس دافعاً مشجعاً على اتِّخاذ قرار الخروج من الحكومة خصوصاً وأن حماس أصبحت معنية في هذه المرحلة بالقيام بخطوات إلى الوراء؛ لإحراز تقدما على صعيد الشَّراكة السِّياسيَّة في النظام السياسي الفلسطيني، مؤكِّدًا في الوقت نفسه أنَّ الحركة ليست لديها أيَّة مخاوف، وأن لديها إمكانات وأدوات القوَّة على الأرض بما فيها الأمنيَّة والعسكريَّة، ويمكنها الحفاظ على شرعيَّتها وقدراتها[2].

وبخصوص تجربة حماس في السُّلطة، طالب مشعل بعدم الخلط بين مرحلة المقاومة ومرحلة السُّلطة؛ "لأنَّ السُّلطة والدَّولة مرحلة لاحقة لتحرير الأرض وامتلاك السِّيادة عليها"[3]، ومن ثمَّ فإنَّ "السُّلطة تحت الاحتلال تشكِّل تحدِّيًا لكلّ قوى الثَّورة والمقاومة"[4]، واعترف مشعل بأنَّ تجربة حماس في السُّلطة قد تكون شابها بعض الأخطاء، لكنَّ الإيجابيَّات كانت أكثر، "خاصَّة إنقاذ المقاومة حتَّى لا تقع ضحية لتنسيق وتحالف أمنيّ غير مسبوق مع الاحتلال"[5].

---

[1] المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، نتائج استطلاع الرأي العام رقم (54)، 2015/04/01 ، http://bit.ly/1miExBw .

[2] صحيفة الأخبار اللُّبنانيَّة، **لقاء صحفيّ مع أحمد يوسف القياديّ في حركة حماس**، أجرى اللِّقاء هاني إبراهيم، عربيات، العدد 2440، الإثنين،10 تشرين الثَّاني 2014.

[3] فلسطين اليوم، **جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس**، مرجع سابق، ص7.

[4] المرجع السابق، ص 8.

[5] المرجع السابق، ص 8.

ونختم القول في هذا القسم من الدِّراسة بما قاله أحمد يوسف، فقد قال: "منذ صعود حماس بالشَّرعية الَّتي اكتسبتها بالانتخابات التَّشريعيَّة، كان بإمكانها أنْ تتحصَّن بالحاضنة الشَّعبيَّة لو نجحت في تشكيل شراكة سياسيَّة يلتقي فيها الجميع؛ لمواجهة التَّآمر الإقليميّ، والدَّوليّ، والاعتداءات الإسرائيليَّة المتكرِّرة، مع ذلك، بكلّ أسف، أعترف بأنَّ خبراتنا السِّياسيَّة كانت محدودة، وأحلامنا غير واقعيَّة، ولم نضع حسابات للواقع الدَّوليّ الَّذي كان يمكر بنا، ويستدرجنا لمعارك جانبية،دفعنا ثمنًا باهظًا لها من رصيدنا الشَّعبيّ الكبير"[1].

وهنا يمكن أنْ يفهم ممَّا قاله يوسف أنَّ مدارك وخبرات الحركة توسَّعت، وهذا ما يدعوها للمراجعات المستمرَّة؛ لتصحيح مسارها، وتصويب بوصلتها نحو أهداف التَّحرر الوطنيّ الَّتي انطلقت الحركة أساسًا لتحقيقها. وهذا النَّقد الذَّاتي يعدُّ عامل قوَّة، يحسب لصالح حماس في سعيها لتدارك أخطائها، وتصحيحها، ومعرفة مواطن الضَّعف وتلافيها، ومواطن القوَّة وتدعيمها، والتَّطلع لما هو آت.

8.3 حماس وإدارة المواجهة مع إسرائيل

بعد أنْ حقَّقت حركة حماس نجاحًا حاسمًا في انتخابات المجلس التَّشريعيّ عام 2006؛ بدا واضحًا أنَّها بصدد وضع عدد من الضَّوابط والمحدِّدات لإدارة برنامجها المقاوم(سياسيًّا وعسكريًّا)، وعلى خلفيَّة هذه الضَّوابط يمكن قراءة سلوكها وفق الآتي:

1.8.3 سياسيًّا

رغبة حماس في تثبيت سلطتها في المقام الأوَّل[2]؛ لذا حرصت حماس منذ اليوم الأوَّل من فوزها على طمأنة جماهير شعبها بأنَّها ستكون وفيَّة لتطلُّعاته، وستكون عند ظنه بها، وتقدير اختياره لها، وأكَّدت حماس دعوتها لتفعيل مبدأ الشَّراكة السِّياسيَّة مع الفصائل كافَّة[3]؛ لتعزيز الجبهة الدَّاخلية وتقويتها وتماسكها.

---

[1] صحيفة الأخبار اللُّبنانيَّة، **لقاء صحفيّ مع أحمد يوسف**، مرجع سابق.

[2] أبو عامر، عدنان: قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009، الخميس11 آذار 2010، http://alresalah.ps/ar/index.php?act=post&id=8934.

[3] حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس: بيان صادر بتاريخ 4 شباط 2006، http://bit.ly/1M04mAB.

إنَّ حركة حماس لم تكن لتدخل الانتخابات لولا نضوج البيئة والظُّروف الَّتي فتحت أمام حماس خيار المشاركة في السُّلطة؛ فقد كان لسنوات "الزَّرع" في ميادين المقاومة، والتَّضحية آثارٌ ونتائج كبيرة حقَّقتها حماس أيام "الحصاد الانتخابيّ"؛ من خلال "الرَّصيد الجماهيريّ الحاسم" الَّذي تعدُّه حماس سندًا شرعيًّا وقانونيًّا لها؛ للحفاظ على المقاومة، بوصفها طريق التَّحرُّر الوطنّي من الاحتلال، فلا يمكن البقاء في مربع لعبة "القطّ والفأر" إنْ جاز التَّعبير الَّتي حكمت العلاقة بين السُّلطة وحماس في المراحل السَّابقة، فكان لا بدَّ من أنْ تقدم حماس على خيار المشاركة في السُّلطة؛ كي تنفِّذ برنامجها وسياستها، بدعم من شرعية الشَّارع الَّذي منحها الشَّرعيَّة القانونيَّة الَّتي من خلالها تمكنت تفعيل دورها التَّنفيذيّ في الحفاظ على كينونتها، وتثبيت سلطتها، وتنفيذ برنامجها، ولكن لا يعفيها ذلك من تحمل مسؤولياتها تجاه الأخطاء والتجاوزات التي وقعت منذ سيطرتها على غزة واستلامها السلطة ومحاسبة كل من أساء وأخطأ وتجاوز من العاملين تحت مظلتها، فهناك شكاوى وقضايا ومظالم حقيقية وقعت وتقع تمس حقوق وكرامة الإنسان وقيم العدالة والمساواة وتتنافى مع المبادئ والقيم التي تدعو لها حماس ومن هذه القضايا مثلاً تنفيذ أحكام الإعدام الميدانية التي تقول حماس أنها أحكام رادعة بحق عملاء أضروا بالمقاومة وهم يشكلون خطرا على المصلحة القومية العليا للشعب الفلسطيني، حتى وإن افترضنا أن ما تدعيه حماس صحيح إلا أن أدوات وتطبيق التنفيذ وإصدار القرار في هكذا شأن يمس حياة وحقوق الإنسان يجب أن يجري وفق القواعد القانونية والدستورية التي تضمن وتكفل للإنسان حقه في الدفاع عن نفسه وفق الطرق القانونية، ولا يجب أن تساق مبررات –مهما كانت– تؤدي لتجاوز القانون الذي يكفل حقوق الإنسان –حتى وإن ارتكب جرماً– وفي المقابل ولكي نكون أقرب للإنصاف والموضوعية لا بد من التأكيد والتذكير على أن حماس في أوقات الهدوء وبعيدا عن استثناءات وخصوصية أجواء الحروب فإن حماس كانت باستمرار تعطي الفرصة للعملاء والمتعاونين مع الاحتلال فكانت تطلق الحملات الوطنية لمواجهة "التخابر مع العدو" لتسليم أنفسهم وكانت تذيع في المساجد وعلى مكبرات الصوت في المآذن وفي وسائل

الإعلام حتى تعطي فرصة للعملاء لتسليم أنفسهم والاستتابة قبل أن يكتشف أمرهم وهذا يحسب لحماس في طريقة معالجتها لقضايا المتخابرين مع الاحتلال.[1]

2.8.3 عسكريًّا

أطلقت كتائب القسَّام –الجهاز العسكريّ لحركة حماس– استراتيجية جديدة بدأتها بعمليَّة طويلة المدى، أطلقت عليها "بناء القوَّة"؛ لتطوير قدراتها الذَّاتيَّة، استعدادًا لأيّ مواجهة عسكريَّة محتملة مع إسرائيل في المستقبل[2]، وهذا ما تؤكده الوقائع، فمنذ أنْ أصبحت حماس في الحكم أخذت على عاتقها حماية المقاومة، وتطوير وسائلها، فنرى في المواجهات الَّتي وقعت بين إسرائيل وغزَّة أنَّ حماس كانت رأس حربة في ميدان المقاومة، والى جانبها فصائل العمل الوطنيّ كافَّة في انسجام وتكامل بين القوى المقاومة، وتناغم في العمل المقاوم الَّذي تضبط إيقاعه حماس، بصفتها ربَّان سَفينة المقاومة في بحر متلاطم الأمواج. نرى كذلك –ومن خلال مسلسل المواجهات بين غزَّة وإسرائيل– أنَّ حماس "تقفز بخطوات تصاعديَّة"؛ بمعنى أنَّها تنتقل نقلة نوعيَّة بعد كلّ عدوان تشنُّه إسرائيل، وهذا ملاحظ في تكتيكات التَّخطيط، والعمليَّات الحربيَّة، والأداء القتاليّ المتمرِّس لكتائب القسَّام، ونلحظه في الوسائل القتاليَّة الَّتي تعكف كتائب القسَّام على تطويرها باستمرار، وكأنَّها في سباق مع الزَّمن، وهذا ما تخبرنا به جولات المواجهة بدءًا من الوهم المتبدِّد مرورًا الى بقعة الزَّيت، ثمَّ الى حجارة السِّجِّيل وصولًا إلى معركة العصف المأكول.

3.8.3 شعبيًّا

بدا واضحًا أنَّ تنفيذ حماس لعمليات عسكريَّة ضدَّ إسرائيل؛ أخذت بعين الاعتبار نظرة الجمهور الفلسطينيّ، وحسابات داخليَّة فلسطينيَّة[3]، وهذا ما يلاحظ من خلال عمليات نوعيَّة

---

[1] للاطلاع أكثر أنظر: وزارة الداخلية (غزة)– الحملة الوطنية لمواجهة التخابر مع العدو،25–12–2012، http://bit.ly/1MzAIxb. أنظر أيضا: الجزيرة، كيف أدارت حماس المعركة مع إسرائيل،25–12–2012، http://bit.ly/1CQhOO2.

[2] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

[3] المرجع السابق.

نفَّذتها حماس كعمليَّة خطف الجنديّ شاليط الَّتي كانت تهدف لمبادلته بأسرى فلسطينيين، وتحقيق إنجازات على صعيد التَّخفيف من حدَّة الخناق المفروض على غزَّة بغطاء دوليّ.

لقد نجحت حماس في مبادلة الجنديّ شاليط مع عدد كبير من الأسرى في سجون الاحتلال في صفقة وفاء الأحرار نهاية عام 2011م، وهذا انعكس بشكل إيجابيّ على شعبيَّة حماس، واستطاعت أن ترمِّم ما تآكل من مكانتها الجماهيريَّة الَّتي تأثَّرت بسبب الأحداث والتَّوتُّرات الَّتي عصفت السَّاحة الفلسطينيَّة، بعد فوز حماس في الانتخابات، والَّتي انتهت بحدوث الانقسام الفلسطينيّ الَّذي ورَّط فتح وحماس بين فكيه.

من جهة أخرى لم تتمكَّن ورقة شاليط الَّتي تملكها حماس من كسر الحصار، ولكنَّها أظهرت للعالم أنَّ حماس حركة مقاومة، وكان لهذا الصَّوت المقاوم –لاحقًا– صدى؛ حيث بدأت بعض أطراف المجتمع الدَّوليّ تعيد وتراجع نظرتها تِجاه حماس على أنَّها ليست جماعة إرهابيَّة، وبدأت تتحرَّك حملة لنزع صفة أنَّ "حماس إرهابيَّة"، انطلقت الحملة من أوروبا، ولكنَّها سارت على استحياء في ظلّ واقع دوليّ تحكمه موازين قوى غير متكافئة.

من جهة أخرى حاولت حماس أنْ تزاوج بين أدائها في الحكم– بالرغم من وقوعها في أخطاء تكتيكية– ؛ فهي سلطة تنفيذيَّة على الأرض تقوم بشؤون الإدارة والحكم، وفي الوقت نفسه حاولت وحرصت على أن تقوم بأداء المهمَّة الَّتي وجدت من أجلها وهي المقاومة، ولكن هذه المرة أخذت بعين الاعتبار حسابات السياسة وموقعها في اللعبة السياسية لأن الخطأ إن وقع قد يكون الأخير وينتهي كل شيئ.

كانت العمليَّة صعبة، ومليئة بالعقبات والتَّحدِّيات، ولكنْ لا خيار سوى التَّقدُّم وإبداع أشكال الصُّمود والتَّحدي، والمحافظة على الكينونة، أو الانكفاء والتَّراجع والتَّحلُّل، ولهذا أخذت حماس في الحسبان أنها تعمل ضمن معطيات شديدة التَّعقيد، وأنَّ عليها أنْ تحقِّق خطوات داخليَّة يلمسها المواطن بجانب الفعل المقاوم، فلذلك نجد أنَّ حماس أعطت موضوع استقرار الجبهة الدَّاخلية أولويَّة؛ تنطلق منها لتفعيل برنامجها السِّياسيّ، وإدارة دفَّة الحكم باقتدار، فقامت بحسم

الصِّراع على السُّلطة مع حركة فتح الَّتي نازعتها الحكم، واحتكم الطَّرفان حينها إلى قوَّة السِّلاح في حسم الصِّراع على السُّلطة، وهذا أفضى إلى سيطرة حماس على السُّلطة في غزَّة المحاصرة، بينما سيطرت فتح على السُّلطة في الضِّفَّة الغربيَّة المحتلَّة.

بعد سيطرتها بالكامل على قطاع غزَّة في حزيران 2007، غيَّرت حماس في إستراتيجيَّة عمليَّاتها العسكريَّة، من عمليات الهجوم والاقتحام الفدائيّ(الشَّكل التَّقليديّ للمقاومة) إلى إستراتيجيَّة إطلاق قذائف الهاون، وتنفيذ عمليَّات على حدود ما يعرف بـــ "غلاف غزَّة"، والامتناع عن إطلاق صواريخ القسَّام وغراد باتِّجاه المستوطنات الواقعة في العمق الإسرائيليّ[1] إلا عند الحاجة التي تقدرها المقاومة والاحتفاظ بورقة ضرب العمق الاسرائيلي كورقة قوة تستخدمها المقاومة للحفاظ على قوة الردع لديها وإبقاء ميزان الرعب قائم لتحقيق أهداف مرحلية واستراتيجية تتلخص بوقف العدوان وكسر الحصار وزوال الاحتلال وانهاء وجوده على فلسطين وهي الأهداف التي أعلنتها المقاومة الفلسطينية في مناسبات عديدة ومواقف مختلفة.

هنا أرادت حماس صيد ثلاثة عصافير بحجر واحد كما يوضِّح ذلك عدنان أبو عامر[2]: "المحافظة على النُّفوذ والسَّيطرة على القطاع من جهة، ومن جهة ثانية مواصلة الجهود لتعاظم القوَّة العسكريَّة لجناحها المسلَّح، ومن جهة ثالثة الحفاظ على صورتها بأنْ تبقى متمسِّكة بشعار الكفاح المسلَّح ضدّ إسرائيل بنظر الفلسطينيِّين"[3].

استمرَّ هذا التَّكتيك العملياتيّ مدَّة سبعة أشهر كجزء من الاستراتيجية العامة ضمن إستراتيجيَّة كتائب القسَّام الجديدة؛ ، وتواصل خلالها إطلاق القذائف باتِّجاه إسرائيل، لاسيَّما من خلال المنظَّمات المسلَّحة المتوافقة مع استراتيجية حماس في المقاومة و التي أعلنت في وقت لاحق عن موقفها من الشراكة والوحدة في المقاومة في مؤتمر صحفي ضم المنظمات المسلحة حيث أعلن الناطق الرسمي لكتائب القسام يوم 2 أيلول 2010 أن 12 جناحا عسكريا في غزة

---

[1] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

[2] الدكتور عدنان أبو عامر أستاذ جامعي من غزة و خبير في الشئون الاسرائيلية، http://on.fb.me/1JAeVW8.

[3] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

قررت الدخول لمرحلة متقدمة من العمل المشترك والتعاون والتنسيق الميداني على أعلى المستويات وتشكيل غرف عمليات موحدة للتنسيق فيما بينها، والاجنحة العسكرية هي : كتائب القسام، سرايا القدس، ألوية الناصر صلاح الدين، كتائب الناصر صلاح الدين ، كتائب المجاهدين، حماة الأقصى، كتائب شهداء الأقصى وحدات الشهيد نبيل مسعود، كتائب أبو علي مصطفى، كتائب سيف الإسلام، كتائب الشهيد جهاد جبريل، قوات الصاعقة، وكتائب الأنصار[1]. وما لبثت حماس أنْ ذهبت بصورة مفاجئة نحو تصعيد عمليَّاتها العسكريَّة باتِّجاه إسرائيل في أواخر عام 2007، لاسيَّما من خلال إطلاق الصَّواريخ[2]. لجباية ثمن من إسرائيل، ردًّا على سياستها المتواصلة باستهداف عناصرها[3]، ولتوصيل رسائل –على ما يبدو– من خلال الإطلاق المتقطِّع ذي السَّقف المنخفض لإطلاق الصَّواريخ، كما وسَّعت حماس من رقعة إطلاق الصَّواريخ، بعد أنْ رأت في قذائف الهاون سلاحًا تكتيكيًّا محدودًا، لن يفضي بالضَّرورة إلى تصعيد حقيقيّ، ولا يوقع خسائر بشريَّة وأضرارًا ماديَّة كبيرة، ضمن خطوات محسوبة لا تؤلِّب إسرائيل للردّ العنيف[4].

9.3 فلسفة القوَّة في تصوُّر حماس، وكيفيَّة توظيفها في الصِّراع

في المقابل، شهد عام 2008، عمليَّات نوعيَّة كان من أهدافها إحداث تغيير في ميزان القوى وتوازن الرَّدع– بنظر حركة حماس– لاسيَّما في ظلّ مواصلة الحصار المفروض على غزَّة، لاسيَّما تلك المتعلِّقة باستهداف مواقع الجيش على طول الحدود مع قطاع غزَّة. وكان أبرزها عمليَّة معبر كرم أبو سالم جنوب القطاع بتاريخ 19 نيسان 2008، وفي الوقت نفسه توجيه رسالة للجوار الإقليميّ أنَّ حماس بوصلتها باتِّجاه تحرير أرضها، وأنَّ قوَّتها موجَّهة إلى مقاومة الاحتلال يقول مشعل: "... نحن لم نستخدم القوَّة والسِّلاح ضدّ أيّ دولة أو طرف عربيّ،

---

[1] وكالة معا، 12 جناحا عسكريا في غزة تعلن تشكيل غرف عمليات مشتركة جديدة، نشر بتاريخ: 2010/09/02، http://bit.ly/1JAe2Ns.

[2] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

[3] حركة المقاومة الإسلامية حماس، **بيان صادر بتاريخ 17– أيار–2007 م**، http://bit.ly/1maFtsm.

[4] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

حتَّى لو آذانا وحاصرنا، وأساء إلينا، واعتقل إخواننا وعذَّبهم، أو طعن مقاومتنا في ظهرها، أو حرَّض علينا"[1].

شهد النِّصف الثَّاني من عام 2008، توقيعًا لاتِّفاق تهدئة بوساطة المصريين بين إسرائيل وحماس، والَّذي بدأ فعليًّا بتاريخ 19 حزيران 2008، وخلال هذه الفترة سُجِّل انخفاض ملموس في حجم ونوع إطلاق القذائف والصَّواريخ باتِّجاه إسرائيل. ومع اقتراب نهاية التَّهدئة، بتاريخ 19 كانون الأوَّل؛ اتَّخذت حركة حماس قرارًا بعدم التَّمديد للتَّهدئة، في سياقاتها وظروفها السَّابقة، وإنَّما أرادت الوصول إلى "تهدئة محسَّنة"، وفي ظروف أفضل من ذي قبل. فقد شهد كانون الأول 2008 تصعيدًا عسكريًّا ميدانيًّا غير مسبوق من قبل حماس يهدف لإزالة الحصار المفروض على غزَّة، وفتح المعابر على الحدود مع مصر وإسرائيل[2].

وفي ضوء ذلك الهدف، صعَّدت حماس بشكل ملموس من عملها العسكريّ، تمهيدًا للوصول إلى الموعد النِّهائيّ لنهاية التَّهدئة فعليًّا؛ بحيث تكون أكثر قوَّة في هذه الحالة. إضافة إلى ذلك، فقد شهدت بداية شهر تشرين الثَّاني 2008 انهيارًا متسارعًا لاتِّفاق التَّهدئة، بعد أنْ قامت إسرائيل بعمليَّات ميدانيَّة؛ بغرض إحباط عمليَّة مسلَّحة كانت حماس تريد تنفيذها من خلال نفق وسط قطاع غزَّة. عمليًّا، وعلى الأرض تدهور الوضع الميدانيّ والأمنيّ، ما أدى إلى تصعيد متسارع تخلله سقوط عشرات الصَّواريخ على المستوطنات المحاذية لقطاع غزَّة[3].

لقد أدَّى هذا التَّدهور الأمني بصورة تلقائيَّة إلى أنْ تتَّخذ إسرائيل قرارًا بالخروج إلى حرب هجومية على قطاع غزة المحاصر أواخر كانون الأوَّل 2008[4]. ومن خلال الملاحظة، تبيَّن أنَّ الذِّراع العسكريّ لحماس، يمتلك وسائل هجوميَّة ودفاعيَّة، تتمثَّل في الصَّواريخ والقذائف، المطورة محليا وبقوَّة متنامية مع مرور الوقت، يضاف اليها شبكة الأنفاق الكثيفة

---

[1] فلسطين اليوم، **جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس**، مرجع سابق، ص9.

[2] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

[3] المرجع السابق.

[4] المرجع السابق.

والمعقَّدة الَّتي بنتها حماس[1]. وعلى ما يبدو أن حماس سعت من خلال تلك التجهيزات القتالية إلى إيصال (رسائل ردعيَّة) لمنع إسرائيل من القيام بأيّ عمليَّة عسكريَّة بريَّة داخل قطاع غزَّة، عبر إعطاء حماس الضوء الأخضر لكتائب القسام لإعاقة أيّ تقدُّم أو تحرُّك لقوات الجيش الإسرائيليّ؛ إذا ما قرَّر الدُّخول للقطاع، وتكبيده ثمن باهظ في جنوده ومقاتليه[2].

تراوحت تكتيكات حماس العسكريَّة، بين الامتناع عن تنفيذ الهجمات المسلَّحة، وبين إجراء تصعيد ميدانيّ مدروس، يحافظ على استمرار الهدوء النِّسبيّ في القطاع، والاكتفاء باستخدام القذائف الصَّاروخيَّة ضدَّ إسرائيل. طبعًا، يتمّ كلّ ذلك بالتَّوافق التَّام مع مطالب حماس، واحتياجاتها المتمثِّلة في المحافظة على استقرار الأمن في غزَّة، وتقوية بنيتها العسكريَّة الرَّادعة لإسرائيل، وبقاء الدَّعم الشَّعبيّ الفلسطينيّ الواسع لحماس، وتحشيد الرَّأي العامّ العالميّ وتجنيده إلى جانبها؛ من خلال التَّضامن مع سكان القطاع، لاسيَّما في الدُّول الغربيَّة، إلى جانب حرمان إسرائيل من أيّ "شرعيَّة" لعمليَّاتها الموجَّهة ضدَّ قطاع غزَّة، حيث تدلِّل السِّياسة الَّتي تبنَّتها حماس؛ أنَّ المواقع الإستراتيجيَّة الإسرائيليَّة تحوَّلت –مع انطلاق اليوم الأوَّل لـ "بقعة الزيت"– إلى أهداف أساسيَّة[3].

يحدد خالد مشعل أنَّ حماس: "تؤمن بأنَّ المقاومة وسيلة، والتَّحرير هدف "[4]. مضيفاً أنَّ ولادة الحركة جاءت في وقت بالغ الصُّعوبة عام 1987 "بعدما تراجع الخيار العسكريّ وتشتَّتت البندقيَّة الفلسطينيَّة؛ لذا كان لابدَّ من ردّ الاعتبار لخيار المقاومة المصحوبة بهدف التَّحرير"[5].

وقال مشعل: "نحن نراكم الإنجازات الَّتي تستهدف استنزاف المشروع الإسرائيليّ؛ رغبة في التَّحرير الشَّامل بجهد الشَّعب الفلسطينيّ، ومشاركة الأمَّة العربيَّة– الإسلاميَّة، وأحرار العالم.

---

[1] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

[4] فلسطين اليوم، **جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس**، مرجع سابق، ص9.

[5] المرجع السابق ص9.

"[1]وأكَّد أنَّ المقاومة "هي العمود الفقري لمشروعنا، ووسيلتنا الإستراتيجيَّة للتَّحرير، والعودة، واستعادة الحقوق، وإنهاء الاحتلال الصُّهيوني للأرض والمقدَّسات"[2].

كما أنهى مشعل ملاحظاته الختاميَّة بشكل يشبه خطاب عرفات أمام الجمعيَّة العموميَّة للأمم المتَّحدة في تشرين الثاني 1974، حين قال: "جئت اليوم أحمل غصن الزَّيتون وبندقيَّة المقاتل من أجل الحريَّة، فلا تدعوا غصن الزَّيتون يسقط من يدي"[3]. وفي العام 2012، خاطب مشعل المجتمع الدولي بطريقة أقلّ استعطافا، قائلًا: "جرَّبناكم 64 عامًا، ولم تفعلوا شيئًا، فإذا ذهبنا إلى المقاومة، فلا تلومونا، فلو وجدنا طريقًا غير الحرب لسلكناه"[4].

يلاحظ في كلام مشعل إيمانا بالتكامل بين أشكال النِّضال السِّياسيّ والدُّبلوماسي وأنه لا قيمة لها من دون مقاومة مسلَّحة وقوة واقعية تحميها[5]، جاء ذلك لتأكيد شرعيَّة العمل الدُّبلوماسيّ، وإدراجًا له في قاموس حماس على أنَّ "مَن يريد التَّحرُّك في السِّياسة، عليه أنْ ينطلق مع الصَّاروخ"[6].

10.3 رؤية حماس لواقع منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة ومستقبلها

أخذت العلاقة بين حركة حماس ومنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة أشكالًا متعدِّدة من التَّنافس والطُّروحات والرُّؤى. فبعد سنين طويلة من تفرُّد المنظَّمة، وفصيلها القائد–أي حركة فتح– في السَّاحة السِّياسيَّة الفلسطينيَّة، دون منافس يُذكر؛ ظهرت حركة سياسيَّة لديها مشروعها الإسلاميّ؛ لتهدِّد بسحب بساط التفرُّد بالمنظَّمة الذي تمارسه حركة فتح وتأتي حماس وتشارك بتمثيل الشَّارع الفلسطيني في القنوات والأطر الرسمية للنظام السياسي.

---

[1] فلسطين اليوم، **جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس**، مرجع سابق، ص9.

[2] المرجع السابق، ص9.

[3] المرجع السابق ص9.

[4] صايغ، يزيد: خالد مشعل في غزَّة على خطا ياسر عرفات، مركز كارنيجي للشَّرق الأوسط، 13 كانون الأوَّل2012، http://www.carnegie-mec.org/2012/12/13/

[5] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

[6] المرجع السابق.

إن حماس تنطلق في رؤيتها لمنظمة التحرير الفلسطينية من قاعدة أن المنظمة تمثل كياناً سياسياً معنوياً للشعب الفلسطيني، وتسعى حماس ليكون هذا الكيان إطاراً فعلياً بمستوى وطن معنوي يجري فيه تداول الإدارة (السلطة) وتحمل المسؤولية تجاه المصالح الاستراتيجية للشعب الفلسطيني[1]، وبالنظر للمادَّة السَّابعة والعشرين من ميثاق حماس نجد توضيحاً لطبيعة العلاقة مع منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، والتي جاء فيها أنَّ: "منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة من أقرب المقرَّبين إلى حركة المقاومة الإسلاميَّة، ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصَّديق، وهل يجفو المسلم أباه، أو أخاه، أو قريبه، أو صديقه؛ فوطننا واحد وعدونا مشترك؟ ... وتأثُّرًا بالظُّروف الَّتى أحاطت بتكوين المنظَّمة، وما يسود العالم العربيّ من بلبلة فكريَّة، نتيجة للغزو الفكريّ الَّذي وقع تحت تأثيره العالم العربيّ منذ اندحار الصليبيِّين، وعزَّزه الاستشراق والتَّبشير والاستعمار ولا يزال؛ تبنَّت المنظَّمة فكرة الدَّولة العلمانيَّة، وهكذا نحسبها... والفكرة العلمانيَّة مناقضة للفكرة الدِّينية مناقضة تامَّة، وعلى الأفكار تُبنى المواقف والتَّصرفات، وتتخذ القرارات... ومن هنا –وعلى تقديرنا لمنظَّمة التَّحرير وما يمكن أنْ تتطوَّر إليه، وعدم التَّقليل من دورها فى الصِّراع العربيّ الإسرائيليّ– لا يمكننا أنْ نستبدل إسلاميَّة فلسطين الحاليَّة، والمستقبليَّة لنتبنَّى الفكرة العلمانيَّة، فإسلاميَّة فلسطين جزء من ديننا، ومن فرط فى دينه خسر، ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلَّا من سفه نفسه، ويمكن أنْ تتبنَّى منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة الإسلام كمنهج حياة، فنحن جنودها ووقود نارها الَّتي تحرق الأعداء، وإلى أنْ يتمّ ذلك، نسأل الله أنْ يكون قريبا"[2].

1.10.3 حماس والمنظَّمة بين المدِّ والجزر

منظَّمة التَّحرير الفلسطينية وقفت منذ البداية من انطلاقة حماس وقفة القلق الخائف على تآكل تمثيله الشَّعبيّ، ثمَّ حاولت احتواءها والتردد يكتنفها، ثمَّ ما لبث بعض قادة منظَّمة التَّحرير أنِ اعترف بتمثيل حماس الشَّعبي، وحضورها على السَّاحة الفلسطينيَّة، وهنا ينقل لنا الكاتب أحمد الحاج على لسان الرَّجل الثَّاني في منظَّمة التحرير صلاح خلف (أبو إياد) قوله: "إنَّ حماس

---

[1] صالح، محسن وآخرون: **منظمة التحرير الفلسطينية تقييم التجربة وإعادة البناء**، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات: بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 2007م، ص187 – 188.

[2] **ميثاق حماس**، مادَّة27.

قوَّة إسلاميَّة موجودة داخل الأراضي المحتلَّة، وقاعدتها من أنظف القواعد المقاتلة"[1]. وهـذا لا يعني أنَّ الأصوات الَّتي كانت تدعو لاستبعاد حماس قد غابت تمامًا. حركة حماس سـعت إلـى طمأنة المنظَّمة على أنَّها لا تسعى إلى ضرب تمثيلها، أو الصِّدام معها، كما ورد آنفًا في المـادَّة 27 من ميثاق حماس.

سعت حماس بشكل دائم لإعادة بناء المنظَّمة وفق أسس تحفظ استمراريَّتها، وهو ما توَّج باللِّقاء الَّذي جمع قادة حماس مع قيادة المنظَّمة في القاهرة في آذار 2005، واتُّفق على إعـادة بناء منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة. الاتِّفاق تعرَّض لضربة قويَّة، بتراجع قيادة المنظَّمة عن الإلتزام بمضمونه، بعدما استطاعت حركة حماس –عبر الانتخابات التَّشريعيَّة الفلسطينيَّة في 25 كانون الثَّاني2006– تحقيقَ نجاح أثار حفيظة منافسيها؛ إذ انتقلت حماس بقفزة واحدة من المعارضـة إلى السُّلطة، ومن مكانة التَّنظيم الثَّاني إلى مكانة التَّنظيم الأوَّل، وحصـلت الحركـة علـى 74 مقعدًا، أيْ 56% من مقاعد المجلس التَّشريعيّ الـ 132، في حين حصلت حركة فتح على 45 مقعدًا، أيْ 34%.[2] هذه النَّتيجة أخافت القيادة المتنفِّذة في منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، وجعلتهـا تخشى من فقدان ما تعدُّه حضنها الأخير، ما أدَّى إلى تشبُّثها بالمنظَّمة كما كانت، وتراجعت عن استعدادها لإدخال إصلاحات جديَّة في بنية المنظمة ومسارها.

تطرح حماس مبدأ احترامها للاتِّفاقات الَّتي أبرمتها السُّلطة الفلسطينية بـدل الاعتـراف بها، مع الاحتفاظ بحقِّها في إعادة النَّظر فيها انطلاقًا من مصلحة الشَّعب الفلسطينيّ. من حيـث المبدأ هناك تقارب بين برنامج حماس والبرنامج المرحلي لمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة، وجوهره دولة فلسطينيَّة في حدود عام 67 والقدس عاصمة لها. بعد الانتخابات، أعلن قادة الحركة عـن ضرورة إعادة بناء المنظَّمة، ولكنَّهم تريَّثوا في تأكيد صفتها التَّمثيليَّة، وصلاحيَّاتها على السُّلطة

[1] الحاجّ، أحمد: "حماس ومنظَّمة التَّحرير:العلاقة الملتبسة وفخّ الاتِّفاقيَّات مع العدوّ"، مجلَّـة فلسـطين المسـلمة، كـانون الأوَّل2007، http://bit.ly/1KGSovL.

[2] المرجع السابق.

الفلسطينيَّة، كما شدَّدوا على دورها في العلاقات الخارجيَّة، وحقّ العودة حسب البرنامج الانتخابيّ[1].

لقد طالبت حماس بإعادة بناء منظَّمة التَّحرير طبقًا للتوافقات والوثائق الَّتي وقَّعت عليها مختلف الأطراف الفلسطينيَّة، والعمل على إعادة بناء المنظَّمة وإصلاحها على أسس ديمقراطيَّة على الرغم مما أصاب المنظَّمة من ضعف وتراجع، وما وقعت فيه قياداتها من أخطاء وتراجعات سياسيّة؛ إلاّ أنَّ المنظمة تبقى في نظر حماس إطارًا له تاريخه وإنجازاته ورصيده في التَّجربة الفلسطينيَّة، تستوجب معالجة أخطائها التي وقعت فيها وترهلها الذي أضعفها[2].

وبالنِّسبة إلى المستقبل، أشار القيادي في حماس أحمد يوسف أنَّ"... هناك مراجعات للعودة إلى الشَّارع من جديد، لكن بقراءة مختلفة؛ لأنَّنا سنكون جزءًا من النِّظام السِّياسيّ الفلسطينيّ، وفق منطلق (المشاركة لا المغالبة)، مع تعزيز العمق العربيّ والإسلاميّ، والانفتاح على تيارات مؤيِّدة لفلسطين في الغرب"[3].

ومن جهة أخرى قال يوسف: "... القرار داخل الحركة هو استمرار المشاركة في العمليَّة السِّياسيَّة، والانتخابات ستكون محطَّة تاريخيَّة... حتَّى اللَّحظة لم تبلور حماس استراتيجيَّتها للانتخابات الرِّئاسيَّة والتَّشريعيَّة المقبلة، كذلك لم تتضح أرضيَّة انتخابات المجلس الوطنيّ، وإن كان من المتوقَّع دعم مرشح وطني تتحقَّق فيه الكفاية والنَّزاهة للرِّئاسة، وأنْ نقدِّم إلى التَّشريعيّ كوادر شبابيَّة تحظى بقبول شعبيّ[4].

وأضاف قائلاً: "... من وجهة نظر حماس، نزعنا كلّ العقبات أمام تفعيل المرجعيَّات السِّياسيَّة، لكنَّ الإشكاليَّة أنَّ هناك في السُّلطة من يعطِّل دخولنا إلى مؤسَّسات مثل: منظَّمة التَّحرير، والمجلس الوطنيّ، والمجلس المركزيّ، وذلك خشية استحواذ الحركة على القرار[5].

---

[1] برنامج حكومة حماس: بين الواقع والمأمول (نظرة تنمويَّة)، برنامج دراسات تنمويَّة، جامعة بير زيت، http://sites.birzeit.edu/cds/arabic/news/tayseerpaper1.html.

[2] فلسطين اليوم، **جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس**، مرجع سابق، ص8.

[3] صحيفة الأخبار اللُّبنانيَّة، **لقاء صحفيّ مع أحمد يوسف**، مرجع سابق.

[4] المرجع السابق.

[5] المرجع السابق.

خلاصة القول: نجد أنَّ حماس لديها الرَّغبة والاستعداد والجاهزية لدخول المنظَّمة من أوسع أبوابها، خاصَّة بعد حصاد حروب ثلاثة تكلَّلت بأداء عالي المستوى للمقاومة، وخصوصًا الذِّراع العسكريّ لحماس ممثَّلًا بكتائب القسام، خاصَّة في المواجهة الأخيرة مع إسرائيل في صيف 2014.

في هذه القضية تمتلك حماس أوراق قوَّة، تدرك جيِّدًا كيف تستثمرها ومتى تستخدمها؟ وذلك ضمن الحسابات السِّياسيَّة الَّتي تخدم الأهداف الإستراتيجيَّة للسياسة التي تتبعها حماس وترى فيها مصلحة قومية للشعب الفلسطيني، فالتَّجربة الَّتي خاضتها حماس صقلت خبرتها، وأنضجت ممارستها السِّياسيَّة. ومن بين تلك الأوراق الَّتي تسعى من ورائها حماس إلى تحقيق إنجازات واختراقات نوعيَّة –تحسب لها وتصبّ في رصيدها– ورقة الجنود الَّذين أعلن الاحتلال عن فقدهم، وأعلنت حماس عن أسر أحدهم دون الإفصاح عن أية تفاصيل بلا ثمن تجنيه حماس؛ وقد أطلقت كتائب القسام اسم (الصُّندوق الأسود) كناية عن أوراق القوَّة الَّتي تحتفظ بها حماس بعد معركة العصف المأكول في صيف 2014، وفرض أمر واقع جديد مع الاحتلال وحلفائه يفيد أنَّ حماس لاعب أساسيّ، وقوَّة لا يمكن القفز عنها، أو تجاهلها، أو اقتلاعها، وكأنَّها تؤكِّد قاعدة مفادها أنَّه (لا سلام بدون حماس).

11.3 رصد تطوُّرات السِّياسة الخارجيَّة لحركة حماس ما بين 2005– 2014

بعد فوز حماس في انتخابات 2006، ودخولها معترك الميدان السِّياسيّ في الحكم، وبعد اجتيازها لاختبارات عديدة على مستوى المقاومة والأمن في فترة زمنيَّة قصيرة نسبيًّا من عمر الحركات والأحزاب؛ أصبح الوقوف على تجربة حركة حماس ودراستها أمرًا مهمًّا نابعًا من أهميَّة القضيَّة الفلسطينيَّة وتطوُّراتها، وأصبح من الهام التطرق إلى

جانب علاقات الحركة مع محيطها العربيّ والدَّوليّ، وسنركز في دراسة أسس هذه العلاقات وتقييم مستقبلها، لا سيَّما بعد فوز حماس في الانتخابات التَّشريعيَّة الفلسطينيَّة، وانتقالها من المعارضة إلى السُّلط عام 2006.

1.11.3 أسس العلاقات الخارجيَّة الَّتي اعتمدتها حماس

انطلقت حماس في علاقاتها الخارجية من نظرة إستراتيجيَّة تعدُّ أنَّ مسؤوليَّة تحرير فلسطين تتوزَّع على دوائر ثلاث: فلسطينيَّة، وعربيَّة، وإسلاميَّة. مقابل جهود كبيرة بذلها الكيان الصُّهيونيّ من جهة، ومقابل تركيز منظمة التحَّرير على البعد الوطني الفلسطيني؛ بعزل الدَّائرتين العربيَّة والإسلاميَّة عن الصِّراع الإسرائيليّ الفلسطينيّ.

حول أهمية هذه الدوائر الثلاث يقول خالد مشعل أنَّ قضية فلسطين تعبر عن جوانب عديدة ومنها أنها معركة إنسانيَّة ضدَّ الظُّلم والطُّغيان الإسرائيليّ وعنصريَّة المشروع الصُّهيونيّ لذا هناك ضرورة لتسويق القضيَّة العادلة للشَّعب الفلسطينيّ، وكسب المزيد من الأصدقاء المؤيِّدين للحقوق الفلسطينيَّة المشروعة إقليميًّا ودوليًّا[1].

لقد حرصت حماس كلّ الحرص على إبقاء الجوار العربيّ، والعمق الإسلاميّ، والتَّعاضد الإنسانيّ والأخلاقيّ مع باقي الدُّول المناصرة للحقّ الإنسانيّ، إلى جانب الشَّعب الفلسطينيّ في صراعه مع العدوّ الصُّهيونيّ، رغم كلّ الصُّعوبات والعراقيل الَّتي اعترضتها خلال السَّنوات الماضية. ولفهم طبيعة العلاقات الَّتي بنتها حماس مع هذه الأنظمة، ولإدراك مدى إمكانيَّة استمرار أو استقرار هذه العلاقات؛ لا بدَّ من النَّظر في الأسس والمبادئ الَّتي قامت عليها[2].

أكدَّت حماس هذه الإستراتيجيَّة الَّتي تعتمد السَّاحة الفلسطينيَّة ساحة وحيدة للصِّراع العسكريّ مع العدو، ورفضت توسيع الرُّقعة الجغرافيَّة لعملياتها، رغم الاعتداءات الَّتي تعرضت لها قيادة الحركة في الخارج. فقد قام جهاز الموساد الإسرائيليّ باغتيال عزِّ الدِّين الشِّيخ خليل عام 2004، وهو أحد كوادر حماس في دمشق، عن طريق تفجير سيارته، وقبل ذلك حاولت اغتيال خالد مشعل في الأردُنّ عام 1997، وفي عام 2010 أقدمت إسرائيل على اغتيال

---

[1] فلسطين اليوم، جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس، مرجع سابق، ص10.

[2] قدُّورة، ياسر: علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة، مجلَّة فلسطين المسلمة، كانون الأوَّل 2007، http://www.fm-m.com/2007/Dec2007/story22.htm.

محمود المبحوح في دبي، ومع ذلك كان للحركة موقف حاسم بعدم نقل مسرح عمليَّاتها خـــارج فلسطين[1].

هذا الوضوح في الرُّؤية والحسم في الموقف؛ أزال بعضًا من حواجز الخوف بينها وبين بعض الأنظمة الَّتي ظلَّت تنظر إلى مسألة الجهاد والمقاومة على أنَّه عامل قلق وعدم اســتقرار لنظامها السِّياسيّ، كما كان له الأثر في معالجة أيّ إشكال أو التباس ميــدانيّ يتعلَّــق بالعمــل العسكريّ. عندما أعلنت مصر أنَّ بعض الإسلاميِّين الفلسطينيِّين متورطون في تفجيرات ســيناء الَّتي وقعت بعد فوز حماس بالانتخابات التَّشريعيَّة؛ كانت تــدرك أنَّ الحركــة الَّتــي رفضــت استهداف الإسرائيليِّين في الخارج وهي في المعارضة، لن تفعلها وهي في الحكم[2].

وبموجب ذلك، يمكن فهم وقراءة ما تكلَّم به خالد مشعل في بعض الخطابات واللِّقاءات، بعد استلام حماس زمام الحكم في غزَّة؛ أنَّ كلامه جاء مليئًا بالرُّؤية والاشــتقاقات البراغماتيَّــة لحركة حماس الَّتي تعلّمت في الميدان، وقد اختبرت واختمرت أفكارها ورؤاها، وباتت اليوم تقدِّم من حين لآخر اشتقاقات تؤشِّر على براغماتيَّة ووطنيَّة في النَّظرة إلى الصِّراع مــع إســرائيل. وبالطَّبع ليس معنى ذلك أنَّ حماس انسلخت، أو هي في طور الانسلاخ عن ذاتها، ولكنَّها تحاول التَّكيُّف والتَّعاطي بما يتلاءم مع المعطيات الجديدة، في ظلّ الحصار المفروض على قطاع غزَّة وتكاليفه الباهظة، إضافة إلى وقوعها تحت ضغط المحاور الإقليميَّة الَّتي تمارس الضَّغط علــى الحالة الفلسطينيَّة الرَّسميَّة وغير الرسميَّة، في ظلّ معطيات إقليميَّة بالغة التَّعقيد، مــع صــعود اليمين الإسرائيليّ من جانب، وسعي الإدارة الأميركيَّة الجديدة لإحداث اختراق جوهريّ ونوعيّ في عمليَّة التَّسوية السِّياسيَّة في الشَّرق الأوسط من جانب آخر[3].

---

[1] قدُّورة، ياسر: **علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة**، مجلَّة فلسطين المسلمة، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] بدوان، علي: براغماتيَّة «حماس» في النَّظرة إلى الصِّراع مع "إسرائيل"، صحيفة الحياة اللَّندنيَّة، 30 حزيــران 2009، رقــم العــدد: 16888، الصَّــفحة11، http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat%20INT/2009/6/30/.

2.11.3 السِّياسة الخارجيَّة تجاه الدول العربيّة

استطاعت حماس طوال الفترة الَّتي سبقت الرَّبيع العربيّ أنْ تنأى بنفسها عن التَّدخُّل في الشُّؤون الدَّاخلية للدُّول العربيَّة، واستطاعت أنْ تبني علاقات متوازية مع الحكومات، ومع المعارضة المحليّة على حدّ سواء. وتشهد على هذه البراغماتيَّة علاقات حماس المتينة مع القيادة السُّورية – قبل انفجار الثَّورة السُّوريَّة – رغم ما بين النِّظام وجماعة الإخوان المسلمين من خلاف وصل تاريخيًّا حدّ المواجهة الدَّمويَّة، وكذلك كانت حريصة على ألَّا تثير حساسية النِّظام المصريّ من علاقتها مع إخوان مصر، وهذا ما وضَّحه الشَّيخ أحمد ياسين في لقائه مع الجزيرة في شهادته على العصر عندما قال: "... نحن إخوان مسلمون...اللي أنا نكرته فقط إنو لم يكن بيننا وبين الإخوان في مصر علاقة تنظيميَّة... "[1].

أمَّا في لبنان، برغم ما مرَّت وتمرّ به من عواصف سياسية داخلية؛ فقد تمكَّنت حماس من البقاء على مسافة واحدة من الأطراف جميعها فيما يتعلَّق بالشُّؤون الدَّاخليَّة، وإنْ كانت تعلن بوضوح أنَّها مع مشروع المقاومة في مواجهة المخطَّط الأمريكيّ– الإسرائيليّ للمنطقة، وأبقت خطوط الاتِّصال والتَّواصل مفتوحة مع كلٍّ من المعارضة والائتلاف. كما أسهمت حماس أثناء أزمة مخيم نهر البارد في تحصين السَّاحة اللُّبنانيَّة من نزاع لبنانيّ فلسطينيّ، كان يمكن أنْ يشكِّل تهديدًا حقيقيًا للِّسلم الأهليّ في لبنان[2].

وبهذا، استطاعت حماس أنْ تظلّ خارج المحاور العربيَّة والإقليميَّة، ورغم التَّباين الحادّ بين دول المنطقة، فيما يتعلَّق بالعلاقة مع الكيان الصُّهيونيّ؛ فإنَّ حماس استفادت إلى حدّ ما من هذه التَّناقضات دون أنْ تغرق في وحولها[3].

---

[1] قناة الجزيرة، مقابلة مع أحمد ياسين، الخلاف حول شهادة الشَّيخ أحمد ياسين، 9 حزيران1999، http://bit.ly/1gV6FZ7.

[2] قدُّورة، ياسر: **علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة**، مرجع سابق.

[3] المرجع السابق.

3.11.3 استراتيجيَّة التَّوفيق: حسابات السِّياسة، ورفض التَّبعيَّة

في الواقع استطاعت حماس أنْ تحافظ على شخصيَّتها وهويَّتها، والأهمّ من ذلك على برنامجها الوطني، فقد أظهرت في أكثر من مناسبة أنَّها تقف إلى جانب إيران في مواجهة المشروع الإسرائيليّ- الأمريكيّ، ولكنْ ليس على حساب علاقاتها مع الدُّول العربيَّة وشعوب المنطقة.

حماس دانت إعدام صدام حسين، في الوقت الَّذي رحَّبت فيه إيران بالعمليَّة، ودعمت بصراحة المقاومة العراقيَّة ضدّ الاحتلال الأمريكيّ، فيما كان الموقف الإيرانيّ ملتبِّسًا، ثمَّ تبدّدت كلّ الهواجس حين توجهت إلى المملكة السُّعوديَّة؛ لتوقيع اتِّفاق مكَّة مع حركة فتح، وأظهرت كلّ الانفتاح على القيادة السُّعوديَّة[1].

هذا الانفتاح لم يعكِّر صفوه حسن العلاقة بين حماس وقطر، رغم التَّنافس القطريّ السُّعوديّ المزمن، بل عملت حماس على بناء علاقات جيِّدة مع الطَّرفين رغم خلافاتهما. وكانت الحفاوة ظاهرة في استقبال إسماعيل هنيَّة في الدَّوحة، وما قُدِّم لحكومته من مشاريع بلغت قيمتها عشرات الملايين من الدُّولارات؛ لدعم الشَّعب الفلسطينيّ[2].

أما على صعيد التَّنافس السُّوريّ- المصريّ بما يخصُّ القضيَّة الفلسطينيَّة؛ فإنَّ حماس لم تملك خيارًا سوى المحافظة على التَّوازن في العلاقة بين الطَّرفين، فسوريًّا هي الحاضن لقيادات الخارج، ومصر معبر قيادات الداخل، وكلتاهما -مصر وسوريًّا- تشكِّل عاملًا حاسمًا في مصير الصِّراع العربيّ- الإسرائيليّ. ولا يخفى أنَّ مصر عملت على إحراج حماس في أكثر من موقف، وقدَّمت دعمًا موصولًا للقوى الَّتي تصفها حماس بالانقلابيَّة، ولكنَّ حماس حرصت على عدم إخراج مصر من المعادلة سواءً فيما يتعلق بملف الوساطة بينها وبين فتح أم بملف الجنديّ الإسرائيليّ الأسير جلعاد شاليط، رغم حساسيَّة الملف الأخير وخطورته بالنِّسبة للحركة[3].

---

[1] قدُّورة، ياسر: **علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

على صعيد المستوى الرَّسميّ في حماس، نرى من خلال خطابها، وطريقة تعاطيها في ملف علاقاتها الدَّوليَّة وسياستها الخارجية؛ أنَّها عالجت خلافاتها مع الدُّول العربيَّة بكثير من الصَّبر والرَّويَّة، وابتعدت في مواقفها وبياناتها عن سياسة الاتِّهام والتَّجريح على النَّمط التَّقليديّ الَّذي تعتمده بعض القوى والفصائل، واعتمدت بالمقابل على لغة النَّقد الموضوعيّ، والنُّصح والمناشدة دون قطع جسور التَّواصل حتَّى في أحلك الظُّروف.

حماس وفق ما يشير ياسر قدورة "... لم توجِّه الاتِّهامات لمصر رغم الدَّعم الأمنيّ لفريق محمد دحلان، وظلَّت تقدِّم الدَّلائل والبيانات للقيادات المصريَّة على تورُّط فريق دايتون في عمليَّات القتل والتَّخريب، ولم تفتح جبهة مع النِّظام الأردنيّ حين فبركت الأجهزة الأمنيَّة الأردنيَّة مسألة خليَّة تهريب الأسلحة، بل اكتفت بالنَّفي والتَّأكيد على أنَّها اتِّهامات باطلة، أُريد منها قطع الطَّريق على زيارة محمود الزَّهار لعَمَّان، وحين أمسكت كتائب القسَّام شاحنات العتاد العسكريّ المرسلة من دولة خليجيَّة معروفة لحرس الرَّئيس عباس، اكتفت حماس بالقول: إنَّ الدَّعم قادم من دولة خليجيَّة دون التَّسمية، وخفَّف قياديوها من الوطأة لاحقًا، عندما قالوا: إنَّ العتاد لا يتضمَّن أسلحة هجوميَّة بل سترات واقية وخيامًا. كما حرصت حماس على التَّواصل مع جامعة الدُّول العربيَّة وأمينها العامّ في جميع المناسبات والقمم سواء بالمشاركة أو المراسلة، ولم تهاجم المبادرة العربيَّة للسَّلام أو تنسفها من أساسها، واكتفت بالقول: إنَّها تحتاج لإعادة النَّظر، وإنَّ إسرائيل نفسها لا تقبل بها"[1].

من هنا يمكن القول: إنَّ الأسس الَّتي اعتمدتها حركة حماس في علاقاتها مع الدُّول العربية قبل اندلاع ثورات الرَّبيع العربيّ؛ كانت أسسًا مبنيَّة على رؤية إستراتيجيَّة واضحة، مستفيدة من الأخطاء الَّتي وقعت فيها حركة فتح سابقًا، ودفع ثمنها الشَّعب الفلسطينيّ، كما حدث عقب الغزو العراقيّ للكويت. ومع ذلك فإنَّ الدُّول العربيَّة الَّتي تزداد ضعفًا وارتباكًا كلّ يوم؛ أصبحت أكثر قابلية للخضوع والتَّراجع أمام المشروع الأمريكيّ، ما يعني مزيدًا من التَّضييق وسدّ المنافذ على حماس، وهذا ما حصل فعلًا بعد فوز حماس في الانتخابات التَّشريعيَّة، وازداد

[1] قدُّورة، ياسر: **علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة**، مرجع سابق.

وضوحًا بعد فشل خطَّة دايتون في غزَّة، وإمساك حماس بزمام الأمور هناك. ومع ذلك فإنَّ حماس لا تنظر إلى مستقبل العلاقة مع الدُّول العربيَّة بمنظار أسود، فرئيس المكتب السِّياسيّ للحركة خالد مشعل يرى أنَّ الأردنّ وفلسطين في الخندق نفسه، وأنَّه آن الأوان لتنسيق المواجهة. فيما يؤكِّد نائبه الدُّكتور موسى أبو مرزوق أنَّ علاقات حركته مع مصر لن تحكمها ظروف مؤقَّتة، ولا الظُّروف الرَّاهنة، وهي علاقة أكبر من ذلك بكثير[1].

وفي سياق أهميَّة العلاقة والرَّوابط يمكن تفسير العلاقات المتينة الَّتي تربط حماس بكلٍّ من اليمن، والسودان، وعُمان، والجزائر. هذا وكانت علاقات حماس بهذه الدُّول دائمة ومتواصلة، واستطاعت حماس أنْ تبقى على اتِّصال مستمرّ مع قادة هذه الدُّول ورؤسائها والمسؤولين فيها، ووضعهم في صورة التَّطوُّرات الفلسطينيَّة. ويسجِّل التَّاريخ أنَّ هذه الدُّول وقفت إلى جانب القضيَّة الفلسطينيَّة في أصعب الظُّروف، وظلَّت متفاعلة مع رؤية حركة حماس للأحداث[2].

وفي حديث لمشعل أكَّد "...أنَّ حماس تعمل على استنهاض الأمَّة في مواجهة المشروع الصُّهيونيّ..."[3]، ونبَّه لخطورة الرِّضا بحالة التَّشرذم والتَّفكُّك والطَّائفية الَّتي تضرّ بأقطار الوطن العربيّ ومستقبلها؛ "لأنَّ العالم يتجاوز القطريَّات والقوميَّات ببناء التَّكتُّلات الكبيرة القادرة على التَّخطيط والتَّفكير على مستوى القارَّات والأمم"[4]، مؤكِّدًا أنَّ "التعامل مع ملف التَّناقضات الطَّائفيَّة والعرقيَّة في العالم العربيّ– الإسلاميّ؛ يتطلَّب الوعى والانتباه لما له من أثر بالغ في صياغة حاضر الأمَّة ومستقبلها..."[5].

أمَّا عن دول الخليج العربيّ، فيقول أحمد يوسف: "... سدَّت أكثر دول الخليج الأبواب في وجوهنا؛ لما آل إليه الرَّبيع العربيّ من فواجع، ومعظم المشيخات، باستثناء قطر، وجدوا في

---

[1] قدُّورة، ياسر: **علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] فلسطين اليوم، **جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس**، مرجع سابق، ص7.

[4] المرجع السابق.

[5] المرجع السابق.

الإسلاميِّين خطرًا عليهم فناصبوهم العداء، بل إنَّ السُّعودية الَّتي احتضنت التَّيَّارات الإسلاميَّة على مدار أكثر من ستَّة عقود؛ قلبت لهم ظهر المِجنّ، وأخذت تستعدي عليهم الشَّرق والغرب، في ظاهرة أصابت الجميع بالذُّهول. أمَّا قطر، فوفَّرت هذا الاحتضان الكريم لقيادة الحركة، وبعض كوادر صفقة وفاء الأحرار، كذلك كانت يد خير للفلسطينيِّين، وهي الدَّولة الَّتي سبقت الجميع، وقدَّمت مليار دولار في مؤتمر القاهرة"[1].

وعن علاقة حماس مع إيران يؤكِّد يوسف قائلًا: "... بغضّ النَّظر عن حسابات السِّياسة، ومواقف بعض الأطراف؛ فإنَّ علاقتنا بطهران وحزب الله يجب أنْ تظلّ وطيدة، وعلينا ألَّا ننسى ما تمثِّله الثَّورة الإسلاميَّة على مستوى رؤيتنا للصِّراع ضدّ إسرائيل؛ لأنَّنا في مركبٍ واحد، فيما الغرب وأميركا وإسرائيل يرسمون لنا مخطَّطات الكيد... ما يجري في سوريَّا من أحداث دامية بين المعارضة، ونظام الرَّئيس بشَّار الأسد؛ أدَّى إلى اتِّخاذ حماس موقفًا باعد بينها وبين إيران الَّتي هي الحليف الاستراتيجيّ للقضيَّة الفلسطينيَّة، ولكنْ يجب أنْ ننتبه إلى أنَّ إيران دولة مركزيَّة، ولديها إمكانات عسكريَّة ونفوذ قويّ؛ لتعزيز هيبة الأمَّة، والحفاظ على مكانتها بين الأمم"[2].

4.11.3 علاقات حماس الدَّوليَّة خارج الدَّائرة العربيَّة

أمَّا على صعيد العلاقات الدَّوليَّة لحماس خارج الدَّائرة العربيَّة؛ فقد طوَّرت حماس علاقاتها الخارجيَّة بعد فوز أكثريَّة مرشحيها بالانتخابات البلديَّة الَّتي جرت عام 2005، وبلغت ذروتها بعد الانتخابات النِّيابيَّة، الَّتي حصدت الحركة فيها أكثريَّة مقاعد المجلس التَّشريعيّ عام 2006[3].

لقد أدركت حماس أهمية بناء نسيج مميَّز من العلاقات مع دول ذات ثقل عالميّ: كروسيا، والصِّين، وإقليميّ: كماليزيا، وإندونيسيا، وتركيَّا، وإيران. لذلك انطلقت حماس

---

[1] صحيفة الأخبار اللُّبنانيَّة، **لقاء صحفيّ مع أحمد يوسف**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] قدُّورة، ياسر: **علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة**، مرجع سابق.

بسياستها الخارجيَّة من قاعدة مبنية على الحوار مع جميع الأطراف باستثناء ممثِّلي الكيان الصُّهيونيّ[1].

تختلف مواقف الدُّول الأوروبيَّة من الحركة بشكل واضح؛ فإذا كانت بعض الدُّول ترى أنَّ على أوروبا فتح باب جديّ ورسميّ للحوار معها، فإن دولًا أخرى تعارض هذا الأمر. وحتَّى الآن تلتزم الدُّول الأوروبيَّة عمليًّا بموقف مكتب منسِّق شؤون السِّياسة الخارجيَّة للاتِّحاد الأوروبيّ، والقاضية باحتساب حركة حماس حركة إرهابيَّة، وبالتَّالي لن يتمَّ الحوار معها حتَّى تلتزم بشروط اللَّجنة الرُّباعيَّة الَّتي تضمّ ممثلًا لأوروبا في عضويَّتها، والَّتي تقضي بالاعتراف بحقّ إسرائيل بالوجود والاعتراف الاتِّفاقيَّات الَّتي وقَّعتها منظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة كافَّة، ونبذ الإرهاب.

لكنْ هناك عوامل أخرى تمنع أوروبا من الحوار مع حركة حماس، منها: أنَّ حماس حركة دينيَّة إلى جانب كونها سياسيَّة وعسكريَّة واجتماعيَّة؛ فأوروبا حسَّاسة جدًّا من الموضوع الدِّينيّ – الإسلاميّ[2].

كما أنَّ حركة حماس بنظر أوروبَّا قامت بعمليَّات عسكرية استهدفت مدنيِّين إسرائيليِّين داخل الخطّ الأخضر. ولحماس علاقات متينة مع حزب الله اللُّبناني وإيران عدوًّا أوروبا الأساسيَّين في الشَّرق الأوسط في الوقت الحالي مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه العلاقة قد تتغير لاحقا لحالة عدم الاستقرار وتغير شكل التحالفات بسبب ما تمر فيه المنطقة، فهي معادلة غير ثابتة وخاضعة لتبدلات موازين القوى وحسابات السياسة التي لا تعرف الثبات المطلق في التحالفات والعلاقات. كما أن ضغط الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وإسرائيل على الدُّول الأوروبيَّة، يمنعها من الاتِّصال بالحركة أو ممثِّليها، سواء أكان ذلك داخل حدود فلسطين المحتلَّة أم في الخارج، وهذا الأمر قد يتغير لاحقا لسبب أو لآخر.

---

[1] قدُّورة، ياسر: **علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

ويلعب الإعلام الغربي عموما والأوروبيّ بوجه خـــاص التَّـــابع لجماعـــات الضَّـــغط الصَّهيونيَّة دورًا أساسيًّا في التَّحريض على حركة حماس، وعلى بناء رأي عامّ مناهض لها، كما فرضت أوروبَّا حصارًا شاملًا على الحكومة الَّتي شكَّلتها حركة حماس، وعلى حكومة الوحـــدة الوطنيَّة الَّتي شكَّلتها بالمشاركة مع حركة فتح بعد اتِّفاق مكَّة، ثمَّ رفع هذا الحصار بعد أحـــداث غزَّة صيف عام 2007، وتشكيل سلام فياض حكومة جديدة.

بعدها بدأت أوروبَّا تدرك أنَّ سياسة عزل حماس لم تؤدّ إلى النَّتائج المطلوبة، وبـــدأت أصوات أوروبية تدعو جهرًا بضرورة فتح أوروبَّا حوارات معمَّقة مع حماس. فقد دعا كل مـــن (رومانو برودي) رئيس وزراء إيطاليا، و(ماسيمو داليما) وزير خارجيَّته، و(أركي توميوجـــا) وزير خارجيَّة فنلندا، و(كريستوفر باتن) المفوض السَّابق للاتِّحاد الأوروبيّ للشُّؤون الخارجيَّـــة، و(ألستر كوك) المسؤول الأوروبيّ السَّابق عن الحوار مع الحركات الإســـلاميَّة فـــي فلســـطين 1997 – 2003؛ دعوا علانيَّة الاتِّحاد الأوروبيّ للحوار مع حركة حماس كشريك في عمليَّـــة السَّلام في الشَّرق الأوسط.

وقد انضمَّ 39 نائبًا بريطانيًّا للدَّاعين لفتح قنوات للحوار مع حركة حماس، على رأسهم شيرلي وليامز الرَّئيسة السَّابقة لـــمعهد تشاتهم 2001–2006، الَّتي أكَّدت أنَّه لا حـــلّ لأزمـــة الشَّرق الأوسط دون الحوار مع حركة حماس.

ويرى الدَّاعون للحوار مع الحركة أنَّ حماس أعلنت عن هدنة من جانب واحد والتزمت بها، فيما لم تقم إسرائيل بالشَّيء نفسه، وأنَّ البيان الوزاريّ الَّذي تقدَّمت بـــه حكومـــة الوحـــدة الوطنيَّة لنيل ثقة المجلس التَّشريعيّ أعلن صراحة احترام الحكومة للاتِّفاقيَّات السَّابقة، ويستشهد هؤلاء بأقوال نسبت إلى خالد مشعل من أنَّ إسرائيل حقيقة واقعيَّة – غير أن الباحث يـــرى أن هذه الحقيقة لا تشكل اعترافاً أو إقراراً بشرعية الاحتلال بقدر ما تشكل وصـــفا لأمـــر واقـــع وطارئ موجوداً على الأرض وهذا ما يفهم من سياق الخط السياسي العام للحركـــة ومواقـــف وتصريحات قادتها – ويرى الفريق الأوروبيّ الدَّاعي للحوار مع حركة حماس أنَّ غياب القارَّة

العجوز عن السَّاحة الفلسطينيَّة، ومعاداتها لحماس، والتزامها المتحيِّز لإسرائيل؛ سيشكل فراغًا كبيرًا ستعمل إيران وجهات متطرِّفة على ملئه[1].

وحسب ما أورد أحمد يوسف من أنَّ حركته هي "حركة تحرُّر وطنيّ بمرجعية إسلاميَّة، تتمتَّع ببراغماتيَّة ومرونة سياسيَّة، وتقدِّم حسابات الوطن على التَّنظيم، والحركة تدرك أهميَّة تماسك الكلِّ الفلسطينيّ لقيام دولة في سبيل نجاح المشروع الاسلامي"[2]. وأضاف: إنَّه "عندما تسدّ الأبواب يتقدَّم العامل السِّياسيّ على الايديولوجيّ، وقد يتوجب إحراق الكثير من الشِّعارات الأيديولوجيَّة لتكسب وتحقِّق الممكن سياسيًّا"[3] وهذا الأمر يقع ضمن الإطار العام لأسس العلاقات الخارجية لحركة حماس.

وعلى ما يبدو أنَّه يشير إلى استعداد حماس المستمرّ لفتح قنوات تواصل، وجسور تفاهم مع الأطراف الغربيَّة، والأوروبيَّة منها بشكل خاصّ. فمشاركة حماس في قيادة دولة فلسطين ستفتح لها أبوابًا مغلقة فحماس تلعب بحرفيَّة وتستثمر الأزمات بطريقة براغماتيَّة ذكيَّة، فهي تنحني أمام العاصفة لتمرّ وتحقِّق مكاسب أكثر[4].

12.3 الإعداد وبناء القوَّة وانعكاساته على القضيَّة الفلسطينيَّة

يعدُّ موضوع القوَّة من المواضيع المهمَّة التي يدأب كل تنظيم سياسي على التركيز عليه كي يساعده لتحقيق أهدافه سواء لتعزيز الجبهة الداخلية أو على صعيد بناء وتحديد العلاقات الخارجية تجاه الدُّول والشعوب والأقاليم المتجاورة والمتباعدة؛ فهي مهمَّة للسِّياسيّ كأهميَّة النُّقود للاقتصاديّ، ويراها البعض بأنَّها تساهم في صنع القرار كما جاء في تعريف جونز للقوة[5].

---

[1] عبد الحكيم، أسامة: "علاقات حماس الدَّوليَّة...الحوار مع الجميع"، مجلَّة فلسطين المسلمة، كانون الأوَّل 2007، http://www.fm-m.com/2007/Dec2007/story23.htm.

[2] صحيفة الأخبار اللُّبنانيَّة، **لقاء صحفيّ مع أحمد يوسف**، مرجع سابق.

[3] المرجع السابق.

[4] الحياة الجديدة، حماس تتجه ببراغماتية للتخلي عن حكم غزة للمشاركة في النظام السياسي، 27/12/2015، http://bit.ly/1YGpxza.

[5] الظَّاهر، نعيم إبراهيم: **إدارة الدَّولة والنِّظام السِّياسيّ الدَّوليّ**، إربد، عالم الكتب الحديث، ط1-2010، ص229.

ويعتقد آخرون بأنَّ ممارسة القوَّة مهمّ في تحقيق الأهداف القوميَّة الَّتي لا يمكن تجنُّبها في بعض الأحيان[1]. وهنا كان لا بدَّ من بناء القوَّة، والمحافظة عليها؛ لحماية النَّفس من مخاطر الاعتداء الدَّاخليّ والخارجيّ، وهذا الفصل سيتناول محاور عدَّة في سياق بناء القوَّة لدى حركة حماس، وبداية الحركة وانطلاقها من رحم الانتفاضة الفلسطينيَّة الأولى، انتفاضة الحجارة.

1.12.3 مرتكزات التَّمكين لدى حماس

استطاعت حماس أنْ توصل من خلال مقاومتها رسائل عديدة من بينها: أنَّ التمكين هو من يحدِّد المسار، وللأمر جوانب عديدة تساند بعضها بعضًا، وهي لا تقتصر على القوَّة العسكريَّة فقط، ولا يمكن أنْ تستغني عنها في الوقت ذاته؛ "فعالم السِّياسة يدور كلّه حول ممارسة القوَّة والبحث عنها..." بالإضافة إلى "أنَّها في الأساس وسيلة لتحقيق قيم وطنية..."[2].

هناك مرتكزات تقوم عليها طبيعة القوَّة عند حركة حماس، ولفهم هذه الطَّبيعة علينا الوقوف سريعا على عوامل التمكين في الإسلام باعتباره المصدر الأول والمنبع الأساسي الذي تستمد منه حماس تعاليمها وتوجه بموجب تعاليمه بوصلتها فنجد أن للتمكين في الإسلام عوامل وأسباب عديدة، ومن أهمها[3]:

1- تحقيق الإيمان وممارسة العمل الصالح.

2- الإعداد الشامل بشقيه (المعنوي) كالتربية والإعداد الروحي، والشق (المادي) كالإهتمام بالتخصصات العلمية الحديثة ومراكز الأبحاث ووسائل الإعلام والتصنيع الحربي ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)) [الأنفال 60]

---

[1] تلحميّ، شبليّ: **المخاطر "أمريكا في الشَّرق الأوسط: عواقب القوَّة وخيار السَّلام"**، الرِّياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2005، ص238.

[2] الزَّهرانيّ، سعيد بن عطيَّة: **القيم الأخلاقيَّة في الصِّراع الحضاريّ بين الإسلام والغرب**، بيروت، دار ابن حزم، ط1- 2003، ص10.

[3] الصلابي، علي: فقه النصر والتمكين، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة، 2009م، ص 508 – ص 510.

3- إحياء سنة الأخذ بأسباب الكون وقوانينه الربانية في الإعداد وبناء القوة وإنزالها على أرض الواقع.

4- بناء قاعدة مؤمنة صلبة على أساس وصفات الطائفة المنصورة التي ورد ذكرها في المراجع والمصادر الإسلامية.

إن هذه المنطلقات والعوامل التي توضح فقه التمكين في الإسلام بشموليته - وليس بالبعد العسكري فقط - تقربنا من فهم السُّلوك السِّياسيّ لحركة حماس الذي يتفق مع تعاليم الإسلام ولا يخرج عن السِّياق الوطني الفسطينيّ في أبعاده ومحدِّداته بل ينسجم معه ويعززه، ولا يخرج عن السُّلوك السِّياسيّ العامّ للحركات الإسلاميّة وإنما يقوي ويعزز إطار الأهداف والمنطلقات العامَّة وينسجم معها، وهنا يعدُّ عامل الدِّين هو الأساس لهذا السُّلوك وإلَّا ستفقد الحركة تميُّزها عن غيرها من الحركات السِّياسيَّة[1].

كذلك تعدُّ العقيدة الإسلاميَّة هي روح الحركات الإسلاميَّة، وهي الَّتي تشكِّل الأيدولوجيَّة ومكمن القوَّة الدَّاخليَّة الَّتي تنبعث منها الطَّاقات والأعمال، كما أنَّ حماس تتميَّز بوصفها حركة "براغماتيَّة"؛ بمعنى أنَّ واقعيَّتها وتنوُّعها وتكيُّفها ومرونتها يجعلها أكبر قدرة على التَّعامل والتَّعاطي مع طبيعة الحكم، وطبيعة الصِّراع، وطبيعة التَّعامل مع البعدين الإقليميّ والدَّوليّ للقضيَّة الفلسطينيَّة. وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ حماس أصبحت أحد العوامل والفواعل الإقليميَّة الجديدة، ومكوناً أسياسيًّا في النِّظام السِّياسيّ الفلسطينيّ، ولهذا دلالة مهمَّة، فالفاعل والمؤثِّر حتَّى يتمتَّع بهذا الدَّور ويستمرّ به يحتاج إلى اعتراف إقليميّ ودوليّ، وهذا الاعتراف يفرض على الحركة مزيدًا من الانفتاح السِّياسيّ والتَّكيف مع الشَّرعية الدَّوليَّة[2].

إنَّ حماس مغروسة بعمق في المجتمع الَّذي نشأت فيه، فهي حركة جماهيريَّة متفرِّعة عن جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين منذ البدء. وقد انحصرت مشاركة الإخوان المسلمين

---

[1] شراب، ناجي صادق: الاقتراب من فهم السُّلوك السِّياسيّ لحماس، وكالة معًا، http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=484659

[2] المرجع السابق.

في فلسطين منذ بدايتها في الدَّعوة على أساس نشاط اجتماعيّ؛ بغرض جلب النَّهضة الثَّقافيَّة للإسلام إلى فلسطين.

وفي بدء الانتفاضة الأولى الَّتي نشبت في نهاية سنة 1987 في المناطق الفلسطينيَّة الَّتي تسيطر عليها إسرائيل في الضِّفة الغربيَّة وقطاع غزَّة؛ أسَّس الإخوان المسلمون حركة حماس لتكون الذِّراع العسكريَّة، وكان هذا التَّغيير التَّنظيميّ- البنيويّ خطوة أولى في تشكُّل حماس، كما هي معروفة اليوم.

هذا التَّغيير الَّذي عبَّرت عنه زيادة بُعد عسكريّ على القاعدة الشَّعبية للإخوان المسلمين يرمي إلى الدَّفع قدمًا بهدفين متَّصلين بعضهما ببعض: أوَّلهما- في السَّاحة الفلسطينيَّة، ضعضعة السَّيطرة التَّقليديَّة لـ (م. ت. ف) بقيادة فتح. والآخر- قيادة نضال لا هوادة فيه ضدَّ إسرائيل، تحت رايتي الإسلام والقوميَّة؛ حلًّا لمشكلات الشَّعب الفلسطينيّ[1].

واعتمادا على عوامل وأسباب التمكين في الإسلام التي ذكرناها آنفاً نلحظ أن حماس بنت قوَّتها بالتدرج التراكمي على مر السنين وهذا يتفق مع سنة التدرج في التمكين، وأعَّدت أجهزة عسكريَّة مركَّبة، تمتلك قوَّة منظَّمة تسيطر على بنيتي قوَّة متوازيتين: ذراع عسكريَّة (كتائب القسام)، وذراع أمنيَّة في غزَّة. بالإضافة إلى ذلك فإنَّ حماس بعد سيطرتها بالكامل على قطاع غزَّة، وحسب ما تفيد الدِّراسات فإنَّها أصبحت ذات قوَّة متصاعدة ومتزايدة، وأصبحت "لاعبة داخليَّة" في غزَّة تؤدي دور الحكومة، وهي في الوقت ذاته "لاعبة خارجيَّة" بالنِّسبة لمؤسَّسات السُّلطة الفلسطينيَّة في الضِّفة الغربيَّة الخاضعة لسيطرة فتح، وتتَّصل كذلك بمنظَّمة التَّحرير الفلسطينيَّة[2].

ويعتمد نشاط حماس الاجتماعي على تحقيق الرَّفاه، والخدمات الَّتي تبدأ من العلاج حتَّى التَّربية، وسجَّلت إنجازات في خفض نسبة الفقر، يساعدها هذا الإنجاز على الحفاظ على

---

[1] عنات كورتس، بنديتا بيرتي، مارسيل كونراد: التَّطوُّر المؤسَّسي لحماس وحزب الله، مركز الناطور للدراسات والأبحاث، المصدر الإستراتيجي، السنة الرابعة عشر، العدد 156، شباط 2013، http://bit.ly/1ZvPVsz.

[2] المرجع السابق.

شرعيَّتها، وكسب المزيد من المؤيِّدين، وإسناد جماهيريّ واسع النِّطاق. وتشير آخر المعطيات لسنة 2012 إلى أنَّ حماس أصبحت بجانب الأمم المتَّحدة المزوِّدة الأهمّ بالغذاء في قطاع غزَّة، وهي حقيقة في ذاتها مصدر مهمّ لحماية شرعيَّها والحفاظ عليها[1].

2.12.3 إنجاز التمكين وصناعة التَّوازن في معادلة الصِّراع

القوَّة لدى حماس، تكتمل بالتَّطوير المستمرّ، وتتآزر مع عوامل قوَّتها المتنوِّعة مثل توفر القاعدة الصلبة التي تعتمد عليها، والتركيز على مبدأ الاعتماد الذاتي –بقدر كبير– في الإعداد والتجهيز، ووجود بيئة داخلية (حاضنة شعبية) رعتها حماس وعززتها وساهمت في بنائها، ووسائل الإعلام الحديثة التي تديرها حماس بأنواعها المختلفة وغيرها من عوامل القوة الأخرى التي تحتفظ بها حماس؛ سعيًا منها لتحقيق قوَّة ضاربة تعمل على تحقيق توازن رعب استراتيجيّ مع عدوَّتها إسرائيل، وحماية لبنيتها التي تعتبرها عاملا ضروريا من عوامل التمكين لإنجاز المشروع الوطني الفلسطيني التحرري الَّذي تؤمن به.

وبناءً على ذلك فقد نشرت الصَّحافة العبريَّة تقريرًا ذا أهميَّة حول تقديرات الجيش الإسرائيليّ لقوَّة حماس في قطاع غزَّة، وحسب التَّقرير "...فإنَّ الحركة سيطرت على جميع المستشفيات في القطاع، كما أنَّها قامت بتشغيل أطباء من حركة حماس فقط لإحكام سيطرتها على المستشفيات، بالإضافة إلى ذلك، سيطرت الحركة بشكل كامل على المدارس في القطاع، وحوَّلت مناهج التَّعليم من مدنيَّة إلى إسلاميَّة أصوليَّة؛ حيث يتعلَّم الطُّلاب الأيديولوجيا الحماسيَّة، بوساطة مربِّين ومعلمين من حماس..."[2]. وأضاف التَّقرير قائلا:"... إنَّ الشَّوارع في القطاع نظيفة ومرتَّبة، وإنَّ المواطن الفلسطينيّ يشعر بالأمان، كما أنَّه يشعر بأنَّ السُّلطة مهتمَّة به جيِّدًا..."[3].

---

[1] عنات كورتس، بنديتا بيرتي، مارسيل كونراد: **التَّطوُّر المؤسَّسي لحماس وحزب الله**، مرجع سابق

[2] وكالة ميلاد الإخباريَّة، إسرائيل قلقة من ترسانة حماس، http://www.milad.ps/arb/news.php?maa=View&id=31033.

[3] المرجع السابق.

ووفق التَّقرير الإسرائيليّ فإنَّ إيران تقوم "بتهريب" المبالغ الطَّائلة من الأموال إلى القطاع؛ بهدف تمويل الجيش الَّذي تعكف حماس على إقامته، ويشير التَّقرير إلى أنَّ"....إيران تقوم بدفع رواتب الموظَّفين التَّابعين لحماس في القطاع، كما أنَّ الدَّعم الإيرانيّ لا يقتصر على الجيش فقط، بل إنَّ إيران تقوم بإمداد عائلات الشُّهداء بالأموال لتغطية معيشتها اليوميَّة، الأمر الَّذي يعزز مكانة إيران وحماس في صفوف الشَّعب الفلسطينيّ..."[1]، على حدّ وصف التَّقرير الإسرائيليّ.

الإنجازات العسكريَّة عند حماس

كشف التَّقرير النِّقاب عن أنَّه "... خلافًا للماضي، فإنَّ حماس تقوم بالتَّحضير لصناعة عسكريَّة متطوِّرة للغاية، الَّتي تعتمد على آلاف المهندسين الفلسطينيِّين، وأصحاب ألقاب الدُّكتوراه في الفيزياء والكيمياء، الَّذين يزورون إيران بشكل منظَّم، ويتلقَّون تدريبات في سبل تطوير الأسلحة من النَّاحية التِّكنولوجيَّة، وإقامة بنية تحتيَّة للصِّناعات العسكريَّة الفلسطينيَّة..."[2].

ويقول التَّقرير أيضا: "... إنَّ حركة حماس تقترب كثيرًا من المقدرة على إنتاج صواريخ مضادَّة للدَّبابات، ومنظومات متطوِّرة ستسبب لإسرائيل آلاف الخسائر في الأرواح، وهي أكثر خطورة من الصَّواريخ الموجودة اليوم، ومن قذائف الهاون الَّتي تملكها الحركة..."[3].

علق القيادي البارز في حركة حماس عبد العزيز الرَّنتيسي[4] على تنامي قوَّة حماس، وسعيها نحو تطوير قدراتها، فقال: "... نحن في صراع مع عدوّ متفوِّق علينا، بما يمتلك من أسلحة متطوِّرة، وبالتَّالي نحن نسعى إلى تطوير أسلحتنا لمواجهته..."[5]. وأضاف: "...إنّ المعركة مع العدوّ

---

[1] وكالة ميلاد الإخباريَّة، **إسرائيل قلقة من ترسانة حماس**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

[4] عبد العزيز علي عبد المجيد الحفيظ الرَّنتيسيّ (23 تشرين الأوَّل 1947 – 17 نيسان 2004)، سياسيّ فلسطينيّ، وأحد مؤسِّسي حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، كان قائد الحركة في قطاع غزَّة قبل اغتياله عام 2004، http://bit.ly/1SIICrX.

[5] التَّطوير النَّوعيّ لسلاح المقاومة الفلسطينيّة، المركز الفلسطينيّ للإعلام، http://www.palestine-info.com/arabic/hamas/glory/tatwer.htm

الصُّهيونيّ معركة طويلة، ومن واجبنا أنْ نطوِّر أسلحتنا لمواجهة هذا العدو بما نصيب منه كما يصيب منا..."[1].

3.12.3 انتقال حماس من التكتيك إلى الإستراتيجيَّة

مع الانتفاضة الأولى عام 1987م، انطلقت حركة حماس؛ لتشارك بالعمل ضمن فعاليَّات ونشاطات الانتفاضة الأولى الَّتي بدأت بالحجارة، والزُّجاجات الفارغة، والمولوتوف، والمقلاع، كوسائل تعبِّر عن رفض الاحتلال وممارساته. واستمرَّت الحالة الشَّعبيَّة في هذا الاتجاه بهذه الوسائل البدائيَّة البسيطة حتَّى أخذت حركة حماس تتَّجه نحو خيارات ذات أثر وفعل أكبر لتحقيق إنجازات ملموسة على أرض الواقع، وتحويل الصِّراع من ردَّة فعل إلى فعل مخطَّط ومنظَّم ومطَّور باستمرار، فأخذت تبتكر، وتخترع، وتصنع، وتنتج وسائل أكثر تطوُّرًا، لِتُحدِثَ تَغيُّراً نوعياً في معادلة الصِّراع القائم مع الاحتلال، وتحاول إحياء توازنات جديدة.

قامت حركة حماس بابتكار عمليَّات الطَّعن بالسَّكاكين الَّتي كان أشهرها عمليَّة عامر أبو سرحان[2]، الَّذي كان أوَّل من فجر ثورة هذا النَّوع من المواجهة، والَّذي يطلق عليه بعضهم: "مفجِّر حرب السَّكاكين"، إلى أنْ تطوَّرت إلى عمليات إطلاق نار باستخدام أسلحة وذخيرة قديمة، وذلك في التِّسعينات[3]، ثمَّ أصبحت الحاجة وإلحاح المتغيِّرات المتطوِّرة تتطلَّب الحصول على سلاح لتسليح المقاومين الَّذين بدأ عددهم يزداد يومًا بعد يوم، والَّذين كانوا لا يجدون شيئًا يتسلَّحون به إلَّا السِّلاح الأبيض، وقليل من السِّلاح القديم، والَّذي كان من أشهره "الرَّشاش الكايوستاف". وحينها تمَّ الاتِّفاق على أنْ يتولَّى عضو حماس مُحسن عبد الله شحادة – من مخيم الشَّاطئ– إنشاء أوَّل وحدة تصنيع تختصّ بتصنيع المسدَّسات، وكان هذا في عام 1992م، وكان المشرف العامّ على هذا آنذاك القائد العامّ لكتائب القسَّام محمد الضَّيف[4].

---

[1] **التَّطوير النَّوعيّ لسلاح المقاومة الفلسطينيّة**، مرجع سابق.

[2] أوَّل عمليَّة طعن بالسَّكاكين في الانتفاضة الأولى قام بها عضو من حماس هو عامر أبو سرحان الذي عُرف في أدبيات المقاومة بلقب (مفجر حرب السَّكاكين)، وقتل ثلاثة إسرائيليين في 8 تشرين الأوَّل 1990. أنظر: مجلَّة فلسطين المسلمة، تقارير3، سجل الإبداع العسكريّ لكتائب القسَّام، http://www.fm-m.com/2005/feb2005/story8.htm

[3] صناعات قسَّاميَّة: موقع كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، http://www.alqassam.ps/arabic/sinaat.php?id=16

[4] المرجع السابق.

قامت هذه الوحدة الَّتي كانت تضمّ قرابة ثمانية أفراد بتصنيع مسدَّسات "9mm"، من نوع "جولد ستار"، وتمَّ تصنيع قرابة ثلاثين مسدَّسًا، وكانت نسبة النَّجاح 50% تقريبًا، وكان هذا يعود إلى قلَّة الخبرة والإمكانيَّات، وهي بداية التَّجربة، وبعدها تمّ إيقاف المشروع، والتَّوجُّه لإنشاء مشروع لتصنيع سلاح العوزي، وذلك عام 1993م، وقد تمّ تصنيع قرابة 350 قطعة سلاح، وكانت نسبة النَّجاح من 60% إلى 70%، واستمرّ العمل في المشروع حتَّى عام 1996م، حتَّى قام يحيى عياش الملقَّب بالمهندس مع عدنان الغول بتصنيع القنابل اليدويَّة في عام 1994م[1].

واللَّافت في هذا (تصنيع الصَّاعق) الَّذي كان البداية في سلسلة تطوُّر صناعة القنابل اليدويَّة، وكان هذا في عام 1995م[2]. ومنذ اندلاع انتفاضة الأقصى 28 أيلول 2000؛ حقَّقت حماس تطوُّرًا نوعيًّا على صعيد تصنيع الأسلحة والموادّ القتاليَّة، فكان "صارخ القسَّام 1" هو باكورة التَّطوُّر التِّكنولوجيّ في ميدان صناعة صواريخ المقاومة الفلسطينيَّة الَّذي ينسب للذِّراع العسكريّ لحماس، رغم التَّشديد والملاحقات الأمنيَّة، وإغلاق المنافذ المتاحة للتَّزوُّد بالموادّ الأساسيَّة، والذخائر اللازمة لذلك. لقد سعت المقاومة الفلسطينيَّة لتعويض النَّقص الكبير في الإمكانيَّات التَّسليحيَّة عبر ابتكار وسائل بديلة تتمتَّع بقدر من الفعاليَّة، ويقول المراقبون: إنَّ عمليات الاجتياح، والتَّوغُّلات المتكرِّرة الَّتي تقوم بها قوات الاحتلال في قطاع غزَّة؛ يمثِّل فرصة سانحة لكتائب القسَّام؛ لتجريب ما توصلت إليه من صناعات جديدة، ولاختبار مدى فعاليَّة هذه الوسائل، والعمل على تطويرها باستمرار[3].

4.12.3 توظيف التِّقنيَّات الحديثة في تعزيز القوَّة

ما زالت القدرة العسكريَّة لحركة حماس تشغل بال صنَّاع القرار في إسرائيل من المستويين: السِّياسيّ، والأمني وباتت تقضّ مضاجعهم، خصوصًا أنَّ الدَّولة العبريَّة لم تتمكَّن من منع تعاظم قوَّة حماس العسكريَّة[4]، على الرَّغم من محاولات إسرائيل.

---

[1] **صناعات قسَّاميَّة:** مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] **التَّطوير النَّوعيّ لسلاح المقاومة الفلسطينيّة**، مرجع سابق.

[4] وكالة فلسطين برس، " حماس تسلَّمت شبكة اتِّصالات صينيَّة متقدِّمة جدًّا من إيران تشبه بدقَّتها وتكنولوجيَّتها المتطوِّرة شبكة حزب الله"، http://bit.ly/22FWhbe .

لقد أشارت وثيقة منسوبة لجهاز الأمن العامّ (الشَّاباك) أنَّه قبل اندلاع الثَّورة في مصر عام 2011، عملت السُّلطات هناك على كبح تهريب الوسائل القتاليَّة من خلال تنفيذ مشروعات هندسيَّة في منطقة الحدود مع القطاع، مثل مشروع الجدار الفولاذيّ الَّذي تمّ الشُّروع في إقامته تحت الأرض، غير أنَّ اهتمام مصر بات في الوقت الحالي منصبًّا على استقرار السُّلطة الجديدة، وأكَّد مسؤولون في جهاز الشَّاباك لصحيفة (يديعوت أحرونوت) أنَّ إيران تقوم بدور مركزيّ في عمليَّات تهريب الأسلحة هذه؛ من أجل تحسين القدرات القتاليَّة لدى حركتي حماس، والجهاد الإسلاميّ[1].

وفي السياق ذاته، ذكرت وكالة فلسطين برس نقلا عن تقارير ووثائق استخباراتية للشاباك: "أنَّ حماس تسلّمت شبكة اتِّصالات صينيَّة متقدِّمة جدًّا من إيران، تشبه بدقَّتها وتكنولوجيَّتها المتطوِّرة شبكة اتِّصالات حزب الله اللُّبنانيّ... وإنَّ مصادر غربيَّة وأمريكيَّة قالت: إنَّ الحديث يدور عن شبكة قيادة وسيطرة، يطلق عليها اسم (ceelg)، وهي من طراز شبكة الاتِّصالات(c2) مغلقة جدًّا من النَّاحية التِّكنولوجيَّة، وتُمكِّن المقاتلين من إجراء اتِّصالات من دون أيّ مشاكل، كما أنَّه لا يمكن اختراق المحادثات الَّتي تجري من خلالها، وقال الموقع: إنَّه تمَّت صناعة هذه الشَّبكة في الصِّين، ووفق التَّقديرات فإنَّ تعديلات وتطويرات أُدخلت عليها في إيران، كما أنَّ شبكات مماثلة تستعمل من قبل الجيش الأمريكيّ"[2].

5.12.3 حصاد كتائب القسَّام بلغة الأرقام

جاءت إحصائيَّات عرضتها قيادة القسَّام في إحدى المؤتمرات الإعلاميَّة للمكتب الإعلاميّ على صعيد عدد العمليَّات الَّتي قامت بها خلال 23عامًا؛ بيَّنت أنَّ عدد العمليَّات بأشكالها كافَّة بلغ 1115 (ألفاً ومائةً وخمس عشرة) عمليَّة رسميَّة، باستثناء عمليَّات التَّصدي

[1] وكالة فلسطين برس، "**حماس تسلَّمت شبكة اتِّصالات صينيَّة متقدِّمة جدًّا من إيران تشبه بدقَّتها وتكنولوجيَّتها المتطوِّرة شبكة حزب الله**"، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

المباشرة والمستمرّة للقوّات الإسرائيليَّة عندما تتوغَّل داخل المخيَّمات، والمدن، والقرى الفلسطينيَّة، كذلك بخلاف عمليَّات إطلاق الصَّواريخ، وقذائف الهاون[1].

وقد بلغت نسبة العمليَّات منذ بداية عام 2006 حتى نهاية عام 2010 ما نسبته 32% من مجمل العمليَّات؛ أيْ إنَّ ثلث العمليَّات خلال ثلاثة وعشرين عامًا كانت في السَّنوات الخمس الأخيرة. وقد بلغت عمليَّات الأسر24 عمليَّة، تكلَّل بعضها بالنَّجاح والاحتفاظ بالجنود، وكان آخرها عمليَّة الوهم المتبدِّد في حزيران 2006م. أمَّا بخصوص المقذوفات، فقد بلغ مجمل عدد الصَّواريخ وقذائف الهاون منذ عام 2000م حتى 2010 –لم يكن يستخدم هذا النوع من السِّلاح قبل عام 2000 – 3506 صواريخ، و7475 قذيفة هاون؛ أيْ بمجموع قدره 10981 صاروخًا وقذيفةً، أطلقتها كتائب القسَّام على مواقع إسرائيليَّة. وقد بلغت نسبة المقذوفات الصَّاروخيَّة منذ بداية عام 2006، وحتَّى نهاية 2010م ما نسبته 68% من مجموع الصَّواريخ والقذائف الكُلِّيّ.

أمَّا فيما يتعلَّق بالخسائر الَّتي لحقت الطَّرف الإسرائيليّ–حسب اعترافه– في عمليَّات القسَّام فقد بلغ عدد القتلى خلال عمليَّات القسَّام منذ ثلاثة وعشرين عامًا 1363 قتيلًا، فيما بلغ عدد الجرحى6378 جريحًا[2].

وهنا تنقل صحيفة درب العزة التي أصدرها الموقع الإعلامي لكتائب القسام ما قاله نخبة من المحللين ومنهم البروفيسور عبد السَّتَّار قاسم قوله: "... إذا نظرنا إلى الأرقام الواردة في الإحصائيَّات فمعنى ذلك أنَّ حركة حماس قلَّصت كثيرًا من الفجوات بين خسائرها وخسائر العدو؛ لأنَّ الفجوة كانت سابقًا أكبر من ذلك بكثير، فقد مرَّت علينا فترة كان يقتل فيها 100 فلسطينيّ مقابل كلّ صهيونيّ واحد، وهذه كانت نسبة عالية جدًّا، أمَّا هذه الإحصائيَّة فتظهر أنَّ الفجوة قليلة جدًّا؛ فأنْ تقدِّم كتائب القسام 1808 شهيدًا، وتتمكَّن من قتل 1363 صهيونيًّا، هذا

[1] كتائب الشهيد عز الدين القسام، نصّ وثيقة المؤتمر الصَّحفيّ لكتائب القسَّام حول حصاد 23 عامًا من مسيرتها، بيانات وبلاغات، نشر بتاريخ 2010/12/25، http://bit.ly/1Si6TIH.

[2] كتائب الشهيد عز الدين القسام، **نصّ وثيقة المؤتمر الصَّحفيّ لكتائب القسَّام حول حصاد 23 عامًا من مسيرتها** ، مرجع سابق.

يعني من النَّاحية الإحصائيَّة أنَّ حماس ناجحة جدًّا في مواجهة العدو، وأصبح لديها القدرة على إلحاق الخسائر بالعدوّ بشكل أفضل من الفصائل الأخرى، وهذا تطوُّر إيجابيّ، يعكس قدرة عالية على التَّخطيط السَّليم لدى كتائب القسام"[1].

وتنقل لنا درب العزة رأي الخبير العسكريّ صفوت الزيَّات حول مؤتمر القسام فيقول : "... يبدو من العرض الرَّائع الَّذي قُدِّم بيانيًّا في المؤتمر أنَّنا أمام مؤسَّسة إحصائيَّة جيِّدة، لديها إحصائيَّات تشمل سنوات وشهورًا وأيامًا، لديها أرقام عن شهداء، لديها أرقام عن قتلى صهاينة، ربما أبرز ما لفت انتباهي في المؤتمر هو عمليَّة التَّوازن ما بين الخطاب العسكريّ، والخطاب السِّياسيّ لحركة حماس، هذا يضعنا أمام منظَّمة شديدة الالتزام، وشديدة التَّنظيم، وتدرك أنَّ النَّسق العسكريّ هو دائمًا تابع للنَّسق السِّياسيّ..."[2].

بينما يرى المحلِّل السياسي أنيس النَّقاش (مدير مركز أمان للدراسات) نقلا عن صحيفة القسام قوله: "... ما جاء في المؤتمر عمليَّة إحصائيَّة تقييميَّة؛ لإظهار قدرات المقاومة، وفعاليَّاتها على ساحة الصِّراع مع العدوّ الصُّهيونيّ، ... ولا يأتي معزولًا عن تقارير العدوّ الأمنيَّة الَّتي صدرت عن أجهزة استخباراته العسكريَّة، فقد اطَّلعنا وسمعنا أكثر من تقييم من قبل العدوّ الصُّهيونيّ يتحدَّث عن تعاظم قدرة المقاومة في غزَّة، وعن إدخال أسلحة نوعيَّة جديدة، وعن اختبار هذه الأسلحة بشكل ناجح، وأنَّها قد تقلب موازين القوى، وتجعل أيّ اعتداء على غزَّة في المستقبل القريب مكلفًا تمامًا..."[3].

6.12.3 تجربة حماس في "صراع الأدمغة وتوازن الرُّعب"

دفعت أعمال التَّطوير المفاجئة في تقنيات المقاومة (روني دانئيل) المعلق العسكري الاسرائيلي في القناة الثَّانية في التلفاز الإسرائيليَّ إلى القول: " يبدو أنَّنا خسرنا في صراع الأدمغة في مواجهة حماس". ونقل دانئيل عن لسان قائد كبير في المخابرات العامَّة الإسرائيلية

[1] مجلة درب العزة، مؤتمر كتائب القسام بعيون المحللين، 1-2-2011، http://bit.ly/1kD9Rdg.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

قوله: " إنَّ أخطر ما في عمليَّات التَّفجير الَّتي تمَّت أنَّها تتمّ دون أنْ تكون هنـــاك حاجـــة إلـــى انتحاريِّين"[1]، حسب قوله.

1.6.12.3 من أدوات حماس ووسائلها في إدارة الصِّراع

صراع الأدمغة بين الاحتلال والمقاومة الفلسطينيَّة لم يتوقَّف، وكلَّمـــا حاولـــت قـــوَّات الاحتلال الإسرائيليّ تشديد قبضتها، يعمل المقاومون على البحث عن البديل دون كلل أو ملـــل؛ من أجل إبقاء شعلة المقاومة مستمرَّة. وسائلهم من أجل ذلك في تطوُّر مستمرّ، والبحـــث عـــن الجديد مهمَّة لا تتوقَّف، وتجارب الواقع تثبت أنَّ كلّ يوم يكون لدى المقاومين ما هو جديد، حيث ظهرت صواريخ "قسام 1"، و"قسام 2"، و"قسام 3"، وأخرى غيرها، مثل: "البنا1"، و"البنـــا 2"، و"البتار"، و"عوزي حماس"، والأسماء كثيرة وجميعها أدوات قتاليَّة مكتوب عليها: "صـــنع فـــي فلسطين"[2].

وتهدف الأسلحة كافَّة الَّتي ابتكرها المقاومون الفلسطينيون إلى كسر الطَّوق الَّذي تفرضه إسرائيل وحلفاؤها على وصول الأسلحة والموادّ إلى أيدي المقاومين؛ من خلال فرض حصـــار مشدَّد على المنافذ المختلفة، حتَّى إنَّ قوات الاحتلال الإسرائيليّ قامت بمنع إدخال معظم المـــوادّ الكيماويَّة ذات الاستخدامات المنزليَّة بحجَّة أنَّ حولها شكوكًا بإمكانيَّة قيام المقاومين باستخدامها بعد معالجتها في تصنيع الموادّ المتفجِّرة[3].

وتعدُّ صناعة الصَّواريخ –وبالأخصِّ الَّتي يطلق عليها اسم "قسَّام1"، و"قسَّام2"– من أكثر الصِّناعات العسكريَّة المحليَّة الَّتي أقلقت إسرائيل، خاصَّة وأنَّها تصل إلى داخل مواقعها، وقادرة على اختراق العمق الأمنيّ الإسرائيليّ بعيدًا عن الحواجز العسكريَّة والأسوار المنيعـــة. وإلـــى جانب ذلك ينظر الخبراء الإسرائيليُّون بقلق إلى تطوُّر قدرة المقاومة الفلســـطينيَّة، مـــن خـــلال الصَّواريخ المضادَّة للدُّروع مثل: "البنا 1"، و"البنا 2 "، و"البتار"، والتي استخدمت في صدّ أعمال

---

[1] **التَّطوير النَّوعي لسلاح المقاومة الفلسطينيَّة**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

التَّوغُّل الَّتي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلي، كما كانت لها فعاليَّتها في بعض العمليَّات العسكريَّة؛ فاستخدمها المقاومون بديلًا لقاذفات "R-P-G" الَّتي لم يكن يوجد في القطاع إلَّا قطع قليلة جدًّا منها[1] في ذلك الوقت.

2.6.12.3 الوهم المتبدِّد تفوَّق في إدارة الصِّراع

عمليَّة "الوهم المتبدِّد" –كما تسميها حماس– هي العملية الَّتي تمّ فيها أسر كتائب القسام وفصائل المقاومة للجنديّ الصُّهيونيّ "جلعاد شاليط" من قلب دبابته جنوب القطاع عام 2006؛ ووُصفت من قبل خبراء عسكريِّين بالعملية النَّوعيَّة[2].

وعلى مستوى آخر قال ياسر الزَّعاترة المحلِّل السِّياسيّ: إنَّ عجز العدوّ الصُّهيونيّ عن معرفة معلومة واحدة عن جنديه "شاليط" الأسير لدى المقاومة؛ هو تأكيد على أنَّ هذا إنجاز كبير يحسب للمقاومة...". وكما أضاف أنَّ: "... العمليَّة كانت إبداعًا، والحفاظ على الجنديّ طوال هذا الوقت وحرمان العدوّ من الوصول إلى أيَّة معلومة عنه هو إبداع كبير..."[3].

3.6.12.3 من بقعة الزَّيت إلى حجارة السِّجِّيل

في دراسة أمريكيَّة أعدَّتها الباحثة (Margaret Weiss)[4] تقول فيها:"... إنَّ كلًّا من حماس وفصائل المقاومة ستصرّ على استمرار تحسين قدرات تلك الصَّواريخ من حيث المدى، والدِّقَّة، والقدرة على الإهلاك، فقد قاموا بالفعل بعمل تحسينات مهمَّة في الإنتاج، وجودة المحرِّكات...لزيادة قوَّة الصَّواريخ المميتة..."[5]. وفي هذا الإطار أشارت الدِّراسة إلى أنَّ إسرائيل قد استثمرت بشكل مكثَّف في تطوير إمكانيَّات دفاعيَّة ضدّ هذه التَّهديدات، وهي: " القبَّة

---

[1] **التَّطوير النَّوعي لسلاح المقاومة الفلسطينيَّة**، مرجع سابق.

[2] إخوان البحيرة، 1000 يوم على أسر "شاليط"...المقاومة تنتصر، فلسطين اليوم، 31 كانون الأول 2015م، http://bit.ly/1VsNPam .

[3] المرجع السابق.

[4] Weiss Margaret: هي زميلة وباحثة في معهد واشنطن ، أنظر http://bit.ly/1R2hx7l .

[5] Weiss Margaret :"Weapon of Terror:Development and Impact of the Qassam Rocket", POLICYWATCH 1352, March 11– 2008, http://bit.ly/1Ms5vQP .

الحديديَّة "IronDome"، و"الصَّولجان السِّحري" "Magic Wand" الَّتي لا بدَّ من أنْ تكون جاهزة للعمل في عام 2020، والَّتي يتوقَّع أنْ تعترض تلك الصَّواريخ الَّتي يصل مداها إلى 70 كيلومترًا [1].

وتؤكِّد (Margaret) في دراستها أنَّ صواريخ القسَّام وغيرها من الصَّواريخ قد أحدثت بالفعل تغييرات في التَّوازن الاستراتيجيّ بين إسرائيل والفلسطينيِّين، وأنَّه على المدى الطَّويل، سيُجبر حضور هذه الصَّواريخ كلّ الأطراف على إعادة التَّفكير في ترتيبات الأمن بشأن الاتِّفاق الصُّهيونيّ الفلسطينيّ الدَّائم[2].

وهذه الدِّراسة تشير على ما يبدو إلى أنَّ حماس حينما أعلنت عن اسم عمليَّتها في نهاية عام 2008 "بقعة الزَّيت"؛ كانت تدرك هذا السِّيناريو بتوسيع هذه البقعة شيئًا فشيئًا، لتصبح صواريخها تصل إلى أكثر من ثمانين كيلومترًا في العمق الإسرائيليّ، ضمن عمليَّة "حجارة السِّجِّيل" الَّتي خاضتها في حرب الرَّابع عشر من تشرين ثاني 2012[3].

وبالرَّغم من "الحرب الجويَّة" ضدّ قطاع غزَّة على مدى ثمانية أيام، نفَّذ فيها أكثر من ألف وستمائة غارة؛ استمرَّت صواريخ المقاومة بالسُّقوط على المعسكرات والمناطق الاسرائيليَّة، واتَّسع مدى هذه الصَّواريخ ليطال مدنًا إستراتيجيَّة، بل قلب الدَّولة العبريَّة، إضافة إلى قصف أهداف في مدينة القدس، وبرغم الدَّمار الهائل ومقتل 161 فلسطينيًّا، ومئات الجرحى في غزَّة؛ واصلت المقاومة إدارة معركة الصَّواريخ وكأنَّ شيئًا لم يكن[4].

وفي سياق متَّصل، جاء في تقرير لجهاز المخابرات العامّ "الشَّاباك" حول تقديرات الجيش الإسرائيليّ لقدرة المقاومة الفلسطينيَّة، أنَّ لدى حماس قوات تتحوَّل يومًا بعد يوم إلى جيش نظاميّ بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وأن جيش حماس يضم عشرات آلاف المقاتلين المدرَّبين، في حين تقوم الحركة بالتَّحضير لصناعة عسكريَّة متطوِّرة تعتمد على مهندسين

---

[1] Weiss Margaret :**"Weapon of Terror:Development and Impact of the Qassam Rocket"**.

[2] Weiss Margaret :**"Weapon of Terror:Development and Impact of the Qassam Rocket"**.

[3] شبكة غزَّة الآن، من "بقعة الزَّيت" إلى "حجارة السِّجيل" ورسالة "القادم أعظم"، http://bit.ly/1LLNdJG.

[4] المرجع السابق.

فلسطينيين ذوي خبرة وكفاءة، وأصحاب ألقاب دُكتوراه في الكيمياء والفيزياء ممَّن يزورون إيران بشكل منظَّم، ويتلقَّون تدريبات لتطوير الأسلحة من النَّاحية التِّكنولوجيَّة، وإقامة بنى تحتيَّة للصِّناعات العسكريَّة الفلسطينيَّة[1].

كما قدَّر تقرير الشاباك أن حماس تقترب كثيرًا من إنتاج صواريخ مضادَّة للدَّبابات وافترض أنها ستكون أكثر خطورة من الَّتي تملكها الآن، ومنظومات حربيَّة متطوِّرة من شأنها أنْ تسبِّب خسائر مادية فادحة، وتهدِّد أركان الدَّولة العبريَّة[2]، وفق تقديرات الشَّاباك.

وما يفاقم الموقف بالنِّسبة "لإسرائيل"؛ التَّوسع في إدخال سلاح "فجر5"، و"أم 75" طويل المدى، محليّ الصُّنع، الَّذي يحدِّد الهدف بدقَّة، ويعني ذلك بحسابات الميدان، أنَّ خمسة ملايين "إسرائيليّ" أصبحوا في مرمى نيران هذه الصَّواريخ، أما باقي التَّجمُّعات "الإسرائيليَّة" الَّتي لم تصلها الصَّواريخ فإنَّها غارقة في الذُّعر والهلع، حسب التَّقارير العبريَّة[3].

وفي هذا الشَّأن أظهر تقرير خاص صدر عن مركز "المعلومات الاستخباريَّة للإرهاب"؛ مدى العلاقة العسكريَّة والتَّواصل بين إيران والمقاومة الفلسطينيَّة، وعلى رأسها "حماس" في قطاع غزَّة، لا سيَّما في عمليَّة "حجارة السجيل" التي وقعت عام 2012، ويبرز التَّقرير أنَّ القدرات العسكريَّة لـ "حماس" وفصائل المقاومة الَّتي ظهرت خلال "حجارة السجيل"، تمَّت بمساعدة إيرانيَّة مكثَّفة، مشيرًا إلى وجود مخازن سلاح كبيرة تحتوي على آلاف الصَّواريخ، سواء أكانت إيرانية تمّ استحداثها في القطاع أم محليَّة الصُّنع من خلال استعمال تكنولوجيا إيرانيَّة. وأضاف أنَّ هذا المخزون شمل صواريخ متوسِّطة المدى من نوع "فجر 5" الإيرانيّ، وصواريخ محليَّة الصُّنع من نوع "أم 75"، الَّتي استخدمت خلال العمليَّة، وأطلقت في شكل مكثَّف على المعسكرات والمناطق "الإسرائيليَّة"[4].

---

[1] فلسطين أون لاين، الموقع الإلكترونيّ لصحيفة فلسطين، "الشَّاباك: حماس تُعدُّ منظومة حربيَّة متطوِّرة لجيش نظاميّ"، http://felesteen.ps/details/news.

[2] المرجع السابق.

[3] شبكة غزَّة الآن، **من "بقعة الزَّيت" إلى "حجارة السِّجيل" ورسالة "القادم أعظم"**، مرجع سابق.

[4] جريدة القدس، "حماس تتدرَّب على صواريخ بعيدة المدى، واستطاعت إعادة تجديد البنية التَّحتيَّة لمنظومة صواريخها"، http://www.alquds.com/news/article/view/id/410589.

4.6.12.3 القدرات الصَّاروخيَّة في حجارة السِّجِّيل

جاء كانون الثاني عام 2012 يحمل معه تحديات جديدة لقدرات المقاومة في عمليَّة "حجارة السِّجِّيل" التي تواصل قصف الصَّواريخ الفلسطينيَّة فيها إلى أن زادت عن 2300 صاروخاً، خلال ثمانية أيام فقط، على الرَّغم من أنَّ طائرات الاستطلاع "الإسرائيليَّة" المتطوِّرة؛ كانت تقوم بعمليَّة مسح تصويريّ على مدار السَّاعة لكلّ مسطَّحات قطاع غزَّة، بينما تواصل الطَّائرات الحربيَّة طلعاتها، محوِّلة قطاع غزَّة إلى منطقة عسكريَّة مغلقة بقوَّة النَّار[1].

بدا للجيش "الاسرائيليّ" عدم جدوى أنظمة الإنذار المبكِّر، وصفَّارات التَّحذير، وإجراءات تحصين ما يُعرف باسم "غلاف غزَّة"، فالصَّواريخ تبلغ أهدافها بدرجة يبعث على القلق والخوف الشديد، موقعة إصابات وقتلى بمؤشرات متزايدة، علاوة على أنَّها تفرض حالة من انعدام الأمن العامّ، وشلّ حياة الإسرائيليين[2] الذين يقعون في دائرة الاستهداف وفق المدى الصاروخي لضربات المقاومة الفلسطينية التي تدفعهم على مدار السَّاعة للاحتماء بالملاجئ.

ولا تُقاس قدرة الصَّواريخ الفلسطينيَّة بمجرد الحصيلة المألوفة لما تلحقه من إصابات أو أضرار، على الرَّغم من أنَّها أوقعت قتلى وعشرات الجرحى ودمارًا غير مسبوق الأثر يتجاوز ذلك إلى الجانب المعنويّ في الأساس فأهداف الحرب الإسرائيليَّة بالنِّسبة للمجتمع الإسرائيليّ لم تتحقَّق طالما تواصل قصف صواريخ القسام[3].

وفي هذا السِّياق أفادت "شبكة مسار برس" الإخباريَّة أنَّ مصادر عسكريَّة رفيعة المستوى في المقاومة الفلسطينيَّة بقطاع غزَّة؛ كشفت النِّقاب لأوَّل مرَّة عن استخدام المقاومة صواريخ تحمل تقنيَّة جديدة، وصفتها بأنَّها طُعم لتفادي منظومة الصَّواريخ الاسرائيليَّة المُسماة "القبَّة الحديديَّة"، وذلك في إطار الجهود التِّقنيَّة الَّتي تبذلها المقاومة لجعل تلك المنظومة عديمة الجدوى من النَّاحية العمليَّة، وقالت المصادر الَّتي رفضت الكشف عن هويتها – بحسب ما

---

[1] شبكة غزَّة الآن، **من "بقعة الزَّيت" إلى "حجارة السِّجيل" ورسالة "القادم أعظم"**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

أوردته شبكة مسار– : إنَّ المقاومة استخدمت خلال عملية "حجارة السجيل" تقنيَّة جديدة لم تستخدمها من قبل لـ "تضليل" القبَّة الحديديَّة؛ وذلك من خلال تقنيَّة معينة تجعل صواريخ "القبَّة الحديديَّة" تنجذب إلى "صواريخ الطُّعم" الَّتي تطلقها المقاومة، وتستثني الصَّواريخ الحقيقيَّة الَّتي تحمل الرُّؤوس المتفجِّرة، والَّتي تتمكَّن من اختراق تلك المنظومة، والسُّقوط على الأهداف المحدَّدة لها[1].

أبعد من ذلك فإنَّ تأثير القصف الفلسطينيّ يشمل حالة الذُّعر الَّتي تلحق بقاطني "بقعة الزَّيت المتمدِّدة"؛ أيْ مدى صواريخ المقاومة، فكلّ إسرائيليّ في النِّطاق الواسع المستهدف؛ بات معنيًّا بالنَّظر إلى أعلى بين لحظة وأخرى، أو تحسُّس الموقف المريب على الدَّوام؛ خشية ذلك الصَّاروخ المنفجر الَّذي قد يخترق السَّقف فجأة، أو يصيب السَّيارة بلا استئذان، أو يهشِّم النَّافذة ويطيح بالجدار، هي بإيجاز ميزان رعب فرضته المقاومة الفلسطينيَّة وهو ما يعتبر تطورا مهما في تاريخ الصِّراع[2]. وتجدر الإشارة إلى أن الباحث في الشؤون الإسرائيلية الدكتور مسعود اغبارية قد تطرق لموضوع ميزان الرعب في الصراع العربي الاسرائيلي، وهو يرى أن "ميزان رعب" يتحقق في الصراع وعلى الإسرائيليين أخذ هذا بعين الاعتبار، وقال اغبارية أن هناك " ميزان رعب آخذ في التكون في الصراع، بسبب الممارسات الفلسطينية على ساحة المعركة سواء جراء الصواريخ أو العمليات الاستشهادية..."[3] يضاف إلى ذلك ما صرحت به حماس، واعترفت به إسرائيل في مرَّات عديدة؛ من أنَّ قضية تسلُّح المقاومة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة لم تعد محصورة– كما يبدو– في الأسلحة الدِّفاعيَّة والهجوميَّة، بل تعدَّاها إلى عمل استخباريّ أكثر تقدُّمًا[4].

---

[1] شبكة مسار برس، المقاومة استخدمت لأوَّل مرَّة تقنيَّة لـ "تضليل" القبَّة الحديديَّة، http://www.msar.ps/339.html.

[2] المرجع السابق.

[3] مسعود أحمد اغبارية: أكاديمي وباحث في الشؤون الاسرائيلية ، تطرق لميزان الرعب في الصراع الفلسطيني الاسرائيلي خلال محاضرة ألقاها في مؤتمر "الباحثين في علم الاجتماع في إسرائيل" في مركز بن غوريون في "سدي بوكر" جنوب مدينة بئر السبع في 16 أيار 2006.

[4] المجد: "طائرات الشَّبح القسَّاميَّة مفاجئة.. والدِّقة في الاستهداف إعجاز"، http://bit.ly/1fwDRpy.

من جهة أخرى بات من الواضح أنَّ إسرائيل على قناعة، بأنَّ حماس استكملت على المستوى العسكريّ؛ عمليَّة استخلاص الدُّروس من جولات القتال التي وقعت، بمساعدة إيران وسوريَّا وحزب الله، وأغلقت فجوات، وأصلحت نقاط خلل اكتشفت في المواجهة مع الجيش الإسرائيليّ[1].

ولعلّ أبرز ما توصَّلت له حماس من استنتاجات –وفقًا للتَّقارير الإسرائيليَّة– ذلك التَّزوُّد بالوسائل القتاليَّة، وبينها صواريخ متطوِّرة ومضادَّة للمدرَّعات أكثر دقَّة وفتكًا، وذات مدى أبعد ممَّا كان في حوزتها قبل عمليَّة "بقعة الزيت"، حيث تدَّعي التَّقارير الإسرائيليَّة أنَّ لدى حماس عشرات الصَّواريخ من نوع "فجر" الإيراني، وأنواعًا أخرى شبيهة له، ولا تسقط من توقُّعاتها أنْ تملك الحركة أيضًا صواريخ مضادَّة للطَّائرات[2].

وقد أوضحت مراكز بحث إسرائيليَّة أنَّ حالة تعاظم قوَّة حماس لا تزال جارية، وسيستغرق تطبيقها الكامل–وفقًا لتقديراتها– سنوات عدَّة، ممَّا يوسع حجم التَّهديدات الَّتي تفرضها أمام الجيش الإسرائيليّ، وأمام الإسرائيليِّين الَّذين يعيشون في النَّقب الغربيّ، وتتضمَّن ما يأتي[3]:

– قدرات متطوِّرة لتنفيذ عمليَّات "نوعيَّة"، كالتَّسلل داخل إسرائيل؛ لتنفيذ عمليَّات اختطاف.

– توسيع حجم الإطلاق الصَّاروخيّ باتِّجاه إسرائيل، وتوسيع دقَّته ومداه والقوَّة الكامنة فيه.

– توسيع التَّهديدات الموجهة بوساطة الأسلحة المضادَّة للدَّبابات على الآليات المدرَّعة، والتَّهديدات الموجَّهة ضدّ قوات المشاة التَّابعة للجيش الإسرائيليّ.

– الاهتمام أكثر بقدرة القوَّات العسكريَّة لحماس، الَّتي من المفروض أنْ تدير القتال برمَّته من مناطق مكتظَّة بالسُّكان في القطاع.

---

[1] شبكة فلسطين للحوار، استقراء صهيونيّ لطبيعة سلوك حماس العسكريّ في المواجهة المقبلة، https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=725082.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

7.12.3 المقاومة تتحدَّى تكنولوجيا العدوّ

لقد ظهر على ما يبدو امتلاك المقاومة لطائرة "شبح"، لم تنجح أجهزة المراقبة والتَّتبُّع في التقاطها عبر الرَّادارات وطائرات التَّجسُّس الَّتي تملأ سماء القطاع على مدار السَّاعة، بل إذا ما تركَّز الانتباه فإنَّنا نقدِّر أنَّ المقاومة قد خاضت "حربًا إلكترونيَّة" مكَّنتها من تحديد عدد من الأهداف، ولا يغيب هنا عن الأذهان قدرة المقاومة الفلسطينيَّة، خلال حرب "حجارة السِّجِّيل"، على استهداف الحشود العسكريَّة الإسرائيليَّة، ولاسيَّما قوات الاحتياط، بعشرات الصَّواريخ، رغم أنَّ هذه القوات كانت بعيدة بعض الشَّيء، ولا تُرى مواقعها بالعين المجرَّدة، بل يحتاج الأمر إلى آلية ما لمعرفة مكانها بالتَّحديد تمهيدًا لقصفها، وهو ما تمّ بالفعل، وبقيت الآلية طيّ الكتمان[1].

ولعلَّ المتتبِّع لبيانات المقاومة الفلسطينيَّة خلال "حجارة السِّجِّيل" على قطاع غزَّة، الَّذي بدأ في 14 من تشرين الثَّاني 2011 واستمرّ ثمانية أيام؛ لا بدّ وأنْ يلحظ قصف المقاومة للحشود العسكريَّة المحيطة بقطاع غزَّة لمرات عديدة، كما ويقتضي الأمر ملاحظة امتلاك المقاومة "دقَّة التَّصويب" خلال قصفها لأهداف عسكريَّة متحرِّكة لم تكن في أماكنها على الأرض قبل حرب غزَّة، ولاسيَّما القوات البريَّة وجيش الاحتياط، وأخرى ثابتة حسَّاسة وإستراتيجيَّة، بحسب تأكيدات الجيش الإسرائيليّ الَّذي كان يعترف ببعض هذه الأماكن الَّتي تسقط فيها الصَّواريخ، ولاسيَّما تلك الَّتي يقع فيها قتلى وجرحى، لكن السُّؤال المهمّ هنا، كيف استطاعت المقاومة في غزَّة تحديد هذه الأماكن بدقَّة، وقصفها بالصَّواريخ؟.

ولمحاولة الإجابة على هذا السُّؤال، وتقدير الموقف يجدر الانتباه إلى أنَّ هناك شيئًا ما يلفت الانتباه على نحو خاصّ في بيانات "كتائب القسَّام" على وجه التَّحديد؛حيث إنَّ المقاومة قصفت أهدافًا عسكريَّة إستراتيجيَّة، بعد أنْ حدَّدت إحداثيَّاتها الجغرافيَّة، ومن هذه المواقع: قاعدتا "حتسريم"، و"بلماخيم" الجويَّتان، وقاعة "تسيلم" البريَّة، وقاعدة التَّنصُّت العسكريَّة الَّتي يُطلق عليها اسم "قاعدة 8200"، وموقع "الكاميرا" التَّجسُّسيّ، وموقع "الاستخبارات"، وموقع الإرسال

[1] المجد: "**طائرات الشَّبح القسَّاميَّة مفاجئة.. والدِّقة في الاستهداف إعجاز**"، مرجع سابق.

في قاعدة "زيكيم"، وموقع "الرَّادار" شرق خان يونس، إضافة إلى قصف مواقع المدفعيَّة، ومختلف الحشود العسكريَّة من جنود وآليات ثقيلة، على مقربة من حدود القطاع[1].

ويؤكِّد خبراء عسكريون أنَّ قدرة المقاومة الفلسطينيَّة على تحديد أهدافها بدقَّة، خلال المعركة، وإصابتها لأهدافها المحدَّدة؛ يعطي مؤشِّرًا على قدرة المقاومة إمَّا على "اختراق صفوف العدوّ" بكوادر بشريَّة، عبر وجود "مرابطين وراصدين في مواقع متقدِّمة جدًّا"، وتواجدهم في أنفاق تحت الأرض ليس مستبعدًا، أو على اختراق شبكة الهواتف العسكريَّة للقوَّات الإسرائيليَّة، أو على اختراق موقع قيادة جيش الاحتلال الَّتي تصدر التَّعليمات لتحرُّكات الجيش، وذلك يكون ضمن "حرب إلكترونيَّة" ظهرت تداعياتها خلال الحرب وبعدها[2].

يكشف موسى أبو مرزوق، نائب رئيس المكتب السِّياسيّ لحركة "حماس"؛ النِّقاب لأوَّل مرة عن امتلاك "كتائب القسام" طائرات بدون طيار، كان لها دور في رصد عدد من الأهداف العسكريَّة الإسرائيليَّة، علاوة على ذلك؛ أكَّد أبو مرزوق تمكُّن هذه الطَّائرة من تنفيذ طلعتين جويَّتين قبل الحرب الأخيرة "حجارة السِّجِّيل"؛ حيث صوَّرت تلك "الطَّائرات القسَّاميَّة" ورصدت أهدافًا عسكريَّة إسرائيليَّة، وعادت إلى قواعدها بسلام، دون أنْ تتمكَّن التِّقنيَّة الإسرائيليَّة المتطوِّرة من رصدها أو استهدافها[3].

طائرة "الشَّبح" الَّتي تُرسم في الأذهان مباشرة، هل تلك الطَّائرة الأمريكيَّة المقاتلة الكبيرة الحجم الَّتي تحلِّق على ارتفاعات عالية، وتحوي أجهزة تقنيَّة متطوِّرة بحيث يصعب على الرَّدارات رصدها؟، إلَّا أنَّ المقاومة- وكما يبدو- قد استطاعت تطوير طائرة "شبح" لا يرصدها الرَّادار، وإلَّا لكان الاحتلال قام بإسقاطها على الفور[4].

---

[1] المجد: "**طائرات الشَّبح القسَّاميَّة مفاجئة.. والدِّقة في الاستهداف إعجاز**"، مرجع سابق.

[2] دنيا الوطن: "هل تملك المقاومة طائرات لا يرصدها الرَّادار؟"، http://bit.ly/1Sf0haF.

[3] شبكة مجال الإخباريَّة: موسى أبو مرزوق يكشف: كتائب القسَّام تمتلك طائرات بدون طيَّار، http://bit.ly/1fwGZSn.

[4] المرجع السابق.

ويؤكِّد أبو مرزوق أنَّ قدرات "كتائب القسَّام" العسكريَّة "لا تزال سليمة ... بل تسعى الكتائب لتطويرها أكثر فأكثر"[1]، وقال: "هناك الآن تجارب ناجحة لصناعة طائرات بدون طيار، وقد نجحت تجربتان قبل الحرب في تصوير عدد من الأهداف والعودة سالمة"[2]، وهناك انطباعات واقعيَّة تعزِّز هذا التَّقدير المتمثِّل بقدرة المقاومة على رصد وقصف أهداف عسكريَّة بدقَّة؛ ويتَّضح الارتباط الوثيق بعد اتِّهام الجيش الإسرائيليّ لفلسطينيي الدَّاخل (البدو) بتقديم معلومات مهمَّة للتَّنظيمات الفلسطينيَّة أثناء العدوان على قطاع غزَّة، "والَّتي كانت توجِّه الصَّواريخ لتصيب معسكرات الجيش الإسرائيليّ، ومراكز تجمُّع الجيش في محيط قطاع غزَّة"[3].

13.3 تطوُّر إعلام حماس، وفاعليَّته في إدارة الصِّراع

مع بداية انتفاضة الحجارة عام 1987؛ انطلق إعلام حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس بإمكانيات بسيطة وخبرة ضئيلة، يغزو جدران وشوارع وأزقة مخيمات ومدن وقرى فلسطين، وكان له دور فعَّال في قيادة وتوجيه فعاليَّات الانتفاضة مع باقي الفصائل الفلسطينيَّة الأخرى، رغم قلَّة الإمكانيَّات المتاحة آنذاك[4]. وقد خرج أوَّل بيان لحركة حماس في 15 كانون الأوَّل عام 1987م، وأعلن عن "حماس" حركة مقاومة إسلاميَّة تتبنَّى الجهاد المسلَّح بجناحها كتائب القسَّام لتحرير فلسطين[5].

انطلق إعلام حماس من المساجد والمخيَّمات الفلسطينيَّة الَّتي كانت ممزقة بمعسكرات الجيش الإسرائيليّ، ودوريات الاحتلال تجوب شوارعها ساعة بعد ساعة، جربت حماس الكتابة على الجدران بدون خبرات سابقة، وأصبحت هذه الكتابة من نشاطاتها، وتميزت شعاراتها بالآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة والاقتباس من الأناشيد والأشعار الإسلاميَّة، من الجدير بالذكر

---

[1] شبكة مجال الإخباريَّة: **موسى أبو مرزوق يكشف: كتائب القسَّام تمتلك طائرات بدون طيَّار**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

[4] الرِّسالة نت، إعلام حماس من الجدران إلى الفضاء، http://alresalah.ps/ar/index.php?ajax=preview&id=64132.

[5] كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، أخبار وتقارير، إعلام القسَّام واكب التَّطوُّر والتَّقدُّم التِّكنولوجيّ، http://bit.ly/1eKHuGX.

أنَّ الكتابة على الجدران كانت أمراً صعباً على المجموعات الَّتي تخرج إلى تلك المهمَّة ومجازفة محفوفة بالمخاطر؛ بسبب العملاء المتتبعين حركة الشَّارع الفلسطينيّ، إضافة الى الدَّوريات المنتشرة باستمرار لجيش الاحتلال. وبعدها تطوَّر التجربة الإعلامية لتنتقل من الجدران إلى الكتابة وصياغة البيانات على الآلة الكاتبة (الطَّابعة اليدويَّة)، وكان يتمّ أخذ النسخة المعتمدة، ثم يتمّ تصويرها إلى مجموعة نسخ، وأوَّل مجلَّة اجتماعيَّة سياسيَّة أسبوعيَّة صدرت بجهود شباب المساجد وكانت كتابة يدويَّة، وكانت تعرف بمجلة حائط المسجد[1].

ولم تقف حماس للحد الذي وصلت إليه، بل واكبت حركة التَّطوُّر والتَّقدُّم التِّكنولوجيّ وقامت بتأسيس أوَّل موقع للقسَّام على الشَّبكة العنكبوتيَّة وهو أول موقع تم تسميته بـ"المكتب الإعلاميّ"[2] على الشبكة العنكبوتية؛ حيث كانت البداية عام 2001، وعمل المكتب منذ تأسيسه على بثّ صورة المقاومة الفلسطينيَّة، وتصدِّيها للاحتلال عبر جهاز إعلاميّ متكامل، وإبراز دور المقاومة في حسم الصِّراع مع "إسرائيل"، وكان من أبرز مهامه إصدار البيانات، والبلاغات العسكريَّة، وعقد المؤتمرات الصَّحفيَّة[3].

لقد أسَّست حماس موقع القسَّام على الشَّبكة العنكبوتيَّة في منتصف عام 2001، وقادتها هذه النَّجاحات الفنيَّة في المستوى الإعلاميّ إلى إنشاء إذاعة الأقصى عام 2003؛ لإيصال صوتها ورسالتها إلى أكبر شريحة من النَّاس، ولم تقف حماس عند هذه النُّقطة، حيث أطلقت عام 2004 مسمَّى المكتب الإعلاميّ على وحدة الإعلام التَّابعة لكتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام[4]، كذلك قامت كتائب القسَّام بإطلاق موقعها النَّاطق باللُّغة الإنجليزيَّة في العام نفسه؛ وذلك لنقل الحقيقة كما هي، وبصورة مباشرة إلى القارئ الغربيّ[5]. وشُكِّلت مجموعة من الشَّباب المختصِّين المختصِّين لتشرف على هذه المواقع، بإشراف من المكتب الإعلاميّ لكتائب القسَّام الَّذي حاز

---

[1] الرِّسالة نت، **إعلام حماس من الجدران إلى الفضاء**، مرجع سابق.

[2] كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، أخبار وتقارير، **إعلام القسَّام واكب التَّطوُّر والتَّقدُّم التِّكنولوجيّ**، مرجع سابق.

[3] المرجع السابق.

[4] كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، أخبار وتقارير، في الذِّكرى السَّادسة لتأسيسه...إعلام القسَّام يتفوَّق دوليًّا، http://bit.ly/1LWJhG9.

[5] كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، **أخبار وتقارير، إعلام القسَّام واكب التَّطوُّر والتَّقدُّم التِّكنولوجيّ**، مرجع سابق.

على جائزة التَّفوُّق الدَّوليَّة عام 2010 في مهرجان حديث المقاومة الدَّوليّ الثَّاني الَّذي أقيم في لبنان[1].

14.3 فرص حماس في ظلّ تغير موازين القوى

إنَّ ميزان القوى الجديد في الشَّرق الأوسط الَّذي بدأ يتشكَّل منذ اندلاع ثورات الحراك العربيّ عام 2011؛ لم يستقرّ، ولكنَّه يؤثِّر في مواقف اللاعبين، والقوى الموجودة على الأرض؛ فنجد أنَّ قدرة إسرائيل على فرض شروطها للتَّهدئة قد تراجعت مع صعود حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس في غزَّة، لكنَّ التِّكنولوجيا تعوِّض اسرائيل عن ذلك بالحدّ من قدرة حماس على إنزال خسائر بشريَّة بإسرائيل؛ فقد تغيرت البيئة الإستراتيجيَّة بين إسرائيل وحماس، بعد حرب حجارة السِّجِّيل في صيف 2012.

جاءت ثورات الحراك العربيّ بالإخوان المسلمين إلى السُّلطة في مصر الَّتي تسيطر على الجزء الوحيد من حدود غزَّة الَّذي لا تسيطر عليه إسرائيل، وفي تونس مطيحة بحاكمين يدعمهما الغرب. وقال يزيد صايغ الباحث في مركز كارنيجي للشَّرق الأوسط في بيروت: "...خلصت حماس إلى أنَّ الرَّبيع العربيّ يعطيها عدَّة مزايا وفرص، وهي تحاول أنْ تستغلّ ذلك في تغيير قواعد اللُّعبة مع إسرائيل، وتغيير العلاقة مع مصر..."[2].

وأضاف: إنَّ تغيُّر ميزان القوى الإقليميّ يجعل الغزو البريّ لغزَّة أقلّ احتمالًا هذه المرة، وقد يمكِّن حماس من انتزاع تخفيف للحصار الاقتصاديّ الإسرائيليّ لقطاع غزَّة شريطة ألَّا تبالغ في تقدير ما في يديها من أوراق، فحماس تمتلك صواريخ أطول مدى، مقارنة بما كان لديها عام 2008، بعضها قدَّمته إيران، وتمّ تهريبه إلى غزَّة من أنفاق مع مصر. وأطلقت حفنة منها على تل أبيب والقدس، وهما مركزان سكانيَّان لهما حساسيَّة سياسيَّة خاصَّة[3].

---

[1] كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، أخبار وتقارير، إعلام القسَّام يكسر القيود ويحصد جائزة دوليَّة، http://bit.ly/1OH6hIm.

[2] رويترز، تغير ميزان القوى يقيِّد قدرة إسرائيل على المناورة في غزَّة، http://bit.ly/1HkBFrM.

[3] المرجع السابق.

يقول خالد مشعل رئيس المكتب السِّياسيّ لحماس: "... حماس حركة مقاومة وطنيَّة، لكنَّنا نعتمد المقاربة الفكريَّة الإسلاميَّة؛ لأنَّنا جزء من المنطقة الإسلاميَّة والعربيَّة، ومعركتنا هي ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ فحسب، ولا ننفِّذ أيّ عمليَّات عسكريَّة في مكان آخر في العالم، وليس لدينا في العالم أعداء سوى إسرائيل، وقد تكون السِّياسات الأميركيَّة خاطئة في نظرنا، لكنَّنا لسنا على خلاف سوى مع السِّياسة الإسرائيليَّة، بمعنى آخر، لا نمارس المقاومة كخيار مفتوح سوى في أراضينا وضدّ إسرائيل، ولا نشنّ أيّ حرب دينيَّة، ولسنا ضدَّ اليهود أو المسيحيِّين، ولا نهاجم ديانتيهما في بياناتنا، ونحن نقاوم فحسب من يحتلّ أراضينا ويهاجمنا، وأعني بذلك هذه المنطقة لا سيَّما فلسطين؛ لأنَّها مهد الأنبياء والأديان، ولأنَّها عاشت في تسامح مطلق مع الجميع على مرّ السَّنوات، هذا هو باختصار موقف حركة حماس الاستراتيجيّ الآن..."[1].

أشار مشعل إلى أهميَّة العمق الإسلاميّ، وأهميّة هذا البعد في تحشيد القوى وتجنيدها؛ لمواجهة التَّحدِّيات، وما يفرضه واقع الصِّراع مع الاحتلال. وفي الوقت ذاته تنبَّه مشعل إلى خطر الانزلاق والتَّورُّط في ساحات صراع خارج فلسطين؛ فأشار إلى سياسة حركته الواضحة في هذا الخصوص مؤكِّدًا استبعاد السَّاحات الخارجيَّة من دائرة الصِّراع المسلَّح في حسابات حماس، كما عبَّر عن احترام الأديان السَّماويَّة عادًّا أنَّ الصِّراع –بالنِّسبة لحماس– خارج أيّ اعتبارات معادية للدِّيانة اليهوديَّة، وأنَّ العداء مع المشروع الصُّهيونيّ المتغوِّل ذي الأهداف التَّدميريَّة الَّتي تهدِّد أمن العالم وسلامه. أخيرًا، فإنَّ حماس–على لسان قادتها– ترحِّب بانسحاب إسرائيل إلى حدود عام 1967، سلميًّا، من دون مواجهات دامية[2]، وقد يتحقَّق هذا المسار إنْ تدخَّلت الدول العظمى بقوَّة، لإجبار إسرائيل على الإنسحاب، ولكن لا ضمان لسلوك مثل هذا المسار.

---

[1] مهدي، منار: الحوار المتمدن، إستراتيجية حركة حماس، http://bit.ly/1P9kLQ .

[2] فارس، عبد القادر: صحيفة عكاظ، حماس تعرض هدنة نصف قرن وتقبل دولة داخل حدود 67، http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20060615/Con20060615525411.htm

الفصل الرابع

مؤشِّرات التَّنمية السِّياسيَّة في ظلِّ حكم حماس

الفصل الرابع

مؤشِّرات التَّنمية السِّياسيَّة في ظلِّ حكم حماس

1.4 الشَّراكة السِّياسيَّة

يعد موضوع الشراكة السياسية أحد أهم وأبرز مؤشرات التنمية السياسية ويدل على مستوى الوعي الجمعي ونضج النخبة السياسية التي تقود وتُسَيِّر الصالح العام وترعى المصلحة القومية العليا للدولة أو الوحدة السياسية التي تديرها، كما أن موضوع الشراكة يعكس صورة المجتمع من حيث قوة تلاحمه وتماسك جبهته الداخلية وهو جانب مهم في العملية التنموية التي من الصعب أن تحقق أهدافها دون حاضنة وبيئة تتفاعل معها وتنهض بمتطلباتها.

لعبت حركة حماس دوراً محوريا هاماً في العمليَّة السِّياسيَّة، بعدما حقَّقت فوزًا في االانتخابات البرلمانية التي أجريت عام 2006، ما أهَّلها لتشكيل أوَّلُ حكومة فلسطينية بقيادتها، فجاءت مواقفها السِّياسيَّة المعلنة –في بعض القضايا– منسجمة مع مبادئ ميثاقها والَّذي يعبِّر عن خطِّها الفكريّ وأيديولوجيَّتها الَّتي تطرحها وتؤمن بها حيث جاء في ميثاقها التأسيسي "... وتُطَمئِنُ [حماس] كلّ الاتِّجاهات الوطنيَّة العاملة على السَّاحة الفلسطينيَّة – من أجل تحرير فلسطين – بأنَّها [حماس] لها سند وعون، ولن تكون إلَّا كذلك، قولًا وعملًا حاضرًا ومستقبلًا، تجمع ولا تفرِّق، تصون ولا تبدِّد، توحِّد ولا تجزِّئ، تثمِّن كلّ كلمة طيِّبة وجهد مخلص، ومساع حميدة، تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبيَّة، ولا تصغي للشَّائعات والأقوال المغرضة، مع إدراكها لحق الدِّفاع عن النَّفس..."[1].

يتبين من خلال النص السابق حرص حماس على نسج علاقة تشاركية مع مختلف ألوان الطيف السياسي الفلسطيني على قاعدة مقاومة الاحتلال وهي القاعدة التي تعتبر قاسما مشتركا بين مكونات الحركة الوطنية الفلسطينية، ومن هنا ينظر يوسف رزقة إلى تحالف حماس مع غيرها من الفصائل الفلسطينيَّة؛ على أنَّه دليل على مرونة حماس في فهمها للوطنيَّة؛ حيث لا

[1] **ميثاق حماس:** المادَّة 25.

تجد تعارضًا بين الوطنيَّة والإسلاميَّة في علاقاتها العمليَّة مع الآخرين، ومن الأمثلة الَّتي يدلِّل بها على ذلك: تجربة حماس في تحالف الفصائل العشرة قبل أنْ تكون في السُّلطة؛ حيث تشكَّلت الجذور الأولى للتَّحالف في تشرين الأوَّل عام 1991، وقد ضمّ الحلف فصائل علمانيَّة ويساريَّة،إضافة إلى الحزب الشُّيوعيّ، ويرجع هذا في تقديره إلى امتزاج الوطنيَّة بالإسلاميَّة، وبفكرة الدِّفاع المشترك والتَّحرير[1].

وفي السِّياق نفسه قال إسماعيل هنيَّة – رئيس الوزراء المكلَّف– في مقابلة معه على قناة الجزيرة إبان فوز حركته في انتخابات 2006: "...نحن حينما رفعنا شعار الشَّراكة السِّياسيَّة لا يمكن أنْ نتناقض مع أنفسنا، فنحن جادُّون في مشاركة الإخوة بحركة فتح وبقية القوى في هذه الحكومة، حركة فتح حركة لها وزنها على السَّاحة الفلسطينيَّة، وهي مكوِّن أساسيّ للسُّلطة الفلسطينيَّة..."[2].

وفي معرض إجابته على سؤال يتعلَّق بنقاط الخلاف الَّتي ما زالت قائمة بين برنامج حماس، وبرنامج حركة فتح الَّتي تَمَنَّعَت الأخيرة من المشاركة في حكومة حماس، قال هنيَّة: "... في هذا الجانب أعتقد أنه هذه مساحة اتِّفاق، المساحة السِّياسيَّة هي مساحة التَّباين، الإخوان بحركة فتح طبعًا لهم برنامجهم اللي يمكن عبَّر عنه الرَّئيس أبو مازن من خلال خطابه في المجلس التَّشريعيّ، اللي مبني على المفاوضات، مبنيّ على الاتِّفاقات، مبنيّ على التزامات إقليميَّة ودوليَّة ... نحن نقول بإنو الحركة، وهي تشكِّل الحكومة لن تتحوَّل إلى برنامج حركة فتح، وكذلك فتح لن تتحوَّل إلى برنامج حركة حماس، نحن نبحث عن قاسم مشترك يشكِّل صيغة التَّوافق الوطنيّ في الموضوع السِّياسيّ حتَّى نشكِّل غطاء سياسي لهذه الحكومة، من خلال برنامجها السِّياسيّ الَّذي ستعمل عليه، هذه هي نقطة التَّباين بيننا وبين الأخوة بحركة فتح، إحنا قدَّمنا صيغة وبأمل إنْ شاء الله إنو هذه الصِّيغة تحظى بالقبول، ويعني نقلع بهذه الحكومة

[1] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص12.

[2] قناة الجزيرة: "إسماعيل هنيَّة وتشكيل الحكومة المقبلة"، مقابلة صحفية، الخميس، 16آذار2006، للاطِّلاع http://bit.ly/1deCM3D.

الفلسطينيَّة لأنَّ شكل حكومة تشارك فيها حماس وفتح وبقية القوى على السَّاحة الفلسطينيَّة ستكون رسالة طيِّبة وعظيمة للشَّعب الفلسطينيّ ولكلّ الأطراف ذات الصِّلة..."[1].

نقرأ في هذا النص كيفية فهم وتعامل حماس مع مفهوم الوطنيَّة على مستوى الدَّاخل الفلسطينيّ والتَّحالفات حيث تتعامل حماس على قاعدة سياسيَّة واضحة، قائمة على تجميع الأطراف الفلسطينيَّة على قاعدة حماية الحقوق الفلسطينيَّة والتَّحرير. كما تؤكِّد حماس على لسان قادتها في كثير من المواقف والمناسبات؛ أنَّ الوطن يتَّسع للجميع بغضّ النَّظر عن الاختلافات الأيديولوجيَّة والمواقف السِّياسيَّة المختلفة، وهي ترفض الزَّعم القائل بأنَّ مفهومها الإسلاميّ للوطنيَّة يمكن أنْ يمزِّق الشَّعب، ويبعث على التَّنازع الطَّائفيّ[2]، وقد جاء في ميثاقها على أنَّه "في ظلّ الإسلام يمكن أنْ يتعايش أتباع الدِّيانات الثَّلاث: الإسلام، والمسيحيَّة، واليهوديَّة في أمن وأمان"[3].

إنَّ تجربة حماس–بعد فوزها في الانتخابات، ودعوة الفصائل وعلى رأسها حركة فتح للمشاركة في تشكيل الحكومة– تدلِّل على صدقيَّة حماس في توجهها الوحدويّ، وإيمانها بمبدأ الشَّراكة السِّياسيَّة، على قاعدة القواسم المشتركة الَّتي تنادي بها. لقد عرضت على الفصائل الفلسطينيَّة العلمانيَّة واليساريَّة والإسلاميَّة مشاركتها في الحكومة وتحمُّل المسؤوليَّة، ولم تقف العلمانيَّة عقبة أمام عرضها، ولم تقف الإسلاميَّة عقبة أمام الآخرين، حيث جاء رفضهم المشاركة لأسباب سياسيَّة كما يقول يوسف رزقة[4].

مراجعة برنامج كتلة التَّغيير والإصلاح (كتلة حماس البرلمانيَّة)؛ يشير إلى منح اهتمام واضح لمفهوم الوطنيَّة حسب تصوُّر حماس، حيث ورد في برنامجها الانتخابيّ "أنَّ الشَّعب

---

[1] قناة الجزيرة: "**إسماعيل هنيَّة وتشكيل الحكومة المقبلة**"، مرجع سابق.

[2] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص12.

[3] **ميثاق حماس**، المادَّة 6.

[4] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص16.

الفلسطينيّ وحدة واحدة، في كافة أماكن تواجده، وهو جـزء لا يتجـزّأ مـن الأمَّـة العربيَّـة والإسلاميَّة"[1].

وقد ذكر خالد مشعل في إحدى الوثائق –الَّتي توضِّح التَّطبيق العمليّ لمواقف ومفـاهيم حماس، ومنها الشَّراكة السِّياسيَّة– أنَّ: "بناء المؤسَّسات والمرجعيَّات الوطنيَّة الفلسطينيَّة ينبغي أنْ يكون دائمًا على أسس ديمقراطيّة، وفي مقدِّمتها الانتخابات الحرَّة النَّزيهة، متكافئـة الفـرص. يضاف إليها مبدأ الشَّراكة والعمل الائتلافيّ، فلا يصحّ أنْ نكتفي بالانتخابـات ... إنَّ الشَّـراكة يجب أنْ تكون في كلّ المراحل، بصرف النَّظر عن نسب النَّجاح هنا أوهناك..."[2]. وصرَّح أحمد يوسف أنَّ "حماس أصبحت الآن معنيَّة جدًّا بالقيام بخطوات إلى الوراء لتتقـدَّم فـي الشَّـراكة السِّياسيَّة"، وأنَّها مستعدَّة لذلك دون أنْ تكون متخوِّفة من أيّ نتائج، طالمـا أنَّهـا تسـتند إلـى شرعيَّتها، وأنَّ "لديها إمكانات القوَّة على الأرض بما فيها الأمنيَّة والعسكريَّة، ويمكنها الحفـاظ على شرعيَّتها وقدرتها حتَّى في تحديد الرَّئيس القادم وأعضاء البرلمان، مستفيدة مـن تجربـة حزب الله بلبنان"[3].

حماس بهذا التَّصوُّر تعطي للوطنيَّة بعدًا يتجاوز حدود المكان الدَّاخليّ إلى أبعـد مـدى خارجيّ، دون أنْ يقف البعد المكانيّ حائلًا، ودون التَّفريط في جزء من الوطن ببعده الـدَّاخليّ، أو التَّنازل عنه، ومفهوم الوطن في مقاربة حماس يحافظ على مكانة المواطن (الإنسان) في أيّ مكان يوجد فيه هذا المواطن، ويضيف للنَّسيج الوطنيّ سياجًا عربيًّا حاميًا، وبعدًا إسلاميًّا أعمق، بوصفها (أي الوطنيَّة) جزءًا من الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة. وبهذا التَّصوُّر، وهذه الرُّؤيـة تقـدِّم حماس مقاربة واقعيَّة منسجمة نسبياً مع واقعها الذي تعيشه، ولا تتناقض مع شراكتها الدَّاخليَّـة، ووحدتها الوطنيَّة الَّتي تنادي بها مع القوى الوطنيَّة والاسلاميَّة الموجودة على السَّاحة الفلسطينيَّة.

---

[1] كتلة التَّغيير والإصلاح، البرنامج الانتخابيّ لعام 2006، البند3.http://bit.ly/1LBb3WJ .

[2] مشعل، خالد: الفكر السِّياسيّ لحركة حماس في ظلّ آخر التَّطـوُّرات، مركـز الزَّيتونـة للدِّراسـات والاستشـارات، http://bit.ly/1R90zEx .

[3] صحيفة الحياة اللَّندنيَّة: "براغماتيَّة حماس: التَّخلِّي عن حكم غزَّة للمشاركة في النِّظام السِّياسيّ الفلسـطينيّ"، الخمـيس 8 أيَّار 2014، http://bit.ly/1H0UaXq

2.4 التَّعدُّديَّة السِّياسيَّة

إن مبدأ التعددية السياسية من المبادئ التي تضاف لمؤشرات العملية التنموية كمبدأ أساسي وهام، ولا يمكن أن تكون هناك شراكة حقيقية دون تعددية تعكس طبيعة وحقيقة تلك الشراكة فهما دعامتان وركنان من أركان التنمية السياسية، ولأهمية هذا الركن ودوره الفاعل في الحياة السياسية وفيما يتعلَّق بمسألة التَّعدُّديَّة بشكل خاص؛ نجد في ميثاق حماس مؤشرات لقبول التَّعدُّديَّة الحزبيَّة والفصائليَّة بشقَّيها: الوطنيّ، والإسلاميّ وهو ما يعكس موقف حماس الأيدولوجي الذي تعبر عنه بالمواقف السياسية وهنا تظهر العلاقة الجدلية بين السياسي والديني وأيهما يُطوِّع في خدمة الآخر. فقد ورد في ميثاق حماس فيما يتعلَّق بالفصائل الوطنيَّة "الحركات الوطنيَّة على السَّاحة الفلسطينيَّة تبادلها –أيْ حماس– الاحترام، وتقدِّر ظروفها، والعوامل المحيطة بها، والمؤثِّرة فيها، وتشدّ على يدها، مادامت لا تعطي ولاءها للشَّرق الشُّيوعيّ أو الغرب الصَّليبيّ من أجل تحرير فلسطين"[1].

وتطرَّق الميثاق كذلك لفصائل العمل الإسلاميّ من وجهة نظر حماس، فجاء فيه: "تنظر حركة المقاومة الإسلاميَّة إلى الحركات الإسلاميَّة الأخرى نظرة احترام وتقدير، فهي إنْ اختلفت معها في جانب أو تصوُّر، اتَّفقت معها في جوانب وتصوُّرات، وتنظر إلى تلك الحركات، إنْ توافرت النَّوايا السَّليمة والإخلاص بأنَّها تدرج في باب الاجتهاد..."[2].

في هذين النَّصين تغلب المثاليَّة على الواقعيَّة، ونجد البعد الأخلاقيّ محلِّقًا، بينما في الممارسة نجد أنَّ الواقع جعل حماس تطلق أحيانًا تعبيرات توافقية تتلائم والمقاربات الأخلاقيَّة في ميثاقها؛ فميثاق حماس هو تعبير عن موقف الحركة ممَّا هو كائن وموجود في الواقع، وللتَّوضيح فإنَّ أحمد ياسين ليس لديه مشكلة في تقبُّل فوز الحزب الشُّيوعيّ بالسُّلطة في إطار انتخابات حرَّة تعبِّر عن خيار الأمَّة؛ وفي هذا الخصوص يقول أحمد ياسين: "أنا أريد دولة ديمقراطيَّة متعدِّدة الأحزاب، والسُّلطة لمن يفوز في الانتخابات... حتَّى لو فاز الحزب الشُّيوعيّ

[1] **ميثاق حماس**، المادَّة 24.

[2] **ميثاق حماس**، المادَّة 23–24.

فسأحترم رغبة الشَّعب الفلسطينيّ"[1]. ويقول في موضع آخر عن العلاقة مع الفصائل: "...الخلافات الموجودة حول وجهات نظر سياسيَّة: أوسلو، ومسار أوسلو، ولكن بالنِّسبة لنا كفصائل مقاومة مجاهدة لا توجد بيننا خلافات أو صراعات"[2].

الحالة الخاصَّة الَّتي تميِّز السَّاحة الفلسطينيَّة عن غيرها، جعلت فصائل العمل الوطنيّ والإسلاميّ تتَّجه إلى العمل بسرِّيَّة بعيدًا عن أنظار الاحتلال وأعوانه. فالمقاومة كي تحافظ على نفسها، وتنجح في أدائها، وتحقق أهدافها يجب أنْ تتميَّز بقدر كافٍ من السِّرِّيَّة كي لا تنكشف أمام أعدائها، وهذا على عكس الحياة الحزبيَّة الَّتي تنمو وتمارس دورها علانيَّة، وفي ظلّ الاستقرار. وهذان العاملان تكاد تفتقرهما السَّاحة الفلسطينيَّة، وهما: عامل حريَّة العمل بعلانيَّة، وعامل الاستقرار. ومن ثمَّ عرَّفت حماس نفسها بأنَّها حركة مقاومة، وليست حزبًا سياسيًّا؛ لأنَّه من الصَّعب على ما يبدو أنْ تنجح الأحزاب السِّياسيَّة في العمل في بيئة حركات وفصائل مقاومة تستهدف التَّحرير، ومن الصَّعب أيضًا أنْ تتنازل حركات المقاومة عن مكانتها، ودورها لأحزاب سياسيَّة[3].

وعلى ضوء اتِّفاق المصالحة الأخير بين فتح وحماس بتاريخ 23 نيسان 2014 في مخيم الشَّاطئ بغزة، أبدت حماس رغبتها في تحقيق خطوات نحو إنهاء الانقسام، وخلافًا لاتِّفاقات المصالحة السَّابقة، لم تتحفَّظ حماس على تشكيلة حكومة المستقلِّين الانتقاليَّة حسب ما نصّ عليه الاتِّفاق، ولا على إعلان عبَّاس مواصلة سياسته، وهي خطوة تدلِّل على أهميَّة الحوار والوحدة والشَّراكة الوطنيَّة في تطبيقات حماس[4].

---

[1] ابن يوسف، أحمد: **أحمد ياسين الظَّاهرة المعجزة وأسطورة التَّحدِّي**، عَمَّان، دار الفرقان، ط2، 1990م، ص 116 و118. أنظر أيضًا: صحيفة النَّهار المقدسيَّة، **مقابلة مع الشَّيخ أحمد ياسين**، بتاريخ 30 نيسان1989م.

[2] منصور، أحمد: **أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة**، سلسلة كتاب شاهد على العصر،ج2، بيروت: الدَّار العربيَّة للعلوم، ودار ابن حزم، 2003، ص249 – 250.

[3] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص31.

[4] صحيفة الحياة اللَّندنيَّة: "**براغماتيَّة حماس: التَّخلِّي عن حكم غزَّة للمشاركة في النِّظام السِّياسيّ الفلسطينيّ**"، مرجع سابق.

من خلال تتبُّع محطَّات التَّجربة العمليَّة لحماس، والنَّظر فيها؛ نجد أنَّها شاركت في حلف الفصائل العشرة في مطلع التِّسعينات، وأدارت علاقاتها وخلافاتها مع الفصائل بشكل سلميّ، وبعد فوزها بالانتخابات سنة 2006 شكَّلت حكومتها، وعرضت المشاركة فيها على الفصائل الفلسطينيَّة كافَّة، بما فيها الحزب الشُّيوعيّ الفلسطينيّ[1].

وما زالت حماس تدعو –في مناسبات مختلفة– إلى تشكيل حكومة ائتلاف وطنيّ موسَّعة، فالقضية الفلسطينيَّة مسؤوليَّة، وثقل أعبائها لا يستطيع فصيل واحد أنْ يتحمَّلها. وبناءً على ما تقدم نرى في تلك المواقف والوقائع دلائل تؤشر على أنَّ حماس تنادي بالتَّعدُّديَّة وتقبل بها، وتؤمن بالحوار الوطنيّ وتدعو إليه.

3.4 قضية الحرِّيَّات وحقوق الإنسان في تجربة حماس 2006–2014

1.3.4 الحرِّيَّات وحقوق الإنسان في أدبيَّات حماس

رؤية حركة حماس لحقوق الإنسان وحرِّيَّاته مستمدَّة من نظرة الفكر الإسلاميّ المعاصر، وهي نظرة تقوم على أمرين: أوَّلهما تقبُّل المبادئ العالميَّة والمواثيق الدَّوليَّة لحقوق الإنسان وحرِّيَّاته، وهي مبادئ تتَّفق في جملتها مع ما قرَّرته الشَّريعة الإسلاميَّة، والآخر أنَّ ممارسة الإنسان لحقوقه وحرِّيَّاته لها ضوابط محدَّدة في الشَّريعة والقوانين، وعلى المستفيدين من أفراد، وجماعات، وسلطات الالتزام بهذه الضَّوابط[2].

إنَّ قضيَّة حقوق الإنسان والتَّعامل معها، من خلال دستور الدَّولة وتشريعاتها، أو في المعاهدات الدَّوليَّة والإقليميَّة؛ لن يتحقَّق لها ما هو مطلوب من الاحترام والفاعليَّة إلا بوجود ضمانات فاعلة تعمل على صيانتها، والضَّمانات هنا تعني: الوسائل والأساليب المتنوعِّة الَّتي يمكن بوساطتها صيانة الحقوق والحرِّيَّات من أيّ مساس بها[3].

---

[1] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص33.

[2] المرجع السابق، ص37.

[3] المرجع السابق، ص34.

إنَّ مفهوم الحرِّيَّة السِّياسيَّة يعدُّ مصطلحًا مرادفًا للدِّيمقراطيَّة باعتبار الدِّيمقراطيّة تقنيَّات ووسائل؛ تهدف الى تنظيم التَّعايش السِّلميّ بين السُّلطة والحريَّة في إطار الدَّولة، هذا من جهة، أمَّا من جهة ثانية، فإنَّ مبدأ سيادة الشَّعب هو المظهر المباشر لممارسة الحقوق والحرِّيَّات السِّياسيَّة، والَّذي هو الصُّورة الأسمى للممارسة الدِّيمقراطيَّة. ومن أجل تحقيق تنمية سياسيَّة في أيّ نظام؛ يجب أنْ تخضع سلطة حكمه للقانون، عن طريق الضَّمانات الَّتي تكفل الحقوق والحرِّيَّات العامَّة، والَّتي هي في جوهرها عبارة عن مبادئ قانونيَّة تضمن انصياع السُّلطة لمطالب الحرِّيَّة[1].

مبدأ حقوق الإنسان وحرِّيَّاته من أهمّ الأسس والمبادئ الَّتي تقوم عليها فكرة الدِّيمقراطيّة، وتظهر في هذا الصَّدد علاقة جليَّة تربط بين مبدأ الدِّيمقراطيّة، ومبدأ الشُّورى في الفكر الإسلاميّ الحديث، الَّذي حاز على اتِّفاق مجموع كبار المفكِّرين المسلمين المعاصرين[2].

كذلك نجد انسجامًا وتقاربًا بين الإعلان الأمميّ العالميّ لحقوق الإنسان الصَّادر عن الأمم المتَّحدة، وما تضمَّنه البيان العالميّ لحقوق الإنسان في الإسلام[3].

وتنظر حماس إلى حقوق الإنسان وحرِّيَّاته على أنَّها مبادئ وقيم، على النَّاس جميعهم احترامها: سلطة سياسيَّة، ومجتمع، وأفراد. وهنا يؤكد القيادي في حماس جمال منصور[4] على أن حماس: "... في مقدِّمة ركب الدَّاعمين لاحترام حقوق الإنسان، وتأمين تلك الحقوق للناس جميعًا، وتيسير سبل ممارسة الحرِّيَّة في إطار النُّظم الأخلاقيَّة والقانونيَّة. وإنَّ العدوان على الحقوق والحرِّيَّات تحت أيّ شعار –ولو كان الإسلام نفسه– يمتهن إنسانيَّة الإنسان"[5].

---

[1] مزيان، نجيم: **ركائز التَّنمية السِّياسيَّة**، مرجع سابق.

[2] فتوح، محمد عبد الفتَّاح: **الدِّيمقراطيَّة والشُّورى في الفكر الإسلاميّ المعاصر: دراسة في فكر الشَّيخ محمد الغزاليّ**، القاهرة: مكتبة الشُّروق الدَّوليَّة، 2006، ص 10.

[3] المرجع السابق، ص 166. أنظر أيضًا: موقع الأمم المتَّحدة، الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، http://bit.ly/1jMJuft .

[4] جمال منصور، قيادي سياسي وعسكري وإداري فلسطيني في حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ولد بتاريخ 25، فبراير 1960 واستشهد بتاريخ 31-7-2001 في قصف طائرات الاحتلال مكتب المركز الفلسطيني للدراسات والإعلام في نابلس، http://bit.ly/1UoLEUj .

[5] منصور، جمال: **التَّحوُّل الدِّيمقراطيّ الفلسطينيّ وجهة نظر إسلاميَّة**، مذكِّرة غير منشورة، نابلس، 1996، ص 13.

ولدى حماس ثلاثة أسس يقوم عليها العمل الدّعويّ والسِّياسيّ وهي: رفع الظُّلم عن النَّاس، والتَّعاون على البرّ والتَّقوى، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر[1].

ينظر المفكرون والنُّشطاء والعاملين في ميادين الحقوق؛ للحقوق السِّياسيَّة بعين الاهتمام والأولويَّة؛ لما تشكِّله تلك الحقوق من أهمية وحاجة وضرورة، فيما يتعلَّق بالحرِّيَّات الشَّخصيَّة، وفي الوقت ذاته ضامنة للحرِّيَّات الأخرى. وممَّا تشمله الحقوق السِّياسيَّة مثلا: حرِّيَّة الكلام، وحرِّيَّة البحث، والحقّ في انتخابات عادلة ونزيهة ودوريَّة، والحقّ في تشكيل الاتِّحادات والأحزاب السِّياسيَّة، إلى غير ذلك من الحقوق الأخرى الَّتي لا يتَّسع ذكرها في هذا المقام[2].

يقول يوسف رزقة عن طريقة تعبير حماس عن ممارسة حقوقها، من خلال محيطها الاجتماعيّ والسِّياسيّ: "إنَّ ممارسة هذه الحقوق تتطلَّب توازنًا دقيقًا بين الفرد والجماعة من ناحية، وبينهما وبين السُّلطة من ناحية ثانية؛ بما يحفظ حقوق الأفراد والجماعات، ويحفظ للسُّلطة دورها وهيبتها أيضًا... لذا انشغلت حركة حماس بالحرِّيَّات السِّياسيَّة، وقاومت الاستبداد، وتعرَّضت للاعتقالات، وللإقصاء من الوظائف العامَّة، بالرَّغم من أنَّ مقاومتها كانت سلميَّة، وبلا عنف، إلَّا أنَّها في مواضع قليلة، اضطرت للدِّفاع عن حقوقها بالقوَّة كما حدث في 14حزيران2007"[3].

لقد دخلت حماس إلى ميدان الدِّيموقراطيَّة من باب حقوق الإنسان وحرِّيَّاته، حين رأت أنَّ المجتمعات الغربيَّة تتَّجه نحو العدل والمساواة والنَّهضة، بفضل ما تتمتَّع فيه من حرِّيَّات، أفرادًا وجماعات، تحت حماية الدَّولة الدِّيموقراطيَّة، ووعي الرَّأي العامّ وتأثيره؛ في الوقت الَّذي تعيش فيه المجتمعات العربيَّة والإسلاميَّة حالة من الاستبداد، وتعتدي فيها السُّلطات على حقوق الأفراد والجماعات وحرِّيَّاتهم، وتقمع الرَّأي العامّ، وتزيِّف إرادة الشَّعب في انتخابات شكليَّة تجري لذر الرَّماد في العيون[4].

---

[1] العوَّا، محمد سليم: **الفقه الإسلاميّ في طريق التَّجديد**، ط 3، القاهرة، سفير الدَّوليَّة للنَّشر، 2006، ص288–289.

[2] الغزاليّ، محمد: **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتَّحدة**، القاهرة، دار الدَّعوة، 1993، ص 63–64.

[3] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص 36.

[4] المرجع السابق، ص 37.

2.3.4 الحرِّيَّات وحقوق الإنسان في ظلّ حكم حماس

إنَّ تاريخ حماس العمليّ حافل بمقاومة العدوان على حقوق الإنسان الفلسطيني وحرِّيَّاته. وأدبيَّات حماس تدعو إلى إحقاق الحرِّيَّات العامَّة التي ضمنتها وكفلتها جميع الشرائع والأحكام والقوانين والأعراف على طول الزمان، ويمكن النَّظر إلى مقاومة حماس للاحتلال الإسرائيليّ من باب تمسُّك حركة حماس بحقوقها الوطنيَّة، وبحقوقها الإنسانيَّة الَّتي أقرَّتها المواثيق الدَّوليَّة؛ حيث مثَّل الاحتلال الإسرائيليَ النَّموذج الأكثر بشاعة وقسوة في عمليَّات انتهاك حقوق الإنسان الفلسطينيّ وحرِّيَّاته. وإنَّ تعاون حركة حماس وحكومتها في غزَّة مع بعثة الأمم المتَّحدة لتقصي الحقائق بشأن النِّزاع في غزَّة (Mission on the Gaza United Nations Fact–Finding Conflict)؛ للتَّحقيق في جرائم الحرب في العدوان الإسرائيليّ على غزَّة في 2009/2008، وتعاطيها الإيجابيّ مع تقرير جولدستون (Goldstone Report) بعد صدوره، ومطالبتها الأمم المتَّحدة بتنفيذ بنوده؛ لدليل يؤشر على تمسُّك حماس بحقوق الإنسان، وتقبُّلها للمواثيق الدَّوليَّة المنظَّمة لهذه الحقوق[1].

هناك شبه إجماع بين المراقبين على أنَّ غزَّة – بعد سيطرة حماس – استقرّ فيها الأمن بشكل لافت ومختلف عن ذي قبل[2]. وهذا الأمر تعدُّه حماس إنجازًا مهمًّا على صعيد استقرار الجبهة الدَّاخليَّة والبناء والتَّنميَّة، وهي أمور ضروريَّة ومهمَّة لا يمكن أنْ تتحقَّق بدون حالة من الاستقرار، وهنا يرى ناجي شراب أنَّ: "حماس استطاعت فرض النِّظام، وضبط السَّلاح، وخفض القيادات العشائريَّة، والأنشطة الإجراميَّة والعدائيَّة"[3]. مشيرًا إلى قدرتها في إدارة قواعد اللُّعبة وأنَّ الحكومة استطاعت أنْ تتكيَّف على الصَّعيدين الدَّاخليّ والخارجيّ، من خلال المرونة والبراغماتيَّة في تعاملها مع الغرب، كما أوضح شراب أنَّ التَّحدي الأكبر الَّذي يواجه حركة حماس هو تقديم نموذج إسلاميّ، يأخذ باعتباره خصوصيَّة المكان في قطاع غزَّة، عادًّا أنَّ حركة

---

[1] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص37.

[2] سلامة، عبد الغني: حصاد ستَّة سنوات من حكم حماس في غزَّة، الحوار المتمدِّن- محور القضيَّة الفلسطينيَّة، العدد: 4272، 11 تشرين الثَّاني 2013، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=386508.

[3] شراب، ناجي: "قراءة في تجربة حماس في الحكم والسِّياسة"، ندوة سياسيَّة نظَّمها مركز الدِّراسات السِّياسيَّة والتَّنمويَّة في غزَّة، 2 آب 2010. نقلًا عن فلسطين الآن، http://www.paltimes.net/olddetails/news/107843.

حماس تمتلك في هذا الإطار قوَّة رمزيَّة وجماهيريَّة لا يمكن إغفالها. وأضاف: "على الرَّغم من فرض الأمن، إلَّا أنَّ قطاع غزَّة غلبت عليه النَّزعة الأمنيَّة؛ حيث صار أشبه بالثَّكنة العسكريَّة"[1].

إنَّ تجربة حماس تشير إلى وقوع أخطاء بالرَّغم من الإنجازات الَّتي حقَّقتها، وعند رصد النُّقاط الإيجابيَّة أو السَّلبيَّة في أيّ تجربة إنسانيَّة لا بدَّ من الأخذ بالظُّروف المحيطة بتلك التَّجربة تحقيقًا للموضوعيَّة، واقترابًا من الإنصاف.

وهنا لا بدَّ من التَّذكير بأنَّ الاحتلال –كعامل من عوامل الضَّعف والتَّخلُّف– يسعى تاريخيًّا لمسخ المجتمعات، وتشويهها، وتغذية البؤر الفاسدة، وزرع الأيدي الخفيَّة الَّتي يحرِّكها ويوجِّهها لتدمير المجتمع ومقوِّمات صموده، وإضعاف قوَّته الماديَّة والمعنويَّة، من أجل إخضاع المجتمع لإرادة المحتلّ ومخطَّطاته التَّدميريَّة.

وحالة غزَّة –كجزء من الحالة الفلسطينيَّة بعمومها– ليست بعيدة عن هذا الحال، وهذا التَّوصيف للشُّعوب القابعة تحت احتلال؛ يحاول بشتى الطَّرائق وباستمرار أنْ يضعفها، ويعرقل محاولات نهوضها، ويشوِّه تجربتها عبر "آلته الدِّعائيَّة الضخمة"[2]، ويدمِّر مقوِّمات صمودها، وما حصار غزَّة وشن الحروب عليها إلَّا دليل على هذه المساعي.

إنَّ هذه الإشارة لا تعني أبدًا تبرير الأخطاء والتَّماهي فيها والغضّ عنها، ولا تعني بالمقابل جلد الذَّات وتحميلها ما لا تحتمل، وسلخها من طبيعتها وفطرتها وإنسانيَّتها، واستعجال ثمرتها الَّتي لم تنضج بعد وهي في طريق تجربتها ونموِّها ونهضتها وإحيائها من جديد؛ ولكن لا بدَّ من النَّقد البنَّاء والهادف، للإصلاح والتَّغيير والمتابعة والمساءلة والمحاسبة بشكل دائم وفاعل

---

[1] شراب، ناجي: "**قراءة في تجربة حماس في الحكم والسِّياسة**"، مرجع سابق.

[2] ربيد، براك: صورة اسرائيل هابطة، بحث صدر عن معهد "مولاد" في القدس يقول:" إنَّ جهاز الدِّعاية الإسرائيليّ... هو في الحقيقة جهاز متطوِّر ناجع أكثر بكثير من الأجهزة المعادية لإسرائيل في العالم "، وهذا الجهاز يوظِّف قدراته في تقديم صورة إيجابيَّة عن إسرائيل، و في الوقت نفسه تضخيم صورة بشاعة أعدائها وشيطنتهم أمام المجتمع الدَّوليّ، وهذا ما تمارسه الدِّعاية الإسرائيليَّة ضدَّ الشَّعب الفلسطينيّ ومقاومته بجانب الحصار وشنِّ الحروب. أنظر: البحث مترجمًا على الرَّابط،http://bit.ly/1TLgmbu.

وجادّ. وفي الوقت نفسه، وفي هذا الإطار، وفي ضوء هذه الخصوصيَّة والحالة الاستثنائيَّة في هذا العصر؛ من المفترض أنْ يتمّ تقييم التَّجربة بما لها وما عليها.

إذًا، نحن نتكلَّم عن قطاع غزَّة على أنَّه نموذج تحت حكم حماس، وهو مجتمع نخرت في جنباته عوامل تدميريَّة مختلفة، تراكمت على مرّ الزَّمن قبل أنْ تأتي حماس لتحكمه، فأصابته تلك العوامل التَّدميريَّة في أنحائه جميعها، ولكنَّها لم تقتله، ولم تنجح في استئصاله أو إلغائه، بل صقلته التَّجارب وزادته إيمانًا في حقِّه بالحياة.

تجربة حماس في مضمار الحرِّيَّات والحقوق إبان حكمها اعتراها الخطأ أحيانًا، وأصابت وحاولت الإجادة في أحيان كثيرة، وهنا نرصد بعض ما تلقَّته الهيئة المستقلَّة التَّابعة لحقوق الإنسان لعام 2008 ؛ حيث تلقَّت الهيئة 57 شكوى بالادِّعاء من مواطنين بالتَّعرُّض للتَّعذيب، أو سوء معاملة من الأجهزة الأمنيَّة في مراكز الاحتجاز التَّابعة لحكومة حماس، في حين كانت قد تلقَّت الهيئة 179 شكوى في العامّ 2007 في هذا الصَّدد. ونرى هنا فارقًا بين العامين وهذا يؤشر إلى أخذ العبر والدُّروس، وصقل التَّجربة مع تراكم الخبرات إن جاز التَّعبير[1].

شهد قطاع غزَّة في سنوات حكم حماس بروز عدد من الجماعات السَّلفيَّة المتشدِّدة، مثل: سيوف الحقّ، وسيوف الإسلام، وأنصار جند الله، وحزب الله الفلسطينيّ، وجيش الإسلام، ومجموعات أخرى من التَّيارات المتشدِّدة الَّتي تميل إلى العنف، وتمارسه أحيانًا، في نقد الظَّواهر الاجتماعيَّة الَّتي تخالف المعتقدات الَّتي يؤمنون بها. وقد أثارت هذه التَّنظيمات كثيرًا من مظاهر الفوضى، وأخْذ القانون باليد، وذلك على ما يبدو يعود لسببين:

أولاً: أنَّ هذه التَّنظيمات تسعى لتنفيذ برامجها ضمن رؤيتها الحزبيَّة الضَّيقة؛ من خلال التَّشدُّد والتَّكفير والمواجهة العنيفة، وأخذ القانون باليد.

ثانياً: انغلاق الأفق السِّياسيّ، والأوضاع المتردِّية الَّتي يعيشها قطاع غزَّة؛ بسبب الحصار، وما نتج عنه من ضيق وخناق وأزمات.

---

[1] الهيئة المستقلَّة لحقوق الإنسان، **وضع حقوق الإنسان في مناطق السُّلطة الوطنيَّة الفلسطينيَّة**، التَّقرير السَّنويّ الـ 14، ديوان المظالم،1 كانون الأوَّل 2008 – 31 كانون الأوَّل 2008، ص55–56.

ففي مدينة رفح وفي منتصف آب 2009، اعتلى منبر مسجد ابن تيمية الشَّيخ عبد اللَّطيف موسى، وهو من قادة تيار السَّلفيَّة الجهاديَّة، وخلال خطبة الجمعة الَّتي ألقاها محاطًا بعدد من المسلحين، أعلن عن قيام إمارة إسلاميَّة، وخلال ساعات حاصرت عناصر القسَّام المتحصِّنين في المسجد، فبدأت الاشتباكات وإطلاق النَّار بين الطَّرفين، وكانت المحصلة سقوط 27 قتيلًا، منهم اثنان من القسَّام، بالإضافة لإصابة أكثر من 120 مواطنًا بجراح[1].

وقد عدَّت حماس ما حصل بأنَّه فرض للنِّظام والقانون؛ فمثلًا عدَّ السَّيِّد إسماعيل هنيَّة أنَّ "ما جرى في مسجد ابن تيمية من تداعيات وإطلاق نار، ومقتل العديد من عناصر الأمن الفلسطينيّ والمدنيين، وما سبق تلك الأحداث من حرق لبعض المقاهي ومحلات الحلاقة وبعض المؤسَّسات، وغير ذلك من الأعمال المنافية للشَّريعة السَّمحة؛ يدفع الحكومة لأنْ تكون في لحظة حازمة وحاسمة من أمرها لأجل شعبها وقضيَّتها، ولتحافظ على الفكر الوسطيّ للشَّعب الفلسطينيَّ الَّذي يرفض هذه الأمور كلَّها". وعدَّ هنية أنَّ "العلاقة مع الجماعات السَّلفيَّة في فلسطين علاقة طيِّبة ومبنيَّة على الاحترام المتبادل"[2].

وقد جاء في تقرير لوكالة معًا، أنَّه في الأشهر الأولى للعام 2013؛ ارتفعت معدَّلات الجريمة غير المنظَّمة في قطاع غزَّة[3]. وهذا يعزى إلى حالة التَّدهور الاقتصاديّ، وزيادة معدَّلات البطالة، وانغلاق الأفق السِّياسيّ النَّاتج عن الإغلاق، والحصار، وآثار العدوان المتواصل على القطاع؛ ممَّا ينعكس على شكل أزمات داخليَّة ترهق المجتمع، والمؤسَّسات الوطنيَّة.

وهذا الضغط والخناق الَّذي يديره الاحتلال وحلفاؤه؛ يهدف إلى توجيه وعي النَّاس إلى تفجير أزمتهم، ومعاناتهم في وجه الحكومة الَّتي تسيطر عليها حماس، وتحميلها وزر الأوضاع السَّيِّئة الَّتي يعانون منها، بجانب حداثة التَّجربة، وقلَّة الوسائل، والإمكانيَّات لدى أجهزة الحكومة،

---

[1] الهيئة المستقلَّة لحقوق الإنسان: **وضع حقوق الإنسان في مناطق السُّلطة**، التَّقرير السَّنويّ الـ 15، ديوان المظالم، 1 كانون الثَّاني – 31 كانون الأوَّل، 2009، ص 32–33.

[2] مجلَّة البيان: حوار مع رئيس الوزراء الفلسطينيّ إسماعيل هنيَّة أجراه يوسف علي فرحات، العدد 279، آب 2010. http://bit.ly/1J1K7Pk.

[3] وكالة معًا: تقرير "ارتفاع معدَّلات الجريمة في قطاع غزَّة"، http://bit.ly/1H7BhjQ.

ممَّا يجعلها تتَّجه نحو استخدام وسائل القوَّة والعنف أحيانًا في معالجة الأحداث، وغالبًا ما ينتج عن استخدام العنف والقوَّة آثار سيِّئة، وارتكاب أخطاء تسيئ لحقوق وحرِّيَّات الإنسان. وهذا يعود بالسَّلب على الجهة الَّتي تستخدم القوَّة المفرطة في ضبط استقرار المجتمع، وعندها لن يرحم طوفان الجماهير الغاضبة أحدًا إنْ ثارت وغضبت، فالجماهير عندما تظلم تطغى، وعندما تسلب حرِّيَّتها عنوة واغتصابًا تطغى، وعندما تداس كرامتها تطغى، غير أنَّ طغيان الجماهير لا يأتي سريعًا إلَّا أنَّه يأتي مفاجئًا كالبركان، فهو يتراكم في الصُّدور والأنفس فينحبس فيها حتَّى تمتلئ الصُّدور، وتضيق بما فيها، فتنفجر فيتحوَّل ما فيها إلى بركان حارق مدمِّر، غير أنَّ الجماهير لا تطغى إلَّا إذا نفذ صبرها وعلمت أنَّ السُّلطة الَّتي تحكمها تخدعها[1].

أمَّا جماهير غزَّة فلم تطغى برغم كلّ المحاولات لصنع طغيانهم، وعلى ما يبدو فإنَّ الجماهير في غزَّة تعي جيِّدًا ما يخطَّط لها ولمقاومتها من مكائد؛ بهدف إطفاء جذوة المقاومة، واستئصالها، وتحويل الجماهير إلى كومة من البشر مسلوبي الإرادة تقدِّم لهم الأعلاف كلّ حين ما داموا يسبِّحون بحمد ولي نعمتهم وسيِّدهم الَّذي يفتح ويغلق لهم الأبواب متى شاء. وعندها تنتهي قصة أنَّ هناك شعبًا مظلومًا صاحب قضيَّة إنسانيَّة يناضل من أجلها، وحينها على الأرض السَّلام، وللشَّعب الفناء، أو الرَّحيل وكلاهما سيِّان.

3.3.4 الدِّيمقراطيَّة والحرِّيَّات العامَّة

في أدبيَّات حماس كلام كثير عن "العدل والمساواة" بين النَّاس، بغضّ النَّظر عن الدِّين والجنس واللَّون، وتنظر إليهما بوصفهما قيمًا ترتبط بالدِّين وبالحقوق الإنسانيَّة. وإنَّ نظرتها إلى العدل والمساواة تصطبغ بموقف سياسيّ في التَّعامل مع المجتمع الدَّوليّ ومؤسسات الأمم المتَّحدة. وفي هذا السِّياق، لحماس مأخذ على الدِّيموقراطيَّة الغربيَّة، وهو غياب العدل والمساواة في كثير من المعاملات الَّتي تتعلَّق بالحقوق الفلسطينيَّة والصِّراع مع الاحتلال[2].

---

[1] القموديّ، سالم: **سيكولوجيَّة السُّلطة** – بحث في الخصائص النَّفسيَّة المشتركة للسُّلطة، القاهرة،مكتبة مدبولي–6، ط1، 1999، ص68–69.

[2] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص 31 – 37.

إنَّ حماس ملزمة بقوانين الحرب بصفتها حركة مقاومة، وبصفتها الجهة الحاكمة فعليًّا. ورغم أنَّ حماس ليس بوسعها أن تكون طرفًا في أيّ معاهدة دوليَّة؛ لأنَّها ليست مصنَّفة في إطار دولة، ولكنْ حركة مقاومة؛ فقد التزمت بالرَّغم من ذلك باحترام المعايير الدَّوليَّة[1]. ففي كلمة لرئيس الوزراء إسماعيل هنيَّة يوم 21 حزيران 2006، صرَّح أنَّ حماس ملتزمة باحترام سيادة القانون، واحترام القضاء، والفصل بين السُّلطات، واحترام حقوق الإنسان، والمساواة بين المواطنين، ومكافحة اشكال التَّمييز كافَّة، وحماية الحرِّيَّات العامَّة، بما في ذلك حرِّيَّة الرَّأي والتَّعبير[2].

وفي برنامج الحكومة الوطنيَّة –الَّذي أعلن عنه في 17 آذار2007– أكَّدت حماس التزامها بالقانون الدَّوليّ، والقانون الإنسانيّ الدَّوليَّ بالدَّرجة الَّتي تتَّفق مع الشَّخصيَّة والهويَّة والعادات والتَّقاليد الفلسطينيَّة[3].

سعت حماس – قبل وبعد توليها مقاليد السُّلطة – باتِّجاه تنمية المجتمع، لكنَّها حرصت في الوقت نفسه على ألَّا تفرض كلّ ما تراه وتؤمن به على نحو يثير حفيظة النَّاس، وحماس تحترم وتقدِّر التَّجربة التَّركيَّة المعاصرة في التَّنمية والتَّغيير والإصلاح، ولكنّ أناسًا يشكِّكون في ذلك، ويرون أنَّ الصِّدامات العنيفة بين حماس والتَّيَّارات الجهاديَّة والسَّلفيَّة المتشدِّدة تأتي في إطار السِّباق والتَّنافس على فرض أسلمة المجتمع، ولكن كلٌّ من وجهة نظره، وحسب أسلوبه[4].

في هذا السِّياق، استطاعت حماس وبخطوات هادئة وسلميَّة كسب البنية التَّحتيَّة الإسلاميَّة في قطاع غزَّة لصالح رؤيتها وبرنامجها الإسلاميّ، من خلال تفعيل دور المساجد كمؤسسات لها

---

[1] Human Rights Watch: تحت غطاء الحرب "العنف السِّياسيّ لحركة حماس في غزَّة"، ص19. http://bit.ly/1IqsRk1.

[2] المركز الفلسطينيّ لحقوق الانسان: الحكومة الفلسطينيَّة الجديدة وأجندة حقوق الانسان، غزَّة، 21 حزيران2006، ص13،15. للاطِّلاع http://bit.ly/1K8LgWN.

[3] برنامج حكومة الوحدة الوطنيَّة الَّذي تلاه رئيس الوزراء إسماعيل هنيَّة أمام المجلس التَّشريعيّ، غزَّة، 17 آذار 2007. للاطِّلاع: http://bit.ly/1Ix2mtc.

[4] سلامة، عبد الغني: **حصاد ستَّة سنوات من حكم حماس في غزَّة**، مرجع سابق.

وظائف دعويَّة تتعدَّى مجرد الصَّلاة فيها، وكذلك إعداد خطباء ووعاظ أصحاب مكانة علميَّة واجتماعيَّة ينتمون لها، وتشكيل جمعيَّات خيريَّة، ولجان زكاة[1].

لقد حققت حماس ذلك بخطوات متدرِّجة تراكميَّة فتقبَّلها المجتمع وتفاعل معها، بينما أرادت الحركات السَّلفيَّة والجهاديَّة فرض الأسلمة بالقوَّة ودفعة واحدة، فلجأت إلى تفجير الأماكن السِّياحيَّة، وحرق المخيَّمات الصَّيفيَّة، وتفجير صالونات التَّجميل، ومحلَّات الإنترنت، والمقاهي، ومحلات بيع أسطوانات الأغاني والأفلام، وتفريق حفلات الأعراس الغنائيَّة بالقوَّة، وضرب المغنيين، أو منعهم من الغناء، أيْ محاربة كلّ ما يعدونه مخالفًا للشَّريعة[2].

لقد كانت أغلب هذه الشَّكاوى المقدَّمة من أفراد ينتمون لحركة فتح، أو من منتسبي الأجهزة الأمنيَّة الَّتي أشارت إلى أنَّ التَّحقيقات الَّتي رافقتها عمليَّة إساءة المعاملة كانت تتركَّز حول عملهم في الأجهزة الأمنيَّة التَّابعة للسُّلطة الوطنيَّة الفلسطينيَّة قبل أحداث حزيران 2007[3]، ما يعني أنَّ عمليَّات إساءة المعاملة كانت تتمّ على أسس سياسيَّة أحيانًا، وتقول الهيئة في تقريرها: إنه"...على الرَّغم من عشرات الرَّسائل الَّتي خاطبت الهيئة فيها الجهات المختصَّة في الحكومة المقالة بهذا الشَّأن إلَّا أنَّها لم تتلق أيَّة ردود على هذه الشَّكاوى..."[4].

ولكن وبالرَّغم من تحسُّن الحالة الأمنيَّة، إلَّا أنَّ الهيئة المستقلَّة لحقوق الإنسان، أشارت في تقريرها السَّنوي إلى وقوع (244) حالة قتل في غزَّة خلال العامين 2009 – 2010، وعزت ذلك لضعف سيادة القانون، منها: وفيات الأنفاق، ووفيات بسبب مشاجرات عائليَّة، وحوادث قتل غامضة[5].

---

[1] سلامة، عبد الغني: **حصاد ستَّة سنوات من حكم حماس في غزَّة**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] الهيئة المستقلَّة لحقوق الإنسان، **وضع حقوق الإنسان في مناطق السُّلطة الوطنيَّة الفلسطينيَّة**، التَّقرير السَّنويّ الـ 14، مرجع سابق، ص56.

[4] المرجع السابق، ص56.

[5] الهيئة المستقلَّة لحقوق الإنسان، **وضع حقوق الإنسان في مناطق السُّلطة**، التَّقرير السَّنويّ الـ 16، كانون الثَّاني، 2010، ديوان المظالم، ص 61.

(Human Rights Watch) قالت: إنَّه يتعيَّن على حماس وقف هجماتها على الخصوم السِّياسيِّين، والمشتبه فيهم من المتعاونين في غزَّة، كما ودعت (Human Rights Watch) سلطات حماس في غزَّة إلى محاسبة المسؤولين[1].

ويوثّق التَّقرير المعنون" تحت غطاء الحرب: العنف السِّياسيّ لحركة حماس في غزَّة"؛ وجود نمط –منذ أواخر كانون الأوَّل 2008– غير قانوني، فيه انتهاك للحرِّيَّات ويستند التَّقرير إلى مقابلات مع ضحايا وشهود في غزَّة، وتقارير حالات من قبل منظَّمات حقوق الإنسان الفلسطينيَّة[2].

بعد ذلك ببضعة أشهر، وفي مقابلتين أجرتهما (Human Rights Watch) مع المتحدِّث باسم حماس فوزي برهوم، والمتحدث باسم وزارة الدَّاخليَّة في غزَّة إيهاب الغصين؛ أكَّدا بأنَّ حماس قد حظرت القوَّة المفرطة من قبل قوَّات الأمن بعد العدوان الإسرائيليّ[3].

وعلى ما يبدو في هذا التَّصريح إشارة إلى المراجعة والمحاسبة، وإعادة النَّظر في التَّجربة السَّابقة لأخذ العبر، والاستفادة من الإخفاقات في قادم الأيام.

وقالت (Human Rights Watch) في تقرير لها صدر مع بداية نيسان 2009: إنَّ الانتهاكات في قطاع غزَّة تراجعت[4]. وهذا يؤكِّد صحَّة تعاطي حماس مع ملفّ الحرِّيَّات بإيجابيَّة، ويعكس جدِّيَّة في محاولة ضبط الإيقاع الأمنيّ بطرق أكثر ملاءمة وانسجامًا مع منظومة العدل الَّتي تنادي بها حماس في أدبيَّاتها وبرامجها، ولكن في الواقع تبقى هذه الطرق والمحاولات –الَّتي تسعى حماس لتطبيقها– مهمَّةً صعبة تحت وطأة إفرازات الحصار الضاغطة على المجتمع الغزي والأعباء والتَّحديات الضَّخمة الَّتي تواجهها حماس كحكومةً مسؤولةً عن سلامة وأمان الأرض والإنسان.

---

[1] Human Rights Watch: "غزَّة: يجب أن توقف حركة حماس أعمال القتل والتَّعذيب"، 19 نيسان 2009. http://bit.ly/1IVgLlE.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

[4] المرجع السابق.

الوقوع في الأخطاء لا مفرَّ منه في أي تجربة بشرية، ولكنَّ المهمّ، بل الأهمّ هو كيفيَّة معالجة الأخطاء ومقدار الحكمة في التَّعامل معها، والاستفادة منها، والمحاسبة عليها، حينها تكون الأخطاء معراجًا للصُّعود في سلَّم الخبرة؛ إلى سماء الدِّيمقراطيَّة والحرِّيَّة والعدالة الإنسانيَّة المنشودة.

خلاصة القول في هذا المحور: إنَّ من ينظر إلى حماس من الدَّاخل –كما يقول يوسف رزقة– فإنَّه يرى فيها البناء المؤسَّسيّ القائم على الممارسة الدِّيمقراطيَّة بين أعضائها والمنتسبين إليها، فثمَّة أمير، ومجلس شورى، ومجالس إداريَّة، وقادة أقاليم ومناطق، وكلُّهم يصلون إلى مناصبهم من خلال الانتخابات الحرَّة، الَّتي لا تصاحبها دعاية أو تزكية بحسب قانون حماس للانتخابات الدَّاخليَّة. ويتمتَّع النَّاخبون بكلّ حقوقهم التَّنظيميَّة، وحقوقهم الإنسانيَّة، وحرِّيَّاتهم بعدالة ومساواة بحسب اللَّوائح المقرَّرة في مجالس الشُّورى. وتأخذ حماس بمبدأ تداول السُّلطة على مستوى التَّنظيم؛ حيث تحدِّد اللَّوائح للأمير دورتين متتاليتين، لكلّ دورة أربع سنوات، وهو مبدأ أساسيّ في الدِّيموقراطيَّة تطبِّقها حماس[1].

وهذا جعل بين حماس الحركة، وحماس الحكومة انسجامًا متداخلًا نجحت حماس بموجبه في إحكام سيطرتها على مفاصل الحكم في غزَّة، سواء من النَّاحية الأمنيَّة أم الاقتصاديَّة أم المؤسَّسات الاجتماعيَّة، وفيما يتعلَّق بسلامة النَّاس والبنية التَّحتيَّة، غير أنَّ ذلك لم يمنع وقوع خلافات لا بدّ منها بين برنامج حماس كحركة مقاومة، وبرنامجها كحكومة، ولكنَّها خلافات في التَّكتيك، وهذا لا يحجب مستوى التَّخطيط الاستراتيجيّ عند حركة حماس، وما حقَّقته في مجال الأمن وإرساء القوانين.

وإدراكًا منها لعمق الاستياء الشَّعبيّ من فوضى الفلتان، وانتشار السِّلاح، وغياب القانون؛ ركَّزت حكومة هنيَّة جهودها في تحقيق الأمن والاستقرار بشكل خاصّ ومتواصل فحقَّقت استقرارًا داخليًّا ملحوظًا؛ حيث فرضت النِّظام والقانون، ولو عن طريق استخدام القوَّة والحزم في بعض المواقف والأحداث[2].

---

[1] رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مرجع سابق، ص 39.

[2] صايغ، يزيد: **ثلاث سنوات من حكم حماس في غزَّة**، بيروت، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، سلسلة ترجمات الزَّيتونة 53، أيَّار 2010، ص 4–5.

4.4 الخطاب السِّياسيّ لحماس وانعكاساته على مظاهر التَّنمية السِّياسيَّة

1.4.4 مصادر الخطاب ومحدِّداته

عند قراءة خطاب حماس وتحليله؛ نجده خطابًا مؤطَّرًا بخصائص ومعايير ذاتيَّة، وأخرى موضوعيةً، جعلت له خصوصيَّة ميَّزته عن غيره من خطابات الحركات الإسلاميَّة الأخرى[1].

إنَّ الخصوصيَّة الذَّاتيَّة لخطاب حماس تأتي من أمرين[2]: التَّعدُّدية بين حماس كحركة، عن طريق المكتب السِّياسيّ من جهة، وبين حماس كحكومة عن طريق النَّاطقين باسم الحكومة من جهة ثانية، وبين ذراع حماس العسكريّ "كتائب عزّ الدِّين القسَّام" ممثَّلًا بأبي عبيدة المتحدِّث الإعلاميّ للقسَّام من جهة ثالثة.

هذا الثَّالوث يشكِّل مصادر الخطاب السِّياسيّ من خلال الأدوات الَّتي يوظِّفها كلّ طرف من أطراف المثلَّث، والَّتي تشمل المنابر الإعلاميَّة الَّتي تمتلكها الحركة عبر فضائيَّتها قناة الأقصى، وإذاعة الأقصى، ومواقع على الشَّبكة العالميَّة للمعلومات، وخطب الجمعة الَّتي تعدُّ إحدى الأدوات الإعلاميَّة للحركة لمخاطبة الشَّعب الفلسطينيّ، ووسائل الإعلام العالميَّة، والمكتب الإعلاميّ لكتائب القسَّام، إضافة إلى الاتِّصال الشَّخصيّ، وحشد الجماهير في المهرجانات والمسيرات، والاحتفالات الَّتي تقيمها حماس في المساجد، والسَّاحات العامَّة، والطُّرقات، كلّ مكان بحسب طبيعة المناسبة، أو النَّشاط الجماهيريّ الَّذي تقيمه حماس.

جعلت حماس مقاومة الاحتلال، وتقرير المصير، وإقامة الدَّولة الفلسطينيَّة على رأس مهامِّها الدَّعويَّة والسِّياسيَّة، وكون حماس جزء من الحركة الإسلاميَّة العالميَّة؛ فهي بذلك تحتكم لمرجعيَّة أيديولوجيَّة وسياسيَّة، تجعلها تمارس السِّياسة على ضوء هذه الرُّؤى مجتمعة، وتؤكِّد حماس أنَّ السِّياسة جزء من الدِّين، فالموقف السِّياسيّ عند إبراهيم المقادمة هو فتوى شرعيَّة

---

[1] السَّمَّان، أحمد: خطاب حماس الإعلاميّ مشروط ذاتيًّا وموضوعيًّا، onislam، الأحد 4 آذار 2007. http://bit.ly/1H0FuYf.

[2] المرجع السابق.

بشكل من الأشكال[1]. ومن ثمَّ دعا علماء المسلمين إلى الاشتغال بالسِّياسة قائلًا لهم: "أنتم أولى بالعمل في السِّياسة، فأنتم تفهمون دين الله، وتفهمون مصالح الأمَّة"[2]. بينما تتأثَّر الخصوصيَّة الموضوعيَّة لخطاب حماس من عدة أوجه، أهمُّها[3]: ظروف عمل حماس في ظلّ وجود احتلال يفرض تعقيدات صعبة، تجعل الحكومة الفلسطينيَّة منقوصة السِّيادة في قراراتها، ومثال ذلك: الحصار المفروض على قطاع غزَّة بكلّ سلبيَّاته، وتداعياته، وآثاره التَّدميريَّة الَّتي لا تقتصر على الانتقاص من السِّيادة، بل تتعدَّى الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

سعت حماس لحشد القوى والأطراف الدَّوليَّة الفاعلة من أجل الحريَّة والاستقلال، ومن بين أهمّ تلك القوى الَّتي تعتمد عليها حماس وتستمدّ منها الدَّعم والمساندة، هي جماعة الإخوان المسلمين العالميَّة، وبالأخصّ إخوان مصر.

وفي هذا الجانب الَّذي تدخل فيه الأيديولوجيا من جهة، والمصالح من جهة أخرى، معادلات وتعقيدات متداخلة هنا ومتضاربة هناك، متشابكة من ناحية ومتفكَّكة من ناحية أخرى. فمن جهة تتعرَّض تيَّارات الإسلام السِّياسيّ وتحديدًا الإخوان المسلمين لأعمال عنف، وممارسات قمع من قبل السُّلطات الأمنيَّة في الدُّول المجاورة مثل مصر الَّتي تصدَّرت فيها سلطاتها الأمنيَّة وساطة بين حماس وإسرائيل في عدد من القضايا، أبرزها قضية الأسرى الفلسطينيِّين والجنديّ الإسرائيليّ جلعاد شاليط الَّتي أطلقت عليها حماس صفقة "وفاء الأحرار".

ومثال آخر سوريَّا الَّتي يعادي نظامها جماعة الإخوان المسلمين عداءً تاريخيًّا طويل الأمد ولم ينته. وفي الوقت نفسه احتضن هذا النِّظام حماس في سوريَّا لسنوات عديدة، وفتح أمامها التَّسهيلات كافَّة، وأتاح لها ما تحتاجه لتقوية مكانتها، وتعزيز نفوذها وقدراتها، وقد استفادت حماس من دعم ورعاية النِّظام السُّوريّ لها بشكل كبير.

---

[1] صحيفة الرِّسالة، **الرَّأي العامّ في المجتمع الإسلاميّ: العلماء والحكَّام**، إبراهيم المقادمة، غزَّة، 26 شباط 1998. إبراهيم أحمد خالد المقادمة (1952–2003)، قائد سابق لحماس في إقليم غزَّة، وكان عضواً في المكتب السِّياسيّ، هو طبيب ومفكِّر وداعية، اغتالته الطَّائرات الإسرائيليَّة في 8 آذار 2003.

[2] صحيفة الرِّسالة، **إبراهيم المقادمة، إلى علماء الإسلام**، 31 تشرين الأوَّل 2003.

[3] السَّمَّان، أحمد: **خطاب حماس الإعلاميّ مشروط ذاتيًّا وموضوعيًّا**، مرجع سابق.

2.4.4 خطاب حماس: تطوُّره، وسماته

لقد مرّ خطاب حماس خلال تولِّيها السُّلطة بمراحل عدة على النَّحو الآتي:

بدأت المرحلة الأولى في نهاية عام 2005؛ مع بداية الحملة الانتخابيَّة للمجلس التَّشريعيّ الفلسطينيّ، فقد رأت حماس أنْ تقدِّم برنامجًا ينسجم مع مبادئ الدِّيمقراطيّة والتَّنوع الفكريّ الموجود على السَّاحة الفلسطينيَّة، فحرصت على ترويج نفسها كحركة تحرُّر وطنيّ حريصة على إيلاء أهميَّة كبيرة للإصلاح الدَّاخلي[1]، بالتَّوازي مع عمليَّة المقاومة الَّتي خاضتها لسنوات طويلة مع الاحتلال في شتى ميادين المقاومة، فتهيَّأت الظُّروف ونضجت، في تطوُّر طبيعيّ للسُّلوك السِّياسيّ لحماس[2]. قرَّرت حماس أن تجني ثمار مقاومتها، وفي هذا السِّياق يقول علي بدوان"...التَّحوُّل المطلوب في رؤية المنظومات السِّياسيَّة؛ يحتاج دومًا لعمليَّة إنضاج لا تقوم على التَّحليل، والمماحكة النَّظريَّة فقط، بل يحتاج إلى التَّحليل المنطلق من التَّجربة المعاشة، وإرهاصاتها المتتالية"[3]. دخلت حماس حلبة السِّياسة تحت مظلَّة كتلتها الانتخابيَّة الَّتي أطلقت عليها اسم "التَّغيير والاصلاح" ورفعت شعار"يد تبني ويد تقاوم"[4].

وأكَّدت حماس في خطابها السِّياسيّ حقّ الشَّعب في الممارسة الدِّيمقراطيَّة، وضرورة أنْ يحترمها العالم، والتَّركيز على حقّ الشَّعب في الدِّفاع عن نفسه، ومقاومة الاحتلال، وهو ما حقَّقته في جولات المواجهة مع العدوان الإسرائيليّ[5].

واتَّسمت المرحلة الثَّانية الَّتي أعقبت فوزها الانتخابيّ بتوجيه خطابها نحو العالم الخارجيّ، وممَّا يشار إليه في هذا الجانب على سبيل المثال؛ قيام بعض قادة حماس بنشر عدد

---

[1] السَّمَّان، أحمد: **خطاب حماس الإعلاميّ مشروط ذاتيًّا وموضوعيًّا**، مرجع سابق.

[2] حركة المقاومة الاسلاميَّة حماس، الموقف الرَّسميّ، بيانات، بيان جماهيريّ صادر عن حركة حماس بتاريخ 29 تشرين الأوَّل2005، http://bit.ly/1TX8Avx.

[3] بدوان، علي: براغماتيَّة حماس في النَّظرة إلى الصِّراع مع إسرائيل، صحيفة الحياة اللَّندنيَّة، عدد 16888، باب الرَّأي، ص11. http://bit.ly/1dMbzpw .

[4] كتلة التَّغيير والإصلاح، **البرنامج السِّياسيّ**، مرجع سابق.

[5] عوض الله، مي: بعد 25 عامًا كيف طوَّرت حماس نفسها على الصَّعيدين المقاوم والسِّياسيّ؟، القدس أون لاين، الفصائل الفلسطينيَّة، 10 كانون الثَّاني 2013. http://bit.ly/1FIsmQh.

من المقالات في عدد من الصُّحف العالميَّة ذات التَّأثير على الرَّأي العامّ في المجتمع الغربيّ، مثل: صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية الَّتي كتب بها القيادي بالحركة موسى أبو مرزوق مقالًا بعنوان: "ماذا تريد حماس؟"، بينما اختار رئيس المكتب السِّياسيّ لحركة حماس خالد مشعل صحيفة "الجارديان" البريطانيَّة لينشر مقالًا بعنوان "لن نبيع شعبنا أو مبادئنا من أجل المساعدات الخارجيَّة"[1].

لقد جاءت أهميَّة هذه المقالات وغيرها من كونها خطابًا موجَّهًا لشعوب العالم ودوله، من خلال وسائل إعلام تتمتَّع بنفوذ وتأثير كبيرين في دول الغرب، بالإضافة إلى رسم صورة سياستها الجديدة، وتوضِّح شكل الخطاب الَّذي تريد حماس أنْ توصله للعالم ليكون مؤثِّرًا.

أمَّا المرحلة الثَّالثة لخطابها فجاءت نتيجة طبيعيَّة للتَّحدِّيات، ومرحلة فرض الحصار والصِّراع المكشوف مع حركة فتح الَّذي انتهي بالانقسام، وسيطرة حماس على غزَّة، وسيطرة فتح على الضِّفة الغربيَّة. وكان تركيز الخطاب في هذه المرحلة على الوضع الدَّاخليّ، وإشكاليَّة العلاقة مع فتح[2].

وجاءت المرحلة الرَّابعة نتيجة لمتغيِّرات وتطوُّرات ثورات الرَّبيع العربيّ الَّتي دفعت قيادة حركة حماس للنَّظر بطريقة أكثر براغماتيَّة، والبعد عن الخطابات المفرطة في التَّفاؤل[3]. وعليه فإنَّ التَّجربة السِّياسيَّة السَّابقة لحماس، دفعت حماس نحو الاستدارة المعقولة؛ بهدف استيعاب معطيات الواقع، والبناء عليها لتوسيع فضاءات العمل أمام الحركة السِّياسيَّة الفلسطينيَّة[4].

بناءً على ذلك يمكن القول: إنَّ خطاب حماس في هذه المرحلة اتَّسم بالبراغماتية الَّتي تعلّمت في الميدان، وقد تفاعلت أفكارها ورؤاها مع الواقع، ولكن لا يعني ذلك أنَّ حماس في

---

[1] السَّمَّان، أحمد: **خطاب حماس الإعلاميّ مشروط ذاتيًّا وموضوعيًّا**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] عفيفة، وسام: حماس ترسم خريطة طريق للإسلاميِّين، الرِّسالة نت، 16 حزيران 2012. http://bit.ly/1Fof2jS.

[4] بدوان، علي: **براغماتيَّة حماس في النَّظرة إلى الصِّراع مع إسرائيل**، مرجع سابق.

طور الانسلاخ عن ذاتها تحت وطأة ما تعانيه من حصار، وضغط المحاور الإقليميَّة والدَّوليَّة، وإنَّما ما يمكن فهمه على ضوء مسيرة حماس وتجربتها التَّراكميَّة "... أنَّ حركة حماس تقف اليوم أمام معالجة وطنيَّة بامتياز لمعضلة اجتراح وصياغة تكتيكات وبرامج تسهم فيها بإعادة إحياء التَّوافق الوطنيّ الفلسطينيّ كخيار لا بدَّ منه في سياق الصِّراع مع الاحتلال الإسرائيليّ..."[1]. ومن هنا يرى خالد صافي أنَّ خطاب حماس مؤخَّرًا بدا مختلفًا عن مواقف الحركة السَّابقة، ويظهر ذلك من خلال مساندتها للرَّئيس عباس بالحصول على دولة في حدود عام 67 [2].

وفي 19 تشرين الأوَّل2013 ظهرت ملامح جديدة مجتمعة؛ تظهر تطوُّر الخطاب السِّياسيّ لحركة حماس في الكلمة الَّتي ألقاها إسماعيل هنيَّة. إنَّ قراءة خطاب هنيَّة وتحليله من منظور مدى استفادة حماس وتعلُّمها من تراكم الخبرات والتَّجربة البراغماتيَّة الَّتي عاركتها، وواجهت تحدِّياتها وتعقيداتها، وعليه نلقي نظرة على ملامح الخطاب في ضوء الملاحظات الآتية:

خطاب هنيَّة لم يكن ارتجاليًّا كما جرت العادة في الكثير من المناسبات الوطنية في المجتمع الفلسطيني وانما كان الخطاب مكتوبًا، وهذا يعني أنَّ الخطاب لا يحمل رؤية فرديَّة، وإنَّما يحمل الطَّابع المؤسَّسيّ الَّذي بدا واضحًا في مضمون الخطاب الَّذي عكس هذه السِّمة، فالخطاب مدروس من مؤسَّسة بغضّ النَّظر عن المؤسَّسة الَّتي أخرجته، أهي حركة حماس أم حكومة حماس؟. ليس هذا المهمّ، وإنَّما الأهمّ أنَّ السَّاحة الفلسطينيَّة تفتقر إلى المؤسَّسيَّة إلى حدّ بعيد، وهذا الخطاب خطوة إيجابيَّة باتِّجاه المؤسَّسيَّة.

إنَّ السِّمة العقلانيَّة للخطاب، والبعد عن الشِّعارات والحماسة الزَّائدة؛ أعطت للخطاب مصداقيَّة لدى المراقبين، وهذا الأمر يؤثِّر إيجابيًّا في تعزيز وتجديد ثقة الفلسطينيّ نحو قيادته الوطنيَّة الَّتي أشبعته كثيرًا من الشِّعارات، ممَّا زاد من الفجوة بين القائد والمواطن؛ فالعقلانيَّة

---

[1] بدوان، علي: **براغماتيَّة حماس في النَّظرة إلى الصِّراع مع إسرائيل**، مرجع سابق.

[2] عوض الله، مي: **بعد 25 عامًا كيف طوَّرت حماس نفسها على الصَّعيدين المقاوم والسِّياسيّ؟**، مرجع سابق.

الَّتي جاء بها خطاب هنيَّة تعدُّ علامة من علامات تطوُّر خطاب حماس، كما استعمل هنيَّة لغة خطابيَّة متناسبة مع القدرات الَّتي يعرف هو حدودها، دون مبالغات أو تهويل. وقد ركَّز على المقاومة وذكرها حوالي ثلاثين مرَّة، وهذا شيء يعبِّر عن قناعته بأنَّ قضية فلسطين تحتاج إلى أقوياء، وليس إلى مستجدين ومتسوِّلين.

كان من المفروض –كما يرى عبد السَّتَّار قاسم– أنْ يعطي هنيَّة مسألة القوَّة ودورها في الخروج من المآزق مساحة أوسع؛ بسبب أهميَّة زرع الفكرة في عقول وسلوك الجيل الفلسطينيّ النَّاشئ الَّذي يسمع كثيرًا عن المفاوضات[1].

مرحلة جديدة بدأت مع العدوان الأخير على غزَّة في صيف 2014، بدت هناك مؤشِّرات جديدة في خطاب حماس تتعلَّق بإمكانية إجراء مفاوضات ثنائيَّة بين حماس وإسرائيل. صحيح أنَّه لم يتمّ التَّشديد والتَّركيز عليها في الخطاب الإعلاميّ لدى حماس إلَّا أنَّ التَّصريحات والتَّلميحات الَّتي وردت على لسان موسى أبو مرزوق فاجأت المراقبين والجماهير، وخلقت جدلًا واسعًا في أوساط السَّاحة الفلسطينيَّة، وممَّا جاء على لسان أبو مرزوق قوله: "إلى الآن فإنَّ سياستنا كانت ألَّا نجري معهم مفاوضات، ولكن علينا أنْ نفهم أنَّ هذا الأمر ليس طابو إذا بقي الوضع الحالي كما هو؛ وإذا أصبح التَّفاوض مطلبًا شعبيًّا في قطاع غزَّة، وقد أصبح كذلك تقريبًا، فإنَّ حماس ستجد نفسها تقوم بمثل هذه السِّياسة"[2].

قد يعني هذا برأي الباحث أنَّ حماس أصبحت تجد في نفسها قوَّة مؤثِّرة، تستطيع استثمارها سياسيًّا كإجراء مفاوضات أو ما يشبهها –كما عبَّر أبو مرزوق– لتحقيق مكاسب ومطالب ناضلت من أجلها، مثل: إنشاء ميناء في غزَّة، وبناء مطار، وفتح المعابر على العالم الخارجيّ، وكسر الحصار المفروض منذ سنوات.

---

[1] قاسم، عبد السَّتَّار: الجديد في خطاب هنيَّة، وكالة نبأ الإخبارية المستقلَّة، 20 تشرين الأوَّل 2013. http://bit.ly/1TwZVj4.

[2] ليفي، اليئور: "حماس تفاجئ: لا نستبعد مفاوضات مباشرة مع إسرائيل"، أطلس للدِّراسات، ترجمة خاصَّة، http://bit.ly/1BlCvrk.

ويمكن استنتاج ذلك من خلال تاريخ وتجربة حماس الَّتي مرَّت بظـروف قاسـية فـي سنوات سابقة، وكانت ترفض نهج التَّفاوض؛ لاعتقادها أنَّ الظَّرف التَّـاريخيّ لا يسـمح لـذلك لأسباب مختلفة، وأهمُّها أنَّ موازين القوى كانت غير متكافئة، بينما اليـوم تغيَّـرت الظُّـروف الدَّوليَّة وأصبحت لدى حماس علاقات دوليَّة، وأوراق ضغط تملكها، كورقة الجنـود الأسـرى خلال العدوان على غزَّة في صيف 2014، والَّتي يمكن أنْ تستخدمها حماس في تغيير أو التَّأثير على قواعد اللُّعبة السِّياسيَّة؛ لتحقيق مكاسب لم يكن بالإمكان تحقيقها فيما مضى.

3.4.4 خطاب يمتاز بالتَّعدُّديَّة

يتميَّز خطاب حماس بتعدُّديَّته الَّتي ينتج عنها اختلاف مقصود فـي بعـض الأحيـان؛ فالخطاب السِّياسيّ لحماس يمتاز بتعدُّد مستويات صنع القرار، حيث تتَّضـح مسـتويات صـنع القرار من عدد متحدِّثيها الَّذين يشكِّلون أدوارًا مختلفة، إن وجود التَّعدُّديَّة في الأدوار والمتحدِّثين أمرٌ معتاد في كلّ الدُّول تقريبًا، إلَّا أنَّ هؤلاء المتحدثون باسم دولهم يتَّفقون على خـطّ سياسـيّ واحد منسجم مع أهداف وسياسة وتطلُّعات الدَّولة الواحدة التي يمثلونها وينطقون باسمها، بينمـا في طبيعة وظروف البيئة الَّتي تعمل من خلالها حماس؛ نرى هناك اختلافًا عن المـألوف فـي معظم الدُّول الَّتي تعكس وتمثِّل مصالح مجتمعاتها، ففي دراسة خطاب حماس نرى تعـدُّدًا فـي المتحدِّثين يُعطي انطباعًا أوَّليًّا وكأنَّ الحركة لديها مواقف مختلفة، وسياسات متباينة، ولكنَّ هـذا التَّعدد أتاح لحركة حماس –من ناحية أخرى– تمرير رسائل إعلاميَّة ناقدة للحكومة، ففي مطلع عام 2006 قرَّرت حماس الفصل بين تنظيمها من جانب، والحكومة والمجلس التَّشـريعيّ مـن جانب آخر، جاء ذلك على لسان نائب رئيس الوزراء–حينها– ناصر الدِّين الشَّاعر حيث قال: إنَّ "الحكومة الفلسطينيَّة لها ناطق رسميّ إعلاميّ، وما يصدر عنه هو فقط مـا تكـون الحكومـة مسؤولة عنه"، وهذا أتاح الفرصة لقيادات حركة حمـاس أنْ ينتقـدوا الحكومـة، دون خشـية إحراجها، وبالتَّالي يمكنهم التَّصريح بنبرة تصعيديَّة، ومن ثمَّ إعطاء فرصة–في إطـار مسـاحة المناورة– لتقوم الحكومة بالتَّهدئة المراجعة والتَّواصل[1].

[1] السَّمَّان، أحمد: **خطاب حماس الإعلاميّ مشروط ذاتيًّا وموضوعيًّا**، مرجع سابق.

4.4.4 خطاب حماس للفصائل

تجربة حماس التَّراكميَّة أوصلتها لما هي عليه اليوم، في إطار التَّدرُّج الطَّبيعيّ لحركة تطوُّر المجتمعات والدُّول. وهذا الصُّعود المتنامي لحماس يفرض عليها بطبيعة الحال عدم بقائها كيانًا (مقاومًا محدودًا) بالصُّورة التَّقليديَّة الَّتي نشأت عليها، ومن جهة أخرى فإنَّ إسقاط تجربة حركة فتح على حماس يشكِّل مقاربة مشوَّهة في استنادها إلى مجرِّد تشابهات شكليَّة، فيها إقحامات تخالف براغماتيَّة الواقع، كمؤشِّرات الخطاب السِّياسيّ لدى بعض قادتها المتعلِّق برؤية حماس السِّياسيَّة للصِّراع وتصوُّراتها لمستقبله، وخصوصًا ما يتعلَّق بالدَّولة على حدود 67.

صحيح أنَّه يؤخذ عليه أنَّه خطاب رماديّ، وغير واضح إلَّا أنَّه لا يفترض أصلًا بحماس أنْ تدخل في كلّ التَّفاصيل قبل أوانها، فمسألة الدَّولة ذات الحدود المؤقَّتة على سبيل المثال الَّتي تكلَّمت عنها حماس في بعض المناسبات بشكل مقتضب دون تفاصيل هي مجرد رسائل سياسيَّة، ولم ترقَ لاهتمام أكبر من ذلك، فلم تدخل في إطار برنامج سياسيّ مبنيّ على رؤية واضحة في هذا الشَّأن، في الوقت الَّذي ينبغي فيه أنْ تكون لغة الثَّوابت والحقوق غير القابلة للتَّأويل هي المسيطرة على الخطاب[1].

بعد فوزها في الانتخابات التَّشريعيَّة الفلسطينيَّة لعام 2006؛ تصدَّرت حماس العمل السِّياسيّ في إطار التَّنظيم الحكوميّ، وهذا مؤدَّاه أنَّ عليها التَّعامل مع مقتضيات العمل السِّياسيّ وتحمل تبعاته والتزاماته[2].

هنا رأت حماس أنْ تقوم بترتيب الوضع الفلسطينيّ الدَّاخليّ؛ لتمارس بعد ذلك سياسة قويَّة تنطلق من قواعد الوحدة الوطنيَّة الَّتي سعت حماس منذ البداية إلى تحقيقها وتفعيلها على شكل شراكة سياسيَّة في إطار الحكومة الجديدة، إلَّا أنَّ هذه الخطوة لم تكلَّل بالنَّجاح، ودخلت السَّاحة الفلسطينية مرحلة صعبة من صراع الصَّلاحيات بين فتح وحماس، انتهت إلى صراع

[1] وكالة الرَّأي: حماس بين حتميَّة التَّطوُّر وركيزة الثَّبات، تقارير، 15 حزيران 2010. http://bit.ly/1N5FN37 .

[2] الرَّئيس القائد، وثائق، الميثاق الوطنيّ الفلسطينيّ، http://bit.ly/1GczN3K.

مسلَّح على إثره انقسم الطَّرفان: حماس سيطرت على غزَّة، وفتح على الضفة. وبدأت مرحلة جديدة مليئة بمحطَّات الحوار الوطنيّ، وجلسات المصالحة.

في هذا السِّياق يعلِّق المحلِّل السِّياسيّ أسعد أبو شرخ على خطاب هنيَّة –بمناسبة مرور اثنين وعشرين عامًا على انطلاقة حماس؛ أيْ بعد مرور عامين على الانقسام– قائلًا: "دعوة هنيَّة لحركة فتح رسالة متميِّزة مفادها أنَّ إعادة اللُّحمة الوطنيَّة لن تأتي بإلغاء الطَّرف الآخر، وأنَّ المصالحة يجب أنْ تنطلق من الحفاظ على الثَّوابت والحقوق الفلسطينيَّة"[1]، وذلك في إشارة واضحة أنَّ حماس تسير باتِّجاه إنهاء الانقسام، وتولي هذا الموضوع أهميَّة كبيرة.

وقال هنيَّة –في خطاب ألقاه بمناسبة انطلاقة حماس الحادية والعشرين، يوم 15 كانون الأوَّل 2008، بعد مرور سنة على الانقسام–: "... نحن في مرحلة تحرُّر ولا نريد أنْ نكون القوَّة الوحيدة على السَّاحة، ولا نحبّ أن يزول إخواننا من الفصائل الأخرى عن السَّاحة، نحن نريد كلّ القوى أنْ تبقى قويَّة في وجه الاحتلال، ولا نريد أنْ نستثنى أحدًا، ولا نريد أنْ نضعف أحدًا، ولا نؤمن بالإقصاء، ونريد أنْ نعمل ونتعاون مع الجميع من أجل فلسطين حرَّة أبيَّة"[2]. بعد نحو سبع سنوات من الانقسام قدَّم خالد مشعل خطابًا من الدَّوحة، قال عنه كتاب ومحلِّلون: إنَّه دشَّن مرحلة جديدة، تطوي صفحة الانقسام الَّتي استمرَّت وطال أمدها[3].

وتعقيبًا على ما قاله هنيَّة في خطابه كان موقف أهم الفصائل الفلسطينية الفاعلة على النَّحو الآتي: فقد أكَّدت حركة الجهاد الإسلاميّ أنَّ الخطاب كان إيجابيًّا وشاملًا، وهو محلّ دراسة واهتمام، معتبرة أن هنية تطرَّق لقضايا وملفَّات مهمَّة تخصّ القضيَّة الفلسطينيَّة.

وبالانتقال لموقف الجبهة الشَّعبيَّة لتحرير فلسطين، فقد عبَّر عن موقفها القيادي ربَّاح مهنا الَّذي عدَّ أنَّ خطاب هنيَّة كان إيجابيًّا، وأنَّه تحدَّث فيه بشكل جيِّد عن المقاومة بأشكالها

---

[1] ساق الله، ياسمين: خطاب هنيَّة بداية انفراج سياسيّ، الرِّسالة نت، 14 حزيران 2009. http://bit.ly/1J5GJpB .

[2] خطاب إسماعيل هنيَّة في مهرجان حماس 21، المركز المعاصر للدِّراسات وتحليل السِّياسات، وثائق، 15 كانون الأوَّل 2008. http://bit.ly/1G6wpHH.

[3] الجرجاوي، أيمن: خطاب مشعل دشَّن لمرحلة جديدة، صفا وكالة الصَّحافة الفلسطينيَّة، 21 أيار 2014. http://safa.ps/post/129040.

كافَّة، وتحرير كلّ فلسطين، وانتقاد المفاوضات والمطالبة بإيقافها، مشيرًا إلى أنَّه كان ينقصه بعض المطالب الَّتي تمنَّى أنْ يتضمنها الخطاب.

أمَّا حركة الأحرار فمن جهتها أكَّدت أنَّ هنيَّة نجح في تشخيص مواطن الألم والوجع الفلسطينيّ، وحدَّد رؤية وطنيَّة جامعة؛ لعلاجها، وتجاوزها على أرضيَّة المقاومة الَّتي تمثِّل قاعدة أساسيَّة لوحدة شعبنا الفلسطينيّ. وقال سالم عطا الله المفوض الإعلاميّ لحركة المجاهدين: "إنَّ هنيَّة تبنَّى خيار الشَّعب الفلسطينيَّ؛ من خلال حديثه عن قضية الأسرى، ووفاء الأحرار، وذكر الشُّهداء القادة: أحمد الجعبري، والشَّهيدين فروانة والرَّنتسي"[1].

بعد سبع سنوات على الانقسام جاء خطاب خالد مشعل، يوم 20 أيَّار2014، على إثر انطلاق عجلة المصالحة، وبعد الانتهاء من الكلمة الَّتي استمرَّت مدَّة 40 دقيقة، قال مسؤول سياسيّ في حماس شارك بصياغة خطاب مشعل: "طبيعي أنْ تأخذ المصالحة كلّ هذه المدَّة لأكثر من 20 دقيقة؛ لأنَّ الفلسطينيِّين بحاجة لكلمات مطمئنة وسط مخاوف من عدم نجاح المصالحة، وجاء الخطاب معدِّدًا إيجابيَّاتها، وسلبيَّات غيابها، وتعمَّدت الحركة في ترتيبات الخطاب عدم وضع أيّ راية لها في المؤتمر، والاكتفاء بعلم فلسطين؛ لتغليب البعد الوطنيّ على الجانب الحزبيّ"[2].

يعتقد عدنان أبو عامر أنَّ الخطاب "...كان شاملًا وجاء تتويجًا لما أسماها مراجعات وتحوُّلات أجرتها حركة حماس مؤخَّرًا، معتبرًا ذلك توجُّهًا نحو الوطنيَّة الفلسطينيَّة أكثر من ذي قبل"[3]. يضيف معلِّقًا على كلمة (تنازل) الَّتي أوردها خالد مشعل في خطابه مرارًا وتكرارًا، بقوله:"حماس قدَّمت تنازلات مع فتح، والتَّنازل للإخوة الأشقَّاء ضرورة لا نندم عليها"، وهذا يعدُّ

---

[1] جبر، محمد: "الفصائل: خطاب هنيَّة شامل ووحدويّ"، فلسطين الآن، الأحد 20 تشرين الأوَّل 2013. http://bit.ly/1G6uP8H.

[2] أبو عامر، عدنان: "خطاب مشعل: رسائل في الدَّاخل والخارج"، نبض فلسطين، 27 أيَّار2014. http://bit.ly/1JWkD97.

3 المرجع السابق.

"دعامة أساسيَّة لطي صفحة الانقسام لغير رجعة؛ وخطوة متقدِّمة للأمام، وتقوية كبيرة للجبهة الدَّاخليَّة"[1].

أعلن هنيَّة في وقت سابق، عام 2014؛ عامًا لتحقيق المصالحة الفلسطينيَّة، وحماية الثَّوابت الوطنيَّة، وإطلاق مشروع الانتخابات النَّقابيَّة والمجتمعيَّة، وتشكيل المجالس البلدية"[2].

وكان رئيس الحكومة الفلسطينية إسماعيل هنيَّة، قال: "إنَّنا سنتَّخذ في القريب العاجل قرارات مهمَّة على صعيد العلاقة الوطنيَّة الدَّاخلية؛ من أجل خلق مناخ وطنيّ أكثر ملاءمة، ولتمهيد الطَّريق لتحقيق المصالحة المجتمعيَّة بقطاع غزَّة والضِّفة الغربيَّة، ومن ثَمَّ لتحقيق المصالحة العامَّة". وتابع: "ندخل عامنا الجديد ونحمل لشعبنا أمورًا فيها الخير، ونحن كحكومة وحركة أكثر استعدادًا في 2014 لتحقيق المصالحة، وإنهاء الانقسام الفلسطينيّ، وذلك بالنَّظر للتَّحديات، والمخاطر الَّتي تتضمَّنها المشاريع الأمريكيَّة الهادفة لتصفية القضيَّة".

5.4.4 خطاب المقاومة

يرى بعض الخبراء والمراقبين أنَّ مزاوجة حماس بين العمل المقاوم والسِّياسيّ معًا؛ جعل حماس تحافظ بسلوكها المقاوم على الأرض، ومؤسَّساتها الخيريَّة على نمطها الدَّعويّ الاجتماعيّ، ما يدعوها- من وجهة نظرهم- إلى التَّوجُّه نحو المجتمع الدَّوليّ، والخوض الدُّبلوماسيّ مع العالم الغربيّ الأوروبيّ كمؤسَّسة رسميَّة تُدير دفَّة الحكم باقتدار[3].

يبدو أنَّ حماس كانت تسعى للوصول عبر برنامجها السِّياسيّ؛ إلى ما تقدَّم به هؤلاء الخبراء والمراقبون، ولكنَّ الواقع الَّذي واجهته حماس، وحجم التَّحدِّيات الكبيرة، ممثَّلة بالعقوبات الَّتي فرضها الاحتلال وحلفاؤه من حصار، وعزلة سياسيَّة، واعتداءات متكرِّرة؛ استنزفت طاقات الحكومة والمجتمع في غزَّة. كلّ ذلك جعل المقاومة الَّتي تقودها حماس تسلك

---

1 أبو عامر، عدنان: "**خطاب مشعل: رسائل في الدَّاخل والخارج**"، مرجع سابق.

[2] فلسطين أون لاين: حماس تقدِّم خطابًا وحدويًّا.. وردَّ فتح ليس بالمتوازي، سياسيّ، السَّبت 4 كانون الثَّاني 2014، http://bit.ly/1TwXKfx.

[3] عوض الله، مي: **بعد 25 عامًا كيف طوَّرت حماس نفسها على الصَّعيدين المقاوم والسِّياسيّ؟**، مرجع سابق.

إستراتيجيَّات عسكريَّة مدروسة، فرضتها عليها طبيعة المواجهة، والتَّحدِّيات الَّتي عرقلت الصُّعود الدُّبلوماسيّ الهادئ للحكومة الفلسطينيَّة الَّتي شكلتها حماس في مطلع العام 2006.

الحكومة الَّتي شكَّلتها حماس رفضتها إسرائيل، بل شنَّت عليها حرب متشعبة على عدة جبهات (multi wars)، كما كان متوقَّع، وكانت ردَّة الفعل الإسرائيليَّة –وبضوء أخضر من حلفائها– أنْ قامت باعتقال نوَّاب كتلة التَّغيير والإصلاح البرلمانيَّة؛ لشلّ قدراتها السِّياسيَّة، وبعد سيطرة حماس على غزَّة، تمَّ تصنيف القطاع المحاصر من قبل إسرائيل على أنَّه "كيان معادٍ"[1].

حسام الدَّجنيّ الكاتب السِّياسيّ أوضح أنَّ صمود حماس، وعدم تخلِّيها عن الثَّوابت الَّتي أكَّدتها في ميثاقها؛ ساهم في التفاف العالم العربيّ والإسلاميّ حولها ودعمها[2]. ويمكن استجلاء الدَّعم الشَّعبيّ العربيّ والغربيّ لقضية الشَّعب الفلسطينيّ ومقاومته من خلال قوافل كسر الحصار الَّتي وفدت على غزَّة إبَّان الحصار، في محاولة منها للتَّخفيف عن الإنسان الفلسطينيّ من آلام الحصار، وآثاره المدمِّرة ماديًّا ومعنويًّا، في خطوة إنسانيَّة بغطاء قانونيّ؛ لكسر الحصار المطبق على أكثر من مليون ونصف إنسان، في بقعة جغرافيَّة تعدُّ الأعلى كثافة سكانيَّة في العالم.

وفي دلالةٍ واضحة على تطوُّر الخطاب السِّياسيّ لحماس، يقول حسام الدّجنيّ: "يُحسب للحركة المقاومة أنَّها على الرَّغم من تطوُّر فكرها واتِّجاهها إلى تغيير[3] ميثاقها الَّذي وضعته قبل 25 عامًا عبر مواقفها السِّياسيَّة الأخيرة، بإعلان دعمها لخطوة الرَّئيس أبو مازن في الأمم المتَّحدة، إلَّا أنَّها تُصرّ على أنْ تكون الدَّولة كاملة السِّيادة على تلك الأراضي 67 ابتداءً، وصولًا إلى تحرير كامل التُّراب، وعدم الاعتراف بـ"إسرائيل"[4].

---

[1] شبكة فلسطين للإعلام والدِّراسات، قطاع غزَّة كيان معاد... وإسرائيل ماذا تكون؟!، http://bit.ly/1Im4IPY.

[2] عوض الله، مي: **بعد 25 عامًا كيف طوَّرت حماس نفسها على الصَّعيدين المقاوم والسِّياسيّ؟**، مرجع سابق.

[3] يفهم من السِّياق أنَّ التَّغيير هنا ليس الانسلاخ أو التَّخلِّي عن الميثاق أو عن بعض ما جاء فيه على غرار تجربة منظَّمة التَّحرير الَّتي ألغت موادّ من الميثاق الوطنيّ الفلسطينيّ استجابة لشروط "عمليَّة السَّلام"، وبالتَّالي غيَّرت في المنطلقات والأسس الفكريَّة والفلسفيَّة للميثاق الوطنيّ باعتباره إطارًا فكريًّا لحركة تحرُّر وطنيّ تؤمن بالكفاح المسلَّح طريقًا للتَّحرير، ولكن في تجربة حماس المعنى المفهوم هنا بمعنى تطوير الوسائل والإستراتيجيَّات وترميم المفاهيم وبنائها مع الحفاظ على أسس الفلسفة الفكريَّة والمنطلقات الَّتي تقوم عليها حماس وتؤمن بها باعتبارها نهجًا للتَّحرير، وأنَّه لا مبرِّر لوجود حماس بدون الأسس والمنطلقات الفكريَّة الَّتي يمكن –إن جاز– تلخيصها بمقولة: "ما أخذ بالقوة لا يستردّ إلا بالقوَّة".

[4] عوض الله، مي: **بعد 25 عامًا كيف طوَّرت حماس نفسها على الصَّعيدين المقاوم والسِّياسيّ؟**، مرجع سابق.

من جهته قال المحلِّل السِّياسيّ نعيم بارود –في حديثه للرِّسالة نت عن خطاب رئيس الوزراء الفلسطينيّ إسماعيل هنيَّة في ذكرى انطلاقة حماس الثَّانية والعشرين:" أكَّد هنيَّة في خطابه على أنَّ حماس نجحت في إدارة غزَّة بعد مشاركتها في الانتخابات التَّشريعيَّة، وهذه رسالة واضحة تحمل معنيين: الأوَّل أنَّ حماس لديها القدرة والبرامج والمفاهيم لفرض الاستقرار والأمان...أمَّا الثَّانية أنَّ حماس جاءت لهذا المنصب بشرعيَّة نزيهة، بعد مشاركتها بالانتخابات التَّشريعيَّة"[1].

ويضيف بارود: "أوضح هنيَّة أنَّ الحصار جاء لكسر إرادة الشَّعب الفلسطينيّ، وتحديدًا حماس، فهي رسالة متجدِّدة بأنَّ العالم لن ينتزع من حماس المواقف، بل إنَّ مواقفها تأتي بعد دراسة شاملة، ومشاورات واضحة بين قيادات الدَّاخل والخارج "، مبيِّنًا أنَّ خطاب هنيَّة يحمل رسائل بليغة[2]. "وإشارة واضحة لإسرائيل وللعالم أنَّ ما يأخذ بالقوَّة لا يستردّ إلَّا بالقوَّة"[3]، كما قال.

وفي لقاء مع خالد مشعل بعد عمليَّة اختطاف الجنود الثَّلاثة منتصف عام 2014؛ قال مشعل: "لا يمكنني أنْ أثبت أو أنفي اختطاف الجنود من أيّ طرف كان، ولكن على جميع الأحوال بوركت أيدي من أسرهم؛ لأنَّ أسرانا يجب أنْ يخرجوا من سجون الاحتلال"[4]. خطاب مشعل أحدث تفاعلًا سياسيًّا على السَّاحة الفلسطينيَّة؛ حيث رأى سياسيُّون ومراقبون أنَّه تميَّز بحنكة، ودقَّة في التَّعبير عن الأحداث الجارية في فلسطين[5].

وعدَّ وسام عفيفة أنَّ خطاب هنيَّة –الَّذي ألقاه في الذِّكرى الثَّانية لصفقة تبادل الأسرى مع الجندي شاليط– جاء في وقت مهمّ بالنِّسبة للشَّعب الفلسطينيّ، ومقاومته موضِّحًا بذلك أنَّ ما سيتحدَّث عنه الخطاب من ملفَّات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمقاومة[6].

---

[1] ساق الله، ياسمين: **خطاب هنيَّة بداية انفراج سياسيّ**، مرجع سابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

[4] صالح، نور الدِّين: خطاب مشعل يغتال نتنياهو معنويًّا، الرِّسالة نت، 24 حزيران 2014.http://bit.ly/1JWrr6L .

[5] المرجع السابق.

[6] الحلبيّ، عمر: خطاب هنيَّة شامل وأزال غشاوة الملفَّات، فلسطين الآن، الأحد 20 تشرين الأوَّل 2013. http://bit.ly/1TwUkZX.

وكي تكتمل صورة الخطاب السِّياسيّ لحماس حول المقاومة؛ يبيِّن هاني المصريّ –في تحليله لخطاب حماس– أنَّ حماس لم تكتسب هذه القوَّة في خطابها، وهذا التَّأثير، وقوَّة الجذب الشَّعبيّ على المستوى المحليّ، والاقليميّ؛ إلَّا من خلال استناد خطابها إلى الاستعدادات، والقدرات العسكريَّة المميَّزة، ويظهر ذلك في التَّسليح، وقدرات الصَّواريخ ومدياتها المتطوِّرة نسبيًّا، بالمقارنة مع الحروب الَّتي خاضتها حماس في السَّابق.

هذا المؤشِّر يحسب لحماس في سعيها لتطوير قدراتها، بالإضافة إلى المعارك البحريَّة والبريَّة، وصهر نظريَّة الرَّدع الإسرائيليَّة بنيران المقاومة وإذابتها، ولكنَّه بالغ أحيانًا بمدى ما يمكن أنْ تحقِّقه المقاومة، وقلَّل كثيرًا من تأثير الخسائر الفلسطينيَّة الضَّخمة[1].

ومن وجهة نظر الباحث فيما يتعلَّق بقضية "المبالغة بالإنجاز أو التَّقليل من الخسائر"؛ فإنَّه على ما يبدو أنَّ فيه توظيفًا للحرب النَّفسيَّة، ونوعًا من التكتيك الإعلاميّ، دون التَّغيير من الحقائق والوقائع، ما يمكن أنْ يعدَّ تضليلًا أو كذبًا؛ فممارسة حماس وتجربتها في المقاومة عزَّز من مصداقيتها عند العدوّ قبل الصَّديق، وهذا لا يحتاج إلى كثير من الدَّلائل سوى تتبُّع الأحداث والخطابات الَّتي كان يلقيها المتحدِّث باسم كتائب القسَّام "أبو عبيدة" الَّذي كان ينتظره الجمهور بكلّ ألوانه وأطيافه بشغف؛ لما لخطابه من وقع في النُّفوس، فلو لم تكن هناك مصداقيَّة لما كان هذا الحجم من الاهتمام والمتابعة بخطابات كتائب القسَّام.

لقد اعترف الاحتلال أثناء العدوان على غزَّة أنَّ الإسرائيليِّين أصبحوا أكثر اهتمامًا بمتابعة خطابات كتائب القسَّام الَّتي يصدرها "أبو عبيدة"، مشيرين بأنَّه عقب إعلان القسَّام عن أسر الجندي أورون شاؤول سجَّل 2.5 مليون عمليَّة بحث عن أبي عبيدة على محرِّك البحث "جوجل"[2].

---

[1] المصريّ، هاني: الخطاب الفلسطينيّ أثناء وبعد العدوان الإسرائيليّ على قطاع غزَّة، جريدة حقّ العودة العدد 60، 18 كانون الأوّل 2014، ص5. http://bit.ly/1LkCGD9.

[2] وكالة صفا: "أبو عبيدة " مصداقيَّة الخطاب والظُّهور الَّذي يترقَّبه الملايين، 09 آب 2014، http://bit.ly/1HqgA4B.

وفي السِّياق ذاته يقول عبد السَّتَّار قاسم: إنَّ "خطاب المقاومة يشهد تحوُّلًا نوعيًّا في هذه الحرب، ويتمتَّع بالمصداقيَّة، وهو يصدر عن أشخاص ذوي رؤية إستراتيجيَّة، وليسوا ارتجاليِّين"[1].

[1] وكالة صفا: "**أبو عبيدة " مصداقيَّة الخطاب والظُّهور الَّذي يترقَّبه الملايين**، مرجع سابق.

الخاتمة

هدفت هذه الدِّراسة إلى الإجابة على سؤال مدى تأثير حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس على التَّنمية السِّياسيَّة في قطاع غزَّة؛ من خلال الجمع بين السُّلطة والمقاومة، في الفترة الواقعة بين عامي 2005–2014. وجاءت الإجابة على السُّؤال من خلال معالجة مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة بإعادة صياغة المفهوم من جديد، بما يتناسب مع خصوصيَّة الحالة الفلسطينيَّة، بالإضافة إلى تتبُّع السُّلوك السِّياسيّ، والأداء المقاوم للحركة من خلال مسيرتها في الحكم والمقاومة، والمزاوجة بينهما في آن واحد معًا. ومن ثمَّ انتقلنا في الدِّراسة إلى رصد بعض المؤشِّرات التَّنمويَّة كالتَّعدُّديَّة، والحرِّيَّات، والشَّراكة، والخطاب السِّياسيّ.

شكَّلت التِّكنولوجيا ووسائلها الحديثة مصدرًا مهمًّا لقوَّة حماس كحركة مؤسَّساتيَّة، وبالتَّالي فقد أثَّرت وأسهمت في التَّخطيط، ورسم السِّياسات، وتحديد المسارات لدى حماس.

لقد أثبتت الدِّراسة أنَّ حماس دأبت على مواكبة الحداثة، والسَّعي الحثيث وراء التَّطوُّرات الَّتي تساعدها في مجال تعزيز قدراتها، وتفيدها في ميدان الصِّراع مع الاحتلال.

إنَّ المجالات الَّتي أولتها حماس أهميَّة في الجوانب التَّطويريَّة، ومتابعة الحداثة في المجالات العلميَّة والعسكريَّة؛ شكَّلت نقلة نوعيَّة للمقاومة الفلسطينيَّة في ميادين المواجهة والصراع مع الاحتلال، والفضاءات الإعلاميَّة، والسِّياسات الإقليميَّة، وهذا ينقلنا إلى طبيعة العالم الَّذي نعيش فيه، والَّذي لم يعد فيه مكان لحجب المعرفة والمعلومات عمَّن يسعى للوصول إليها.

وأخيرًا يمكن القول إنَّ حماس تمثِّل تجربة وليدة وفريدة فلسطينيًّا، وهي بالطَّبع ليست التَّجربة الأولى عربيًّا، فقد سبقها حزب الله في ميدان بناء القوَّة، والاستفادة من العلم، والتِّقنيَّة التِّكنولوجيَّة، وهذا يشير إلى الأهميَّة الَّتي تلعبها التِّقنية التِّكنولوجيَّة في رسم معالم القوَّة والصِّراعات والتَّأثير في نتائجها، لكن بالطَّبع دون إغفال أهميَّة عوامل أخرى كثيرة؛ فالعامل التِّكنولوجيّ لا يعدُّ دائمًا عامل الحسم الوحيد في معادلة موازين القوى.

النَّتائج والتَّوصيات

أوَّلاً: النَّتائج

إنَّ أهمَّ النَّتائج الَّتي توصَّلت إليها الدِّراسة تتمثَّل في الآتي:

1- واكب التَّقدُّم المقاوِّم لحركة حماس تطوّر موازٍ في الأداء السِّياسيّ؛ فقد أكسبتها التَّجربة خبرة مهمَّة، ونضجت تجربتها السِّياسيَّة على صعيد البرنامج والخطاب بصورة سريعة، وربَّما قياسيَّة مقارنة بتجارب أخرى في السَّاحة الفلسطينيَّة والعربيَّة.

2- إنَّ تركيز حماس على بناء القوَّة العسكريَّة، وزيادة قدرات جناحها المسلح "كتائب الشَّهيد عزِّ الدِّين القسَّام"؛ ساعد في تأدية حماس دورها الوطنيّ والتَّاريخيّ المنوط بها، كما تبيَّن من خلال الملاحظة أنَّ الذِّراع العسكريّ لحماس يمتلك وسائل هجوميَّة إستراتيجيَّة، تتمثَّل معظمها في الصَّواريخ والقذائف، المتطوِّرة باضطراد مع مرور الوقت، وهو ما يشير إلى رغبة حماس في مواصلة استهداف المواقع الإسرائيليَّة، العسكريَّة والإستراتيجيَّة في العمق الإسرائيليّ، من خلال لجوئها إلى التَّطوير المستمرّ؛ بهدف تحقيق توازن في القوَّة وسلاح رادع يحسب له حساب. نلاحظ أنَّ تطوير القدرة الصاروخية لدى حماس صاحبها التركيز على ثلاثة جوانب والتي يمكن تسميتها بـــ "مثلث القدرة الصاروخية لكتائب القسام": أوَّلها- إطالة أمد تلك الصَّواريخ، وثانيها- زيادة القوَّة التَّدميريَّة، وآخرها- زيادة دقَّة التَّصويب على الأهداف المراد إصابتها.

3- تؤثِّر وسائل التِّكنولوجيا في تغيير الواقع، وبناء الخُطط، ورسم السِّياسات، وتحديد الاتِّجاهات والمسارات، واتِّخاذ المواقف. ومن هنا نرى أنَّ أبرز نجاحات حماس تمثَّلت في جناحها العسكريّ؛ فهو قوَّة رئيسة وأُولى في المواجهة المسلَّحة ضدَّ المحتلِّ، وقد تمكَّنت من تطوير أدائها الجهاديّ كمًّا ونوعًا. وشكَّلت انتفاضة الأقصى والمواجهات الَّتي خاضتها مع إسرائيل ما بين عامي 2006-2014؛ ذروة التألُّق في أداء الحركة العسكريّ، وأسفرت مقاومتها بجانب الجهود المقدَّرة من بقية الأجنحة العسكريَّة؛ عن دحر الاحتلال عن قطاع

غزة، في سابقة هي الأولى من نوعها في السَّاحة الفلسطينيَّة، يتمُّ فيها كنس الاحتلال عن جزء من الأرض تحت ضغط ضربات المقاومة.

4- ظهرت براغماتيَّة حماس من خلال قدرتها على الجمع بين ثنائيَّات متناقضة كالمقاومة والسُّلطة، والتَّوفيق بين المبادئ والمصالح؛ فكانت قادرة نسبيًّا على التَّكيُّف مع طبيعة كلّ مرحلة من المراحل المتحوِّلة في تاريخ القضيَّة الفلسطينيَّة منذ مطلع العقد الأخير في القرن المنصرم، مع الحفاظ على شخصيَّتها وهويَّتها في الوقت ذاته. وقد أظهرت الحركة صلابة واضحة إزاء مسألة الاعتراف بإسرائيل، وأعلنت بوضوح رفضها الاعتراف بشرعيَّة الاحتلال على أيِّ جزء من الأرض الفلسطينيَّة، ووضعت خطوطًا فاصلة بين الاعتراف بشرعيَّة الاحتلال، وبين التَّعامل السِّياسيّ الواقعيّ الَّذي لا يضفي شرعيَّة على أمر واقع مختلٍّ، كما تمكَّنت من تطوير فكرة الهدنة طويلة المدى الَّتي طرحها مؤسِّس الحركة الشَّيخ أحمد ياسين منذ وقت مبكِّر، وبلورتها في برنامج سياسيّ يحافظ على الثَّوابت الفلسطينيَّة.

5- لقد نجحت الحركة كذلك في بناء شبكة علاقات سياسيَّة واسعة على المستويين الإقليميّ والدَّوليّ، دون أنْ تسمح لهذه العلاقات بأنْ تؤثِّر في استقلاليَّتها؛ حيث نجحت في إقامة علاقات متوازنة، دون ارتهان لطرف من الأطراف، وبعيدًا عن الانحياز لجهة ضدَّ أخرى بوجه عامٍّ، باستثناء ما تبع الرَّبيع العربيّ من اصطفاف حماس تجاه ثورات الشُّعوب في مصر وسوريا على وجه التَّحديد.

6- لقد شكّل قرار الحركة المشاركة في انتخابات المجلس التَّشريعيّ؛ نقطة تحوّل مهمَّة في مسار الحركة السِّياسيّ، نقلتها من واقع إلى واقع جديد، بمعطيات مختلفة كثيرًا عن المراحل السَّابقة. لقد نقلها الفوز الكاسح الَّذي فاجأ الجميع، من صفوف المعارضة إلى مقاليد الحكم، وفرض عليها مواجهة تحدِّيات جديدة بوتيرة متسارعة. وزاد من أهميَّة هذه التَّحدِّيات أنَّ خصوم حماس رفضوا التَّسليم بنتائج الانتخابات، والخضوع للإرادة الشَّعبيَّة. كما أن دخول حماس في الانتخابات، والفوز الكبير الَّذي حققته؛ منحها شرعيَّة قويَّة استطاعت بموجبها أنْ تدافع عن برنامج المقاومة، وأنْ تحافظ عليه وترعاه. لقد صادت حماس عصفوران بحجر

واحد؛ العصفور الأول بسط سيطرتها على قطاع غزَّة، وهنا يبدو أنَّ غطاء الشَّرعيَّة ساعد حماس على تفعيل دورها التنفيذي والذي من خلاله استطاعت حمـــاس حمايـــة كينونتهـــا، وتثبيت دعائم سلطتها، وتطوير قدراتها في المقاومة. ولو لم تكن حماس منتخبة مـــن قِبَـــل غالبيَّة الشَّعب الفلسطينيّ لما استطاعت بسط سيطرتها والوصول بقوَّتها العسكريَّة لما هـــي عليه اليوم ولأصبحت المقاومة في غزَّة ضعيفة وملاحقة ومستهدفة كحال المقاومـــة فـــي الضِّفة الغربيَّة. والعصفور الثاني هو استمرار حماس في تعظيم وتطوير قوَّتها العســـكريَّة وبقائها متمسِّكة بخيار المقاومة المسلَّحة ضدَّ الاحتلال.

وهذا ما تؤكِّده مسيرة كتائب القسَّام منذ العام 2005، حيث بدأت بالإعداد لمرحلة جديدة أطلقت عليها مرحلة "بناء القوَّة"[1]، وانتقالها من دائرة ردِّ الفعل إلى دائرة الفعـــل المبنـــيّ علـــى تخطيط مدروس، وقدرة تكنولوجيَّة متناسبة مع ظروفها وموقعها وإمكانيَّاتهـــا، بالمقارنـــة مـــع الظُّروف المعقَّدة والمتداخلة الَّتي تمرُّ بها فلسطين والسَّاحة الإقليميَّة، فعملـــت علـــى توظيـــف إمكانيَّاتها لتطوير قدراتها الميدانيَّة، تحسبًا لأيِّ حرب قد تقع بين المقاومة واسرائيل. وهذا مـــا أكَّدته المعارك بين المقاومة واسرائيل بدء من الوهم المتبدِّد في صـــيف 2006، وصـــولًا إلـــى معركة العصف المأكول في صيف 2014.

7- اعترفت إسرائيل في مناسبات مختلفة أنَّ حماس حقَّقت تفوُّقًا في مجال "حـــرب العقـــول"، واستطاعت أنْ تؤثِّر وتغيِّر في موازين القوى، وفرض معادلات وتوازنات لم تكن سابقًا.

8- حماس بعد سيطرتها على غزَّة تحسب خطواتها، وتقدِّر أفعالها، وتستفيد من تجاربهـــا؛ لأنَّ الخسارة إن وقعت فلن يكون بعدها خسارة لأنَّها ستكون الخسارة الأخيرة، فهي تدرك جيِّدًا حدود قدراتها، وموقعها، وتأثيرها كلاعبٍ في ميدان الصِّراع، وتعترف بمحدوديَّـــة قوَّتهـــا العسكريَّة بالمقارنة مع القوَّة العسكريَّة الإسرائيليَّة.

[1] أبو عامر، عدنان: **قراءة الشَّاباك الإسرائيلي لعمليَّات حماس 2005- 2009**، مرجع سابق.

9- شكَّلت حماس حالة فلسطينيَّة متفوقة نوعا وأداءا في ميدان توظيف التِّكنولوجيا في عمل المقاومة؛ فكانت متفوقة وذات بصمة واضحة في تصنيع أدوات ووسائل متطوِّرة بالمقارنة مع الوسائل والأدوات التَّقليديَّة البسيطة، وكانت الأولى في إطلاق الإعلام الإلكترونيّ المقاوم الَّذي حصل على شهادة دوليَّة بفعل تأثيره وتميُّزه.

ثانياً: التَّوصيات

يضع الباحث أهمَّ التَّوصيات بناءً على نتائج الدِّراسة على النَّحو الآتي:

1- توصي الدِّراسة بإنشاء مراكز للدِّراسات والأبحاث؛ لتقوم بدور دراسة ورصد وتتبُّع الظَّواهر السِّياسيَّة، والاجتماعيَّة، والتِّكنولوجيَّة، والاقتصاديَّة؛ لتقييم مساراتنا التنموية، وتقويم السِّياسات الَّتي نسلكها في سبيل تحقيق النهضة التنموية في فلسطين، من خلال التَّخطيط القوميّ الجادّ، والعمل على أسس علميَّة منظَّمة ومدروسة، وبعيدة عن الارتجاليَّة، ومجرَّد ردَّات الفعل في التَّعاطي مع الأحداث الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة.

2- توصي الدِّراسة بتفعيل دور مؤسَّسات المجتمع المدنيّ، بجانب دور المؤسَّسات الحكوميَّة والوطنيَّة، واستلهام الدُّروس، والاستفادة من التَّجارب والنَّماذج الَّتي حقَّقت نجاحات نسبيَّة في مجالات التَّنمية الشَّاملة، ومن الأمثلة الحاضرة في هذا المجال: التَّجربة التُّركيَّة، والتَّجربة الماليزيَّة.

3- توصي الدِّراسة بضرورة وأهميَّة تضافر الجهود المؤسساتيَّة الوطنيَّة في إيجاد مناخ إعلاميّ؛ يهدف إلى تعزيز وتماسك اللُّحمة الوطنيَّة، ومناهضة الانقسامات، وتوظيف الإعلام في خدمة المصلحة الوطنيَّة، وتعزيز الجبهة الدَّاخليَّة، والالتزام بمعايير المهنيَّة؛ من خلال صياغة ميثاق شرف إعلاميّ يهدف إلى الارتقاء والنُّهوض بقطاعات المجتمع على اختلاف تنوعاتها.

4- توصي الدِّراسة بمراجعة وإعادة دور التَّعليم وإصلاحه وتطويره؛ ليصبح قادرًا على إنتاج أجيال تتسلَّح بالكفاية العلميَّة، والقدرة المهنيَّة على التَّخطيط والإدارة الرَّاشدة، وبناء

إستراتيجيَّات تساهم في بناء المجتمع والدَّولة على قواعد وأسس علميَّة سليمة، والاستفادة من أدوات التَّحديث (التِّقنية التِّكنولوجيَّة) في عملية البناء، وتطوير القدرات، والتَّواصل الفعَّال مع العالم؛ من أجل الاستفادة من الجديد النافع والحفاظ على القديم الصَّالح بما يتلاءم مع ظروف الحالة الفلسطينيَّة وواقعها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

ميثاق حماس.

الكتب

ابن خلدون، عبد الرَّحمن: **مقدمة ابن خلدون**، بيروت، دار الفكر، 2001.

ابن يوسف، أحمد: أحمد **ياسين الظَّاهرة المعجزة وأسطورة التَّحـدِّي**، عَمَّـان، دار الفرقـان، 1990.

تلحميّ، شبليّ: **المخاطر "أمريكا في الشَّرق الأوسط: عواقب القوَّة وخيار السَّلام"**، الرِّيـاض، مكتبة العبيكان، ط1، 2005.

حرب، أسامة الغزاليّ: **الأحزاب السِّياسيَّة في العالم الثَّالث**، سلسلة عالم المعرفـة رقـم 117، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب في الكويت، أيلول 1987.

الحروب، خالد: **حماس: الفكر والممارسة السِّياسـيَّة**، بيروت: مؤسَّسة الدِّراسات الفلسـطينيَّة، ط 1996.

دود، س، هـ: **التَّنمية السِّياسيَّة**، ترجمة عبد الهادي الجوهريّ، القاهرة، مكتبة نهضة الشَّرق، 1987.

رزقة، يوسف: **الرُّؤية السِّياسيَّة لحركة حماس**، مركز الزَّيتونـة للدِّراسـات والاستشـارات، بيروت، ط 2014.

الزَّهرانيّ، سعيد بن عطيَّة: **القيم الأخلاقيَّة في الصِّراع الحضاريّ بين الإسلام والغرب**، بيروت، دار ابن حزم، ط1–2003.

سعد، وائل احمد: **الحصار ومحاولات إسقاط حماس**، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، بيروت، لبنان، ط1، تشرين الثَّاني، 2006م.

شعبان، عبد الحسين: **الإنسان هو الأصل (مدخل القانون الدَّوليّ الإنسانيّ وحقوق الإنسان)**، تقديم محمد السيد سعيد، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ط1، 2002.

شهاب، زكي: **حماس من الدَّاخل**، إبداع للأبحاث والدِّراسات والتَّدريب، سلسلة دراسات(2)، غزَّة: معهد فلسطين للدِّراسات الإستراتيجيَّة، 2009.

صايغ، يزيد: **ثلاث سنوات من حكم حماس في غزَّة**، بيروت، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، سلسلة ترجمات الزَّيتونة 53، أيَّار 2010.

الصلابي، علي: فقه النصر والتمكين، دار المعرفة، بيروت– لبنان، الطبعة الخامسة، 2009م.

الظَّاهر، نعيم إبراهيم: **إدارة الدَّولة والنِّظام السِّياسيّ الدَّوليّ**، إربد، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010.

عارف، نصر محمد: **نظريَّات التَّنمية السِّياسيَّة المعاصرة**، دراسة نقديَّة مقارنة في ضوء المنظور الحضاريّ الإسلاميّ، فرجينيا، الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996.

عامر، صلاح الدِّين: **المقاومة الشَّعبية المسلَّحة في القانون الدَّولي العامّ**، سنة النَّشر بلا، دار النَّشر بلا.

عامل، مهدي، **مقدمات نظريَّة لدراسة أثر الفكر الإشتراكيّ في حركة التَّحرُّر الوطنيّ**، القسم الثَّاني، في نمط الإنتاج الكولونياليّ، بيروت، دار الفارابيّ، ط2، 1978.

عطيَّة، عبد القادر محمد عبد القادر: **اتِّجاهات حديثة في التَّنمية**، الإسكندريَّة، الدَّار الجامعيَّة، ط 1999.

عمارة، محمد: **معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام**، نهضة مصر، ط2، 2004.

عمر، ابراهيم أحمد: **فلسفة التَّنمية رؤية إسلاميَّة**، سلسلة أبحاث علميـــة(4)، قضـــايا الفكـــر الإسلاميّ، الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، فرجينيا، هيرندن، المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، ط2، 1992.

العوَّا، محمد سليم: **الفقه الإسلاميّ في طريق التَّجديد**، ط 3، القاهرة، ســـفير الدَّوليَّـــة للنَّشـــر، 2006.

غانم، إبراهيم البيوميّ وآخرون: **بناء المفاهيم؛ دراسة معرفيَّة ونماذج تطبيقيَّة**، 1مـــج، ط1، القاهرة، دار السَّلام، 2008.

غانم، السَّيد عبد المطَّلب، **دراسة في التَّنمية السِّياسيَّة**، القاهرة، مكتبة نهضة الشَّرق، 1981.

غربي، علي وآخرون: **تنمية المجتمع من التَّحديث إلى العولمة**، القاهرة، دار الفجـــر للنَّشـــر والتَّوزيع، ط 1، 2003.

الغزاليّ، محمد: **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتَّحدة**،القاهرة، دار الـــدَّعوة، 1993.

فتوح، محمد عبد الفتَّاح: **الدِّيمقراطيَّة والشُّورى في الفكر الإسلاميّ المعاصر: دراسة في فكـــر الشَّيخ محمد الغزاليّ**، القاهرة: مكتبة الشُّروق الدَّوليَّة، 2006.

قاسم، عبد السَّتَّار: **الحرِّيَّة والتَّحرُّريَّة والالتزام في القرآن**، نابلس: مركز الدِّيمقراطية وتنميـــة المجتمع، ط1، 2012.

قاسم، عبد السَّتَّار: **الحرِّيَّة والتَّحرِّريَّة والالتزام في القرآن**، نابلس: مركز الدِّيمقراطيَّة وتنميـــة المجتمع، ط1، 2012.

القموديّ، سالم: **سيكولوجيَة السُّلطة – بحث في الخصائص النَّفسية المشتركة للسُّلطة**، القاهرة، مكتبة مدبولي–6، ط1، 1999.

كيلله، فلاديسلاف، ماتفي كوفالسون: **الماديَّة التَّاريخيَّة**، تعريب أحمد داود، دمشق، دار الجماهير، 1978.

منصور، أحمد: **أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة**، سلسلة كتاب شاهد على العصر،ج2، بيروت: الدَّار العربيَّة للعلوم، ودار ابن حزم، 2003.

منصور، جمال: **التَّحوُّل الدِّيمقراطيّ الفلسطينيّ وجهة نظر إسلاميَّة**، مذكَّرة غير منشورة، نابلس، 1996.

مهنا، محمَّد نصر، **في النِّظام الدُّستوريّ والسِّياسيّ: دراسة تطبيقيَّة**، ط1، الإسكندريَّة، المكتب الجامعيّ الحديث، 2005.

هيجوت، ريتشارد، **نظريَّة التَّنمية السِّياسيَّة**، ترجمة حمدي عبد الرحمن، محمد عبد الحميد، ط1، عمان، المركز العلميّ للدِّراسات السِّياسيَّة، 2001.

وهبان، أحمد: **التَّخلُّف السِّياسيّ وغايات التَّنمية السِّياسيَّة**، دار الجامعة الجديدة للنَّشر، الإسكندريَّة، 2000.

الرَّسائل العلميَّة

دحبور، إبراهيم صالح محمد مصلح: **التَّحوُّل الدِّيمقراطيّ الفلسطينيّ وأثره على الخطاب السِّياسيّ لحركة المقاومة الإسلاميَّة حماس 2006 – 2012**، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين، 2013.

لعجال، ليلى: **واقع التَّنمية وفق مؤشِّرات الحكم الرَّاشد في المغرب العربيّ**، جامعة قسنطينط، منتوري،2010.

محمود، خالد سليمان: **تأثير حركة حماس على التَّنمية السِّياسيَّة ما بين عامي 1987-2004**، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين، 2004.

يوسف، غسان سعيد: أثر **ازدواجيَّة السُّلطة على التَّنمية السِّياسيَّة في السُّلطة الوطنيَّة الفلسطينيَّة بعد الانتخابات التَّشريعيَّة الثَّانية**، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين، 2009.

النَّشرات والصُّحف والدَّوريَّات

الحديثي، خليل إسماعيل: ***الإرهاب الدَّوليّ، مدان قانونًا أم سياسة***، **مجلة العلوم السِّياسيَّة**، عدد 26، جامعة بغداد، 2002.

صايغ، يزيد: **ثلاث سنوات من حكم حماس في غزَّة**، سلسلة ترجمات الزَّيتونة (53)، تقرير صادر عن مركز كراون لدراسات الشَّرق الأوسط في جامعة براندیز، أيار 2010.

صحيفة الرِّسالة، **إبراهيم المقادمة، إلى علماء الإسلام**، 31 تشرين الأوَّل2003.

صحيفة الرِّسالة، **الرَّأي العامّ في المجتمع الإسلاميّ: العلماء والحكَّام، إبراهيم المقادمة**، غزَّة، 26 شباط 1998.

صحيفة النَّهار المقدسيَّة، **مقابلة مع الشَّيخ أحمد ياسين**، بتاريخ 30 نيسان1989م.

عارف، نصر محمد: ***في مفاهيم التَّنمية ومصطلحاتها***، **مجلَّة ديوان العرب**، القاهرة، حزيران 2008، ص8.

عماد، عبد الغني: ***المقاومة والإرهاب في الإطار الدولي لحق تقرير المصير***، **مجلة المستقبل العربي**، بيروت، عدد 275، كانون الثاني 2002.

مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات: **التَّقرير الإستراتيجيّ الفلسطينيّ لسنة 2005**، بيروت، لبنان.

مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات: **التَّقرير الإستراتيجيّ الفلسطينيّ لسنة 2006**، بيروت، لبنان.

مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات: **التَّقرير الإستراتيجيّ الفلسطينيّ لسنة 2007**، بيروت، لبنان.

هادي، رياض عزيز: ***حقوق الإنسان والعنف والإرهاب***، **مجلة العلوم السياسية**، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، عدد 26.

الهيئة المستقلَّة لحقوق الإنسان: **وضع حقوق الإنسان في مناطق السُّلطة**، التَّقرير السَّنويّ الـ 15، ديوان المظالم، 1 كانون الثَّاني – 31 كانون الأوَّل، 2009، ص 32–33.

الهيئة المستقلَّة لحقوق الإنسان، **وضع حقوق الإنسان في مناطق السُّلطة الوطنيَّة الفلسطينيَّة**، التَّقرير السَّنويّ الـ 14، ديوان المظالم،1 كانون الأوَّل 2008 – 31 كانون الأوَّل 2008.

الهيئة المستقلَّة لحقوق الإنسان، **وضع حقوق الإنسان في مناطق السُّلطة**، التَّقرير السَّنويّ الـ 16، كانون الثَّاني، 2010، ديوان المظالم.

المقابلات

صحيفة الأخبار اللُّبنانيَّة، **لقاء صحفيّ مع أحمد يوسف القياديّ في حماس**، أجرى اللِّقاء هاني إبراهيم، عربيات، العدد 2440، الإثنين،10 تشرين الثَّاني 2014.

قناة الجزيرة، **مقابلة مع أحمد ياسين، الخلاف حول شهادة الشيخ أحمد ياسين**، 9 حزيران1999.

مجلَّة البيان: **حوار مع رئيس الوزراء الفلسطينيّ إسماعيل هنيَّة**، أجراه يوسف علي فرحات، العدد 279، آب 2010.

المراجع الأجنبيَّة

January 20, 1949 /The president describes the difference between Communism and democracy .http://to.pbs.org/1DEXlxi.

Weiss Margaret: "Weapon of Terror:Development and Impact of the Qassam Rocket", POLICYWATCH 1352, March 11- 2008. http://bit.ly/1Ms5vQP.

المراجع الإلكترونيَّة

أبو عامر، عدنان: خطاب مشعل: رسائل في الدَّاخل والخارج، نبض فلسطين، 27 أيَّار2014، .http://bit.ly/1JWkD97

أبو عامر، عدنان: قراءة الشَّاباك الإسرائيليّ لعمليَّات حماس 2005- 2009، الخميس11 آذار 2010، .http://alresalah.ps/ar/index.php?act=post&id=8934

أرض فلسطين للدِّراسات والتَّوثيق، وثائق فلسطينيَّة، ميثاق الحركة الوطنيَّة الفلسطينيَّة الصَّادر عن الهيئة العربيَّة العليا برئاسة المفتي الحاج أمين الحسينيّ بتاريخ 1962، .http://bit.ly/1Cz4GU0

استقراء صهيونيّ لطبيعة سلوك حماس العسكريّ في المواجهة المقبلة، شبكة فلسطين للحوار، .https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=725082

إسرائيل قلقة من ترسانة حماس: وكالة ميلاد الإخباريَّة، .http://www.milad.ps/arb/news.php?maa=View&id=31033

الأمم المتَّحدة، الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، .http://bit.ly/1jMJuft

الأنجلوسكسون: اسم يطلق على القبائل الجرمانيَّة (الآنْجلز Angles، والسّكسون Saxons، والجوت Jutes) الَّتي استقرَّت في إنكلترا في القرنين الخامس والسَّادس الهجريَّ، والَّتي بسطت سيطرتها عليها حتَّى الفتح النُّورمانديّ عام 1066. وبعد الفتح النُّورماندي أطلق المؤرِّخون في إنكلترا هذا الاسم على الشَّعب الإنكليزيّ، http://bit.ly/1M4YqGy.

الباحث العربي: لسان العرب، النَّتائج حسب المصدر نمي، http://bit.ly/1HXEN2C.

الباحث العربي: مقاييس اللُّغة، مادَّة (نمي)، http://bit.ly/1M1KWKI.

باز، ألون: "حماس: الطَّبع غلَّاب"، منتدى فكرة، أغسطس 6 تمُّوز2014، http://fikraforum.org/?p=5181&lang=ar.

بدوان، علي: براغماتيَّة «حماس» في النَّظرة إلى الصِّراع مع "إسرائيل"، صحيفة الحياة اللَّندنيَّة، 30 حزيران 2009، رقم العدد: 16888، الصَّفحة11، http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat%20INT/2009/6/30/.

بدوان، علي: براغماتيَّة حماس في النَّظرة إلى الصِّراع مع إسرائيل، صحيفة الحياة اللَّندنيَّة، عدد 16888، باب الرَّأي، ص11، http://bit.ly/1dMbzpw.

برنامج حكومة الوحدة الوطنيَّة الَّذي تلاه رئيس الوزراء إسماعيل هنيَّة أمام المجلس التَّشريعيّ، غزَّة، 17 آذار 2007. للاطِّلاع: http://bit.ly/1Ix2mtc.

برنامج حكومة حماس: بين الواقع والمأمول (نظرة تنمويَّة)، برنامج دراسات تنمويَّة، جامعة بير زيت، http://sites.birzeit.edu/cds/arabic/news/tayseerpaper1.html.

برنامج حكومة حماس: بين الواقع والمأمول (نظرة تنمويَّة)، برنامج دراسات تنمويَّة، جامعة بير زيت، http://sites.birzeit.edu/cds/arabic/news/tayseerpaper1.html.

بلحاج، صالح: التَّنمية السِّياسيَّة؛ نظرة في المفـاهيم والنظريَّـات، جامعـة الجزائـر، ص6، http://bit.ly/1IaAb5Z.

تركماني، عبد الله: جدل التَّنمية والدِّيموقراطيَّة في العالم العربيّ1/2، معهـد الجنـوب للتَّنميـة الدِّيمقراطيَّة(I.S.D.D)، http://on.fb.me/1DEXl09.

التَّطـوير النَّـوعيّ لسـلاح المقاومـة الفلسـطينيّة، المركـز الفلسـطينيّ للإعـلام، http://www.palestine-info.com/arabic/hamas/glory/tatwer.htm.

التَّنمية المحليَّة: المؤسَّسات الصَّغيرة والمتوسِّطة، الفصل الأوَّل من الدِّراسة، الإطار النَّظـريّ، http://bit.ly/1MmaGzE.

جبر، محمد: "الفصائل: خطاب هنيَّة شامل ووحدويّ"، فلسطين الآن، الأحد 20 تشـرين الأوَّل 2013، http://bit.ly/1G6uP8H.

الجرجاوي، أيمن: خطاب مشعل دشَّن لمرحلة جديدة، صفا وكالـة الصَّـحافة الفلسـطينيَّة، 21 أيار2014، http://safa.ps/post/129040.

جريدة القدس، "حماس تتدرَّب على صواريخ بعيدة المدى، واستطاعت إعادة تجديد البنية التَّحتيَّة لمنظومـة صـواريخها"، http://www.alquds.com/news/article/view/id/410589.

الجزيرة نت، موسوعة الجزيرة: حركة المقاومة الإسلاميَّة، حركات وأحزاب، 2014/11/6 م، http://bit.ly/1LWogv7.

الحاجّ، أحمد: "حماس ومنظَّمة التَّحرير:العلاقة الملتبسة وفخّ الاتِّفاقيَّات مع العدوّ"، مجلَّة فلسطين المسلمة، كانون الأوَّل2007، http://bit.ly/1KGSovL.

حركـة المقاومـة الإسـلاميَّة حمـاس: بيـان صـادر بتـاريخ 4 شـباط 2006، http://bit.ly/1M04mAB.

حركة المقاومة الاسلاميَّة حماس، الموقف الرَّسميّ، بيانات، بيان جماهيريّ صادر عن حركة حماس بتاريخ 29 تشرين الأوَّل2005، http://bit.ly/1TX8Avx.

حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، بيان الانطلاقة الأوَّل، 14 كانون الأوَّل1987م، http://bit.ly/1MfVwMl.

حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، بيان المشاركة في انتخابات المجلس التَّشريعيّ الفلسطينيّ، 12-3-2005، http://bit.ly/1UCbpSX.

حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، بيان جماهيريّ حول مشاركة حماس في الانتخابات البلديَّة والتَّشريعيَّة، 29 تشرين الأوَّل 2005، http://bit.ly/1TX8Avx.

حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، تعريف بالحركة – من نحن، http://bit.ly/1Hp4yW5.

الحلبيّ، عمر: خطاب هنيَّة شامل وأزال غشاوة الملفَّات، فلسطين الآن، الأحد 20 تشرين الأوَّل 2013، http://bit.ly/1TwUkZX.

حماس بين حتميَّة التَّطوُّر وركيزة الثَّبات، وكالة الرَّأي، تقارير، 15 حزيران 2010، http://bit.ly/1N5FN37.

حماس تعرض هدنة نصف قرن وتقبل دولة داخل حدود 67، صحيفة عكاظ، http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20060615/Con2006061525411.htm.

الحياة الجديدة، حماس تتجه ببراغماتية للتخلي عن حكم غزة للمشاركة في النظام السياسي، 27/12/2015، http://bit.ly/1YGpxza.

خطاب إسماعيل هنيَّة في مهرجان حماس 21، المركز المعاصر للدِّراسات وتحليل السِّياسات، وثائق، 15 كانون الأوَّل 2008، http://bit.ly/1G6wpHH.

دنيا الوطن: "هل تملك المقاومة طائرات لا يرصدها الرَّادار؟"، http://bit.ly/1Sf0haF.

ربيد، براك: صورة اسرائيل هابطة، معهد "مولاد" في القدس، http://bit.ly/1TLgmbu.

ربيد، براك: لكن لا بسبب الدِّعاية، دراسة مترجمة، نقلًا عن وكالة فلسطين اليوم الإخباريَّة، التَّحليلات، الصَّحافة الصُّهيونيَّة، http://bit.ly/1TLgmbu.

الرِّسالة نت، "إعلام حماس من الجدران إلى الفضاء"، http://alresalah.ps/ar/index.php?ajax=preview&id=64132.

رويترز، تغير ميزان القوى يقيِّد قدرة إسرائيل على المناورة في غزَّة، http://bit.ly/1HkBFrM.

الرَّئيس القائد، وثائق، الميثاق الوطنيّ الفلسطينيّ، http://bit.ly/1GczN3K.

ساق الله، ياسمين: خطاب هنيَّة بداية انفراج سياسيّ، الرِّسالة نت، 14 حزيران 2009، http://bit.ly/1J5GJpB .

سلامة، عبد الغني: حصاد ستَّة سنوات من حكم حماس في غزَّة، الحوار المتمدِّن- محور القضيَّة الفلسطينيَّة، العدد: 4272، 11 تشرين الثَّاني 2013، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=386508.

السَّمَّان، أحمد: خطاب حماس الإعلاميّ مشروط ذاتيًّا وموضوعيًّا، onislam، الأحد 4 آذار2007، http://bit.ly/1H0FuYf.

سمينة، نعيمة وآخرون: التَّنمية السِّياسيَّة قراءة في الآليات والمداخل والنظريَّات الحديثة، مركز النُّور للدِّراسات، ص3، http://www.alnoor.se//extra/1/61.pdf.

سوسيولوجيّة: علم يدرس المجتمعات الإنسانيَّةَ والمجموعات البشريَّةَ، وظواهرها الاجتماعيَّةَ، http://bit.ly/1USlIT2.

شبكة غزَّة الآن، من "بقعة الزَّيت" إلى "حجارة السِّجيل" ورسالة "القادم أعظم"، http://bit.ly/1LLNdJG.

شبكة فلسطين للإعلام والدِّراسات، قطاع غزَّة كيان معادٍ واسرائيل ماذا تكون؟!، http://bit.ly/1Im4IPY.

شبكة مجال الإخباريَّة: موسى أبو مرزوق يكشف: كتائب القسَّام تمتلك طائرات بدون طيَّار، http://bit.ly/1fwGZSn.

شبكة مسار برس، المقاومة استخدمت لأوَّل مرَّة تقنيَّة لـ "تضليل" القبَّة الحديديَّة، http://www.msar.ps/339.html.

شراب، ناجي صادق: الاقتراب من فهم السُّلوك السِّياسيّ لحماس، وكالة معًا، http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=484659.

شراب، ناجي: "قراءة في تجربة حماس في الحكم والسِّياسة"، ندوة سياسيَّة نظَّمها مركز الدِّراسات السِّياسيَّة والتَّنمويَّة في غزَّة، 2 آب 2010. نقلًا عن فلسطين الآن، http://www.paltimes.net/olddetails/news/107843.

الشَّمريّ، حميد حسين كاظم: دور التَّنمية السِّياسيَّة في بناء النِّظام السِّياسيّ والتَّطوُّر الدِّيمقراطيّ، مجلَّة الفرات، العدد السَّادس، http://bit.ly/1TxpkIl.

صالح، نور الدِّين: خطاب مشعل يغتال نتنياهو معنويًّا، الرِّسالة نت، 24 حزيران 2014، http://bit.ly/1JWrr6L.

صايغ، يزيد: خالد مشعل في غزَّة على خطا ياسر عرفات، مركز كارنيجي للشَّرق الأوسط، 13 كانون الأوَّل2012، http://www.carnegie-mec.org/2012/12/13/.

صحيفة الحياة اللَّندنيَّة: براغماتيَّة حماس: التَّخلِّي عن حكم غزَّة للمشاركة في النِّظام السِّياسيّ الفلسطينيّ"، الخميس 8 أيَّار 2014، http://bit.ly/1H0UaXq.

صناعات قسَّاميَّة: موقع كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، http://www.alqassam.ps/arabic/sinaat.php?id=16.

عبد الحكيم، أسامة: "علاقات حماس الدَّوليَّة...الحوار مع الجميع"، مجلَّة فلسطين المسلمة، كانون الأوَّل 2007، http://www.fm-m.com/2007/Dec2007/story23.htm.

العتوم، أحمد: مفهوم التَّنمية السِّياسيَّة، المعهد العربي للبحوث والدِّراسات الإستراتيجيَّة، http://bit.ly/1Ghu7o2.

عفيفة، وسام: حماس ترسم خريطة طريق للإسلاميِّين، الرِّسالة نت، 16 حزيران 2012، http://bit.ly/1Fof2jS.

عنات كورتس، بنديتا بيرتي، مارسيل كونراد: "التَّطوُّر المؤسَّسي لحماس وحزب الله، مركز الناطور للدراسات والأبحاث، المصدر الإستراتيجي، السنة الرابعة عشر، العدد 156، شباط 2013، http://bit.ly/1ZvPVsz.

عوض الله، مي: بعد 25 عامًا كيف طوَّرت حماس نفسها على الصَّعيدين المقاوم والسِّياسيّ؟، القدس أون لاين، الفصائل الفلسطينيَّة، 10 كانون الثَّاني 2013، http://bit.ly/1FIsmQh.

فلسطين اليوم، جولة في الفكر السِّياسيّ لحركة حماس، العدد 2832، الأربعاء 17-4-2013م، http://bit.ly/1ZnD77r.

فلسطين أون لاين، الموقع الإلكترونيّ لصحيفة فلسطين، "الشَّاباك: حماس تُعدُّ منظومة حربيَّة متطوِّرة لجيش نظاميّ"، http://felesteen.ps/details/news.

فلسطين أون لاين، حماس تقدِّم خطابًا "وحدويًّا".. وردَّ فتح ليس بـ"المتوازي!"، سياسيّ، السَّبت 4 كانون الثَّاني 2014، http://bit.ly/1TwXKfx.

قاسم، عبد السَّتَّار: الجديد في خطاب هنيَّة، وكالة نبأ الإخبارية المستقلَّة، 20 تشرين الأوَّل 2013، http://bit.ly/1TwZVj4.

قانون، قرار رقم(324) لسنة 2007 بشأن دمج قوات أمن الرئاسة (قوات 17)، الأخبار، الوقائع الفلسطينية، السنة14 عام2007، العدد 74، 9-6-2008، http://bit.ly/1ZpsYHc.

قدُّورة، ياسر: "علاقات حماس العربية الانفتاح والتَّواصل والشَّراكة"، مجلَّة فلسطين المسلمة، كانون الأوَّل 2007، http://www.fm-m.com/2007/Dec2007/story22.htm.

القسَّام- وكالات، عمليَّة الوهم المتبدِّد. http://www.alqassam.ps/images/userfiles/image/special_files/wahim/operation/operation.htm

قناة الجزيرة: "إسماعيل هنيَّة وتشكيل الحكومة المقبلة"، مقابلة صحفية، الخميس، 16آذار2006، للاطِّلاع: http://bit.ly/1deCM3D.

قناة الجزيرة، مقابلة مع أحمد ياسين، الخلاف حول شهادة الشيخ أحمد ياسين، 9 حزيران1999، http://bit.ly/1gV6FZ7.

كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، أخبار وتقارير، إعلام القسَّام واكب التَّطوُّر والتَّقدُّم التِّكنولوجيّ، http://bit.ly/1eKHuGX.

كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، أخبار وتقارير، إعلام القسَّام يكسر القيود ويحصد جائزة دوليَّة، http://bit.ly/1OH6hIm.

كتائب الشَّهيد عزّ الدِّين القسَّام، أخبار وتقارير، في الذِّكرى السَّادسة لتأسيسه...إعلام القسَّام يتفوَّق دوليًّا، http://bit.ly/1LWJhG9.

كتائب الشهيد عز الدين القسام، بيانات وبلاغات، نصّ وثيقة المؤتمر الصَّحفيّ لكتائب القسَّام حول حصاد 23 عامًا من مسيرتها ، نشر بتاريخ 2010/12/25، http://bit.ly/1Si6TIH.

كتلة التَّغيير والإصلاح: البرنامج السِّياسيّ، http://bit.ly/1DgNJ17.

اللَّحَّام، ناصر: الرَّدّ الأنسب على يهوديَّة الدَّولة هو إلغاء اتِّفاق أوسلو، وكالة معًا الإخباريَّة، مقال نشر يوم 25 تشرين الثَّاني 2014، http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=742498.

ليفي، اليئور: "حماس تفاجئ: لا نستبعد مفاوضات مباشرة مع إسرائيل"، أطلس للدِّراسات، ترجمة خاصَّة، http://bit.ly/1BlCvrk.

المجد: "طائرات الشَّبح القسَّاميَّة مفاجئة.. والدِّقة في الاستهداف إعجاز"، http://bit.ly/1fwDRpy.

مجلَّة البيان: حوار مع رئيس الوزراء الفلسطينيّ إسماعيل هنيَّة أجراه يوسف علي فرحات، العدد 279، آب 2010، http://bit.ly/1J1K7Pk.

مجلَّة فلسطين المسلمة، تقارير3، سجل الإبداع العسكريّ لكتائب القسَّام، http://www.fm-m.com/2005/feb2005/story8.htm.

محسن، مصطفى: سوسيولوجيا الدَّولة في مجتمعات العالم الثَّالث نحو نموذج تحليليّ لمقاربة شروط اشتغال الآليَّة السِّياسيَّة ودورها في تحديد وتفسير النَّسق المجتمعيّ العامّ، http://www.aljabriabed.net/n28_05muhsin.(2).htm.

المركز الفلسطينيّ لحقوق الانسان: الحكومة الفلسطينيَّة الجديدة وأجندة حقوق الانسان، غزَّة، 21 حزيران 2006، ص13، 15. للاطِّلاع: http://bit.ly/1K8LgWN.

مزيان، نجيم: ركائز التَّنمية السِّياسيَّة، http://bit.ly/1JcVZf2.

مسارات: وثيقة النَّصّ الكامل لمؤتمر الحوار الفلسطينيّ في القاهرة، المصالحة الفلسطينيّة، 17 آذار 2005، http://bit.ly/1KVi9GS.

مشعل، خالد: الفكر السِّياسيّ لحركة حماس في ظلّ آخر التَّطوُّرات، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، http://bit.ly/1TOtEnJ.

المصريّ، هاني: الخطاب الفلسطينيّ أثناء وبعد العدوان الإسرائيليّ على قطاع غزَّة، جريدة حقّ العودة العدد 18،60 كانون الأوَّل 2014، ص5، http://bit.ly/1LkCGD9.

مقابلة مع أحمد ياسين، قناة الجزيرة، الخلاف حول شهادة الشَّيخ أحمد ياسين، 9 حزيران1999، http://bit.ly/1OF71hC.

موقع القسَّام على الإنترنت، مؤتمر كتائب القسام بعيون المحلِّلين، http://www.alqassam.ps/arabic/special_internal.php?id=197.

نصّ مذكَّرة حول موقف حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس وجهودها لتحقيق المصالحة الوطنيَّة الفلسطينيَّة برعاية جمهوريَّة مصر العربيَّة، مركز الزَّيتونة للدِّراسات والاستشارات، http://www.alzaytouna.net/permalink/4934.html.

وادي، عبد الحكيم سليمان: ملخَّص حول النظريَّات في– العلاقات الدَّوليَّة، مركز راشيل كوري الفلسطينيّ لحقوق الإنسان ومتابعة العدالة الدَّوليَّة، http://bit.ly/1HoLEfN.

وزارة الخارجيَّة الفلسطينيَّة، حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، http://bit.ly/1eozgnL.

وكالة صفا: "أبو عبيدة "مصداقيَّة الخطاب والظُّهور الَّذي يترقَّبه الملايين، 09 آب 2014، http://bit.ly/1HqgA4B.

وكالة فلسطين برس، " إسرائيل: حماس تسلَّمت شبكة اتِّصالات صينيَّة متقدِّمة جدًّا من إيران تشبه بدقَّتها وتكنولوجيَّتها المتطوِّرة شبكة حزب الله"، http://www.palpress.co.uk/arabic/?Action=Details&ID=7066.

وكالة معًا: تقرير "ارتفاع معدَّلات الجريمة في قطاع غزَّة"، http://bit.ly/1H7BhjQ.

Human Rights Watch: "غزَّة: يجب أن توقف حركة حماس أعمال القتل والتَّعذيب"، 19 نيسان 2009، http://bit.ly/1IVgLlE.

Human Rights Watch: تحت غطاء الحرب "العنف السِّياسيّ لحركة حماس في غزَّة"، http://bit.ly/1IqsRk1.

An-Najah National University
Faculty of Graduates Studies

Hamas' Influence on the Political Development in the Gaza Strip Through Combining Power and Resistance (2005-2014)

By
Murad Waheed Hijazy Arafa

Supervised By
Prof. Abdul Sattar Qasim

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Political Planning and Development in the Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.
2015

Hamas' Influence on the Political Development in the Gaza Strip Through Combining Power and Resistance (2005-2014)

By
Murad Waheed Hijazy Arafa
Supervised By
Prof. Abdul Sattar Qasim

Abstract

The researcher has chosen to discuss the topic of " Hamas' Effect on The Political Development in Gaza Strip By Its Way of Combining Authority and Resistance " for a number of considerations which formed a sense of importance and motivation for him to do so. On one hand, Hamas represents a unique experience in the field of authority that is based upon ruling and armed resisting at the same time in spite of the recentness of this experience. On the other hand, what makes this topic of a great importance is the way Hamas has managed to maintain its authority despite the harsh circumstances surrounding it in Gaza strip manifested in the siege imposed upon Gaza by the Israeli occupation alongside whit its allies. It is of great value to study the novel methods Hamas adopts to continually provide the besieged people of Gaze with the services and hope of a better future despite the difficulties faced by Hamas's authority in doing so.

Through studying Hamas' performance on the political, military, and media level, this study aims to find out the extent of harmony Hamas has managed to establish between authority and resistance and the way this harmony has affected the political development and Hamas itself.

This study depends on the descriptive analytical method and employs both statistical and Non-statistical indicators in addition to a

number of interviews and media material. By asking to what extent has Hamas' experience in authority has contributed to the elevation of the political development and trying to figure out the strategy Hamas adopted in its confrontation with Israel; the study eventually will be examining the hypotheses the researcher demonstrates here. The examined hypotheses indicates that Hamas' experience in ruling and resisting has managed to enhance the political development in a way the goes in harmony with the peculiar Palestinian situation. Moreover, this experience has set up the proper atmosphere for sustaining and developing Hamas' armed resistance.

Consequently, this experience has inclined Hamas to be more pragmatic in balancing its interests and principles alongside with its armed resistance and political action which by the end has lead Hamas to have a more mature and developed political experience.

This study consists of three chapters. The first one presents the introduction to the topic which provides the main argument, questions, hypotheses, methodology, and previous studies. Inspired by the particularity of the Palestinian case this introduction also conveys an updated definition of the political development with its fields and related concepts. The second chapter presents the reader with the political path of Hamas during 2005-2014 starting with its historical background. The chapter moves on to present some important events Hamas has been through such as the legislative elections, the Palestinian resistance and Hamas' confrontations with the Israeli occupation, and bringing to the fore

the role of the political update in enhancing the developmental process and developing the efficiency of the Palestinian armed resistance. The last chapter exhibits the apparent indicators of the political development during the ruling phase of Hamas. The researcher here also tends to note down the manifestation of pluralism, freedoms, and the implementation of the principle of political and military partnership. This chapter finally provides an analytical study of Hamas' speech and ending up with the conclusion of the study.

Finally, the researcher concludes that Hamas' development on the resistance level has also been accompanied by a similar one on the political level. Hamas has also benefitted from employing technology in changing the situation around and envisioning the paths and the stands to be taken by the party. Hamas has also proved its capability of taking the lead of both the political and military level in harmony while sustaining its well established character at the same time.

The study mainly recommends reconsidering and fixing the educational system in a way that may serve building a scientifically and professionally sufficient generation that is capable of planning and establishing a community on solid bases. This study can work as a valuable feedback for the academic and political elites and the decision makers in the area of political development.